

هبة زايد



“شعر”
الجزء الأول

شعر

رواية

سِرَر

هبة زايد

تصميم:-

غلاف خارجي: براء رياض

غلاف داخلي: رحاب جمال

تعبئة وتنسيق: رحاب جمال

تدقيق لغوي: تهاني فهد / زينب كارم

عمل فريق جروب

وحي القلم

<https://www.facebook.com/groups/wahy.alqalam/?>

[ref=share_group_link](#)

إهداء

إلى من يريد النجاة أينما كان، من يبحث
عنها بكل ما أوتي من قوة كي يتجنب أذى
بني الإنس والجن.. أبشر سيكفيكم الله
إن حافظت على جواره دومًا.

مقدمة

قد يؤدي الناس بعضهم لغرض المصلحة الذاتية؛ ظناً منهم أن ذاك الشخص لن يتعرض لأذى، لكن هم سيحصلون على مرادهم فقط، لكن لا يحميهم من عقاب الله حسن نيتهم؛ فالسحر محرم مهما كانت الأسباب ومهما زادت المنافع لمن يفعله.

عروس جديد تحيا في منزلها بحب محاولةً
الحفاظ عليه كي تألف حبيبها ويألفها،
لكن هناك شرور تحاوطهم، بعض
الحاسدين يكرهون سعادتهما معًا.

رُبَّ صَدِيقٍ عَدُوٍّ لَا تَدْرِي

وَرُبَّ مَسِيٍّ بَدَتْ إِسَاءَتُهُ،

وَأَخْفَى الْحُبُّ دَاخِلَهُ.

الفصل الأول

شهادة

استيقظت كنده وجدت نفسها وحيدة في بيتها، فقد اعتاد زوجها الخروج للعمل مبكرًا، كانت مرتعبة من ذلك الكابوس المستمر الذي لازمها منذ أن انتهى شهر عسلها مع زوجها محمود، بالرغم من أنه استطاع أن يجعلها تطمئن دومًا وهي بجانبه.

رن هاتف كنده، فتوقف القرآن، ردت على المتصل وعينها تدور في أركان المنزل.

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كيف حالك يا حبيبي؟

- الحمد لله بخير حبيبتي، وأنتِ كيف
حالك، ما بكِ؟

- بخير بفضل الله، ليس بي شيء، لا تخف
عليّ، فقط عُد سريعًا.

- ألا أعرفك حبيبتي، صوتك مرتعب، هل
تكرر نفس الكابوس؟

ردت كنده في توتر بعينين زائغتين:

- بلى، تكرر لكني بخير، قمت بقراءة القرآن
واطمئن قلبي الحمد لله.

- أوشكت على الوصول حبيبتي، كنتُ

أتصل لأسألك إن كنتِ تريدين شيئًا
لأحضره لكِ.

- لا أريد شيء، فقط تعال إليّ أحتاجك
بجانبي يا محمود.

- سأكون معك خلال خمس دقائق إن شاء
الله، حفظك الله لي حبيبتي.

جلست كنده على أريكتها الحمراء
المزخرفة بلون بني متداخل فيه لون
سماوي، كانت تختطف أنظار كل من
يراهها، لطالما أعجبت كنده فور رؤيتها،
وطلبت من محمود شراؤها فاستجاب
لطلبها وحُجزت حتى انتهت الأعمال في
منزلهم المطل على البحر مباشرة، كان
أصدقائها يحسدونها على حب زوجها لها،
وحبها له.

رن جرس الباب، فقالت:

- يا حبيبي معك مفتاح، لمّ تدق الجرس؟!
يبدو أنك اشتريت شيئاً.

فتحت الباب وجدت امرأة رثة الثياب يبدو
عليها شدة الاتساخ، تنبعث منها رائحة
تشمئز منها النفوس، فقالت:

- كيف أساعدك حبيبتى؟

ردت المرأة المرعبة:

- أنا شهدة جارتك في الشقة المقابلة لك،
فقط أريد استخدام الحمام، فالمياه لها
خمسة أيام منقطعة في منزلي.

- تفضلي حبيبتى الحمام في تلك الجهة.

لكنها كانت متعجبة من طريقتها في الكلام
 كانت غير طبيعية.. كأن ليس بها حياة،
 وأشارت جهة اليمين بيديها الرقيقتين،
 فاتجهت شهدة إلى الحمام، التفتت كنده
 لتغلق الباب فوجدت رجلاً وفتاة صغيرة
 داخل الشقة المقابلة لها، فاستأذنت
 لتغلق الباب لكنهم لم يجيبوا عليها وظلوا
 محققين بها مما أثار ريبة بداخلها؛
 فأغلقت بابها بسرعة؛ بسبب تلك النظرة،
 جلست على الكرسي المقابل للتلفاز التي
 فتحتة على القرآن، مرت أكثر من نصف
 ساعة ولم يعد محمود للمنزل، أمسكت
 بهاتفها لتتصل، فتذكرت شهدة التي لم

تخرج من الحمام بعد.

ذهبت لتدق على باب الحمام، وهي تقول:

- مدام شهدة هل أنتِ بخير؟ أطلتي المكوث

في الحمام.

لم تجب شهدة ولم تسمع كنده أي صوت

بالداخل، فجلبت المفتاح وفتحت باب

الحمام، فوجدتها على الأرض تسبح في

دمائها، تسمرت في مكانها والتصقت

بالحائط شاخصة العينين تذرف الدموع

من عينيها بغزارة، ولم تصدر أي صوت

ظلت هكذا، حتى جاء "محمود" دق

الجرس لم تجب زوجته، فدخل وهو

ينادي ولا تجيب؛ فبحث عنها فراها

ملتصقة بالحائط المقابل للحمام،
دموعها تنساب على خديها بغزارة في حالة
يرثى لها، خائفة لا تتحدث إليه من شدة
الخشية، احتضنها وقد كانت تيبست من
الصدمة، فنظر إلي موضع نظرها.. فوجد
امرأة غارقة في دماها كأنها قتلت بدون
رحمة.

- "كنده" حبيبتى ماذا حدث؟ ومن تلك؟
أجيبى.

اتصل بالإسعاف، وقام بالتحقق من نبض
المرأة، فاطمئن بأنها على قيد الحياة، أخذ
ماءً من الصنبور، فغسل وجه "كنده"،
وأجلسها على كرسي، وأحضر لها كوبًا من

الماء، فشربت واحتضنته كالطفل
 الملتصق بوالديه من هول ما حدث لها.
 - لا تخافي ستصبح بخير إن شاء الله..
 أخبريني ماذا حدث؟.

ردت مرتعشة:

- لا علم لي بما حدث لها.
 - من هي أخبريني؟ أعلم أنك لا تستطيعي
 إيذاء أي شخص، كيف دخلت منزلنا،
 ماذا أرادت منك ولمّ تدخلين الغرباء؟
 تحدثت وهي تلهث من شدة بكائها:

- دق الباب.. ظننت أنك من يدق، هرولتُ
 لأفتح لك فوجدتها، طلبت دخول الحمام،

فأذنت لها، فلما أطالت المكوث قلت،
 فظللت أدق الباب ولم تجب، ففتحت
 الباب بالمفتاح ورأيتها على الأرض هكذا،
 هذا ما حدث أقسم لك لم أقم بإيذائها.

- حبيبتى لا تخافى.. الإسعاف فى الطريق،
 هل كان فى منزلها أحد عندما دقت الباب؟
 هل رأيت معها أحد؟

- نعم، كان هناك رجل وطفلة و اقفين على
 الباب خلفها مباشرة.

خرج ليخبر زوجها بما حدث لها فى منزلهم
 وظلَّ يدق الباب ولكن بلا

جدوى، حتى رأى المسعفين و اقفين أمام
 بيته يقولون:

- أين المريضة؟

فذهب إليهم وألقى السلام وأخبرهم أنها في
الحمام

دخل الطبيب رأى نبضها قال:

- إنها على قيد الحياة، هيا انقلوها إلى
المشفى، تعالوا معي من فضلكم.

- لماذا؟! نحن لا نعرفها هي أول مرة تدخل
بيتنا لدخول الحمام.

رد محمود بتعجب.

أخبره الطبيب:

- لا بد أن تأتي معي، لأنها كانت عندكم حين
نزفت ويجب عليّ اتخاذ الإجراءات اللازمة

لدخولها المشفى.

قالت كنده بتوجس:

- لكني لن أستطيع المجيء.. لتأخذ زوجها

يذهب معكم.

قال الطبيب:

- أين هو زوجها إذن؟ هل تعرفيه؟

- لا أعرفه مطلقًا لقد رأيته هناك عند

الباب وكانت معه طفلة صغيرة.. ردت

عليه بسرعة متخوفة.

قال الطبيب:

- حسنًا لا تخافي فقط أخبريني أين يسكن

كي يأتي معي أحد من أقاربها.

قالت له:

- يسكن هناك في تلك الشقة المقابلة لنا.

قال محمود:

- لكنني ظللت أدق الباب لم يُجب عليّ

أحد.. جرب أيها الطبيب، فقد يحالفك

الحظ ويجيب ذاك الرجل.

ذهب الطبيب ليدق الباب، ولم يجب أحد

أيضًا فقال:

- على ما يبدو أنه ليس هنا، عفوًا ستأتون

معي.

- لا بأس سنذهب معك إن شاء الله،

تجهزي يا كنده كي نخرج سريعًا.

وهي دامعة العينين مرتجفة، قالت:

- بلى سأجهز لكن ليس علينا شيء..
صدقًا لا نعلم عنها شيء، وتلك أول مرة
أراها ونحن نقطن هنا منذ شهر.

- لا تخافي حبيبتى ولا تحزني إن الله لن
يضيعنا، يعلم الله مسبقًا أنك لم تفعلي..
ستكونين بخير، لن أسمح لأحد أن يجعلك
تدرفين دمعة واحدة، لا تحزني وتوقفي
عن البكاء.

كان الطبيب ينظر مندهشًا متمنيًا زوجة
تحبه كما يرى أمامه من حديثهما، فقال:

- إن شاء الله ليس هناك شيء.

* * *

دلفت كنده إلى غرفتها وارتدت فستانًا
 زهريًا عليه حجاب أبيض، فكانت كالملك
 تشع نورًا ساطعًا من شدة بياضها،
 خرجت.. فنظر زوجها نظرة المحب وقال:

- هيا بنا لنذهب زوجتي..

خرجا معًا متشابكين الأيدي، فركبا
 سيارتهم الحمراء مكشوفة الغطاء.

- تفضل أيها الطبيب لنذهب إلى المشفى
 قالها محمود وهو يعرض على شفتيه من
 الغيظ، فليس لهم دخل بتلك المرأة
 وجلبت لهم مصيبة فور دخولها منزلهم.

قال له الطبيب:

- جزاك الله خيرًا، اسمي قاسم

ارتسمت ابتسامة على شفاه محمود:

- سعدت أيضًا بالتعرف إليك يا قاسم

فابتسم قاسم مردفًا:

- الشرف لي يا فندم.

* * *

رن هاتف "كنده" وكانت صديقتها هي

المتصلة فردت عليها:

- ادعي لي يا "هناء" فأنا في مشكلة

كبيرة ولا أعلم ماذا سيحدث؟!

قالت "هناء" بتوتر مصطنع:

- ماذا حدث حبيبتي؟ أنت بخير
و"محمود"؟!!

- نعم، لا تقلقي نحن بخير سأغلق الآن ثم
أحادثك لاحقًا إن شاء الله فقط ادعي لنا.

- ألم أخبرك مسبقًا ألا تتكلمي مع تلك فمي
خبیثة كأمها.

- يا حبيبي أنت تظلمها، ماذا فعلوا حتى
تظن بهم هكذا؟

- أنت طيبة لا تعلمين شيء، هي ابنة خالتي
وأعرفها جيدًا، استمعي إليّ ولا تجعلها
تتدخل في حياتنا أكثر.

- ماذا أفعل إذا اتصلت.. لا أجيب؟

وتصنعت وجه طفولي وهي تنظر إليه.

- يكن أفضل طبعًا ألا تردي، وإن سألتك
لماذا لا تجيبي تقولين أو امرزوجي.

ابتسمت وقالت:

- أنت كذلك، لكن سيكون عيب في حقك
إن فعلت، ولن أدعك تعيش دور سي
السيد من الآن.

نظر إليها بغضب ثم قال:

- لا أحبهم فافعلي ما قلت دون جدال.

وصمتا سويًا.. ارتسمت على وجهه ملامح
الغضب وهو يقول في نفسه ستجلبين
المتاعب لنفسك إن ظللت تعرفينها

وتظنين أنها صديقة لك.. أنتِ فتاة جيدة
لكنهم ليسوا كذلك، سأبعد شرورهم
عني إن شاء الله.

* * *

ذهبا إلى المشفى مع الطبيب، نزلا من
السيارة ودخلوا المشفى، ثم إلى موظف
الاستقبال، فسألوا عن "شهادة" وعرفوا
رقم الغرفة وذهبوا ليطمئنوا عليها،
فدخل "قاسم" أولاً اطمئن عليها من
الأجهزة، ثم قال لهم:
- تفضلوا.

فدخل "محمود" لكن "كندة" ظلت
بالخارج تنظر إلى أركان المشفى في خوف

شديد، كأنها ترى شيئاً جعلها واقفة
مكانها في نفس الحالة التي كانت عليها
عندما كانت "شهادة" واقعة على أرضية
الحمام في بيتها، في خوف شديد حدثها
زوجها:

- كنده ما بك، لَمَّ أنتِ مرتعشة هكذا
وصامته؟

لم تجب ظلت متحجرة في مكانها، ناظرة إلى
ركن في الحائط تنساب دموعها على
خديها، ظل زوجها يناديها لكنها لم تنتبه
من شدة خوفها،

أمسك يدها وجذبها إليه، فقال:

- ما بك أنادي عليكِ ولا تجيبين.

- ألا ترى ما أراه الآن عند تلك الزاوية من
الحائط؟!

- ما الذي رأيته، فأصبحت في تلك الحالة؟
قالت متلعثمة:

- هناك شخص نصف مشتعل يحدق بي
ألا تراه حقًا؟!

- من فضلك لا تتوهي أحلامك هنا،
سيظنون أنك مريضة نفسية نحن في
المشفى، هيا ندخل الغرفة، استمعي إليّ
أنا قلق عليك.

- لا إنه يتجه للغرفة بالفعل، يبدو أنه يريد
أذية تلك المرأة المسكينة، لن أسمح له

بذلك.

أسرعت كنده إلى الغرفة خلف ذاك
الشيء، وقد تحول فجأة إلى نفس الرجل
والفتاة فصاحت:

- هو هو وهي تلك الفتاة.

فأته يقف خلف الطبيب لينزع عنها
الأجهزة، فقالت:

- انتبهوا سينزع عنها الجهاز سيقتلها، لمّ لا
تصدقوا أني أرى شيئاً وهو خلفك أيها
الطبيب، لن أسمح لك بأذيتها.

ذهبت لتمسك به لكن بدا لهم أنها تحاول
مسك الهواء، فقال الطبيب:

- زوجتك منهاره علينا أخذها للقسم
النفسي لنحاول فهم ما يحدث لها.

- يبدو عليك أنك متعبة بعض الشيء، هيا
لنقوم بتهدئتك.

ظن "قاسم" أنها مريضة نفسية من
تصرفاتها.

ردت عليه:

- كيف ستفعل ذلك، أنا بخير.. إذا حدث
لتلك المرأة مكروه؛ ذنبها في رقبتك لأنك لا
تصدقني..

وظلت تبكي وتصرخ كي يصدقوها..

لكنهم أبوا تصديقها.

- لا زوجتي بخير أيها الطبيب، فقط الحمل يجعلها تتخيل بعض الأشياء، هيا بنا لنذهب يا كنده لترتاحي قليلاً.

قالت هامسة:

- لمّ كذبت وقلت أنني حامل؟

أوقفهم "قاسم" اعتذر ولكن لن تذهبا قبل أن تدخلوا لمدير المشفى أولاً، هو بانتظاركم.. سيروا على يمين الطريقة غرفته آخر الرواق.

خرج "كنده ومحمود" من الغرفة، ذهبا إلى مكتب المدير وكان ينتظرهما شرطي هناك ليحقق فيما حدث.

دق "محمود" باب المدير فأذن له

بالدخول.

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، طلبت
التحدث إلينا بخصوص جارتنا التي
جاءت منذ قليل.

- بلى فقد طلبنا الشرطة لأن جارتك
تعرضت لضرب مبرح جعلها فقدت جنينها
وعمره كان ستة أشهر، مما عرض حياتها
للخطر.

وقف "محمود" مشدوهاً:

- ماذا هل فقدت حملها؟!

- وكيف علمت أنها حُبلى يا بشمهندس؟

قالها مدير المشفى بخبت.

- لا فقد أخبرني الطبيب "قاسم" الذي جاء عندما هاتفت الإسعاف وأيضًا كان يبدو عليها الحمل، أقصد الحامل لها بطن كبير.

روت كنده ما حدث فلم يصدقها الشرطي، فكان يبدو عليه الدهاء، فقال:

- لَمَّ أَنْتِ خَائِفَةٌ يَا مَدَامِ "كِنْدَه"؟

ثم طلب منها بحزم شديد أن تخبره كل الحقيقة.

ردت وهي باكية:

- كل ما أخبرتك به هو الحقيقة.

كان محمود يجلس منتظرًا انتهاء الضابط

من الحديث معها وهو مكور قبضته
بغضب مما يحدث ولا يستطيع فعل شيء.
ثم توجه الضابط إليه بالحديث:

- من فضلك يا مهندس محمود أريد
عنوان الشقة بالتفصيل ورقم هاتف
صاحب العقار التي حدثت به الجريمة.
رد عليه محمود:

- سأعطيك ما تريد، لكن فضلاً لا تسألها
عن شيء فهي لا تعرف شيئاً عنها.
بعد أن أخذ المعلومات التي أرادها منهم،
قال لهم:

- لكم الحق في الانصراف إذا أردتم. لكن ما

حدث جعله يعود في قراره سريعًا.

دق الباب ودخل "قاسم" وقال:

- توفت الحالة.. نزع أحدهم عنها الأجهزة،

كيف عرفتِ ما سيحدث؟! لقد أخبرتني

ولم أعيرك اهتمامًا.

شخصت "كندة" بصرها قائلة:

- لن تصدقوني إن أخبرتكم حتى.

نظر إليها الضابط بدهشة كبيرة وقال:

- لدينا قتيل ستتهمين إذا بقتلها إن لم

تخبرينا ما حدث.

ردت عليه بثقة كبيرة:

- كيف أكون متهممة بقتلها برغم وجودي

بينكم هنا؟

رد الشرطي بحزم:

- أخبريني ماذا رأيت؟

- رأيت شخصًا نصف مشتعل عند

الحائط وعندما دخل الغرفة انقسم إلى

رجل وفتاة، هم من رأيتهم خلفها عندما

دقت بابي ولم يعيرني الطبيب اهتمامًا.

التفت "عاصم" موجهًا كلامه للطبيب:

- كيف أمكنك فعل ذلك؟

"قاسم" متوترًا:

- لم يكن أحد في الغرفة أقسم لك.

نظر إليه "عاصم" بتمعن قائلاً:

- والله لولا أخيك لوضعتك في الحبس الآن
يا "قاسم".

ثم قال لهم:

- لن تذهبوا إلى مكان قبل أن يثبت أنكم
لستم متهمين بضرب تلك المرأة،
ستذهبون معي إلى قسم الشرطة وفي
الصباح تعرضون على النيابة.

قال لها محمود بضيق شديد:

- أسعيدة أنتِ الآن؟ أخبرتك ألا تخبري
أحدًا عما ترين في منامك، نحن متهمون
بقتل المرأة الآن أترين، لا أعلم ماذا حل
بك؟

شعرت بالحزن مردفة:

- دائماً لا تصدق ما أقول، لكنني صدقاً
أخبرك الحقيقة.

- أتمنى أن تتراجعي عن قول تلك الأشياء،
فهنا ليس كعالمنا الخارجي.

- أقول الحقيقة، أتريد مني الكذب، كما
كذبت أنت على الطبيب.

نظر إليها محمود محاولاً كبت غضبه وهو
يقبض على يديه من شدة الغيظ مما
تفعله ويقول في نفسه أحاول حمايتها وهي
تتصرف ببراءة كالعادة، ليس لدي شك أن
كل هذا من تحت رأس خالتي وابنتها.

* * *

وصلوا قسم الشرطة وهناك اتصل
الشرطي بصاحب العقار وطلب حضوره،
فأسرع بالمجيء،

دخل العسكري وأخبر "عاصم":

- لقد جاء صاحب العقار الحاج شعبان يا
باشا هل أدخله لحضرتك الآن؟

- نعم أدخله بسرعة.

- سيد "شعبان" تفضل.. العميد "عاصم"
يريدك الآن.

دخل شعبان فقال له الشرطي:

- اجلس يا سيد شعبان.. أريد منك إخباري
عن "شهادة" التي تسكن في عقارك المٌطل

على النيل.

- من شهدة تلك؟! لا يقطن لديّ أحد بهذا
الاسم يا حضرة الضابط.

عاصم مندهشا:

- متأكد يا سيد؟ في الدور الرابع الشقة
المقابلة للمهندس "محمود" تذكر.

رد مؤكداً:

- لا يسكن أحد تلك الشقة ولا يقربها أحد
منذ الحادث الذي حدث بها، لم أفكر حتى
في عرضها للبيع أو الإيجار.

كاد عاصم أن يجن مما يسمع:

- عن ماذا تتحدث يا رجل، هناك امرأة

توفت وأخرى تدعي أنها كانت في تلك
الشقة، أتحاول خداعي أيها العجوز؟

- لا يا سيدي إذا أردت تعال معي وأريك
تلك الشقة بنفسي.

- حتمًا سأرى تلك الشقة، لقد أرسلنا
هناك فريق لجمع الأدلة.

رن الجرس فدخل العسكري، أخبره
عاصم أن يحضر له كنده ومحمود.

فلما رأوه تهللت أساريرهم

فأردف محمود قائلاً:

- الحمد لله أنك أتيت يا سيد شعبان، أخبر
عاصم باشا أننا لا نعرف تلك المرأة.

- لا تتسرع يا محمود، السيد شعبان

شخصيًا لا يعرف من هي المجني عليها؟

وقف محمود مشدوهمًا وسقطت كنده

باكية على الأرض، خائفة مما سيحدث

لهما بسبب فعلها الذي أرادت به خيرًا،

تعجب محمود وهمس لنفسه بصوت

مسموع:

- إذا من تلك المرأة وكيف خرجت من تلك

الشقة؟

فأردف شعبان:

- صدقني لا أعلم، من تلك المرأة وكيف

وصلت للبيت؟

لكنه كان يبدو عليه التوتر والخوف، كأنه يخفي شيئاً.. كان يتصبب عرقاً من شدة خوفه، استشعر عاصم ذلك فأراد أن يجعله يتحدث بدون ضغط، فطلب منه إخباره عن الحادث الذي حدث في الشقة المقابلة، فقص عليهم الآتي:

- كانت هناك عائلة تقطن في تلك الشقة، تملكوا الشقة مني وكانوا سعداء دائماً، حتى ذاك اليوم التي فقدت فيه المرأة حملها الأول، فبدأت تعاستهم.. وتكرر فقدانها للحمل كلما حملت، وفي يوم احترقت الشقة بهم، ومنذ ذلك اليوم لم يسكنها أحد، ولكنهم وجدوا جثة الزوج

واختفت الزوجة ولم يعثر عليها حتى الآن.
تحدث محمود غاضبًا واعتلت وجهه
حمرة من شدة الغضب:

- لماذا لم تخبرني عندما اشتريت منك
الشقة؟ أردت بيعها بسعر زهيد لذلك
إذًا؟! ويحدث لنا ما يحدث بسبب ذلك،
أسف حبيبتى أنى لم أصدق ما تقولين
أعذرني حبيبتى يبدو أن تلك الشقة
مسكونة.

تحدث عاصم قائلاً:

- لا تقلق يا مهندس محمود سنحقق في
الأمر أولاً، ثم يفرج عنكم إن لم يكن لكم
يدًا في الأمر، سننتظر تقرير الطب الشرعي

إن شاء الله، لكن عفواً حتى ذلك الحين
ستظلون هنا على ذمة التحقيق.

- لكن لماذا يا فندم؟

اعتدل محمود في وقفته وكان خائفاً على
زوجته.

رد عاصم بأسى:

- لأنه ليس هناك من يعرف المرأة سواك
وزوجتك لذلك ستظل هنا.

كانت آثار الصدمة مسيطرة عليها

فقال متوجسة:

- ومتى يصل تقرير الطب الشرعي؟

- لا تقلقي طلبت أن يسهروا اليوم على

الجثة، ستبقون في مكثي حتى الصباح،
يبدو أنكم أشخاص محترمون.

* * *

في الصباح الباكر استيقظ محمود على
صوت أقدام عاصم حينما توجه لمكتبه،
تلك الغرفة الفارهة التي بها مكتب و أثاث
فاخر وتلك الأريكة السوداء الكبيرة التي
لا بد من وجودها هنا ليرتاح عليها وقتما
شاء كان يحجبها عن الأنظار ستار أحمر
كبير، دخل معه العسكري ليعطيه ذلك
المظروف المغلف بالشمع الأحمر.

قال:

- أخيراً جاء تقرير الطب الشرعي، سأطلع

عليه.

فبدأ عاصم بقراءته وبدأت على ملامحه
علامات التعجب والدهشة، فقد حدد
الطبيب وقت الوفاة وقال:

- لقد توقف قلبها منذ أكثر من ثلاث
سنوات!

كان عاصم يحدث نفسه غافلاً عن وجود
الزوجين في غرفته منذ أمس، قال:

- كيف قلبها متوقف من ثلاث سنوات
فأكثر وقد رأيتها بأم عيني على الأجهزة؟! لم
أنس رائحة جسدها المنفرة، ولكن كانت
بشرية بشحمها ولحمها، رأيتها بأم عيني
كيف ذلك؟! هل جن ذلك الطبيب ليكتب

تقرير كهذا؟ كيف كانت حامل إذاً أيعقل
هذا؟!

ظل عاصم شارد الذهن، وفجأة نادى على
العسكري الذي أمام الباب وطلب منه
إحضار كوبًا من القهوة، ثم اتصل
بالطبيب الذي قام بكتابة التقرير وطلب
منه الحضور لأمر عاجل، لكنهم أخبروه
أنه منشغل ويحاول إطفاء حريق، فلقد
احترق جزء من المعمل، فطلب منهم
إخباره بأن عاصم باشا يريد له أمر هام
بخصوص حادث أمس، ثم عاد لشروده
ثانية وحدث نفسه بأشياء أكثر غرابة،
أثناء شروده تحدث كنده لنفسها قائلة:

- كيف تكون ميتة من مدة وقد حدثتني؟
 لم أجن أسمعت ما قال الطبيب في تقريره
 يا محمود أم أنا أتخيل ما قيل؟
 - بلى، سمعت.

وبدت عليه البلاهة وبدأ يحدث نفسه
 - رأيها تنزف بعيني، كيف للميت منذ فترة
 طويلة أن ينزف دمًا بقدر ما رأيت؟ يبدو أن
 الطبيب اختلط عليه شيء.

شردت كنده وظلت تفكر فيما ترى ولم هي
 فقط من رأت تلك الأشياء المريبة، لن
 يصدقها أحد إن أخبرتهم بما رأت، ظلت
 تفكر لو هلة كيف تجعلهم يصدقون فهم لا
 يروا ما تراه.

هنا أزاح محمود الستار متوجهًا إلى عاصم
قائلًا:

- صباح الخير يا فندم..

ثم سأل بحذر:

- هل هناك جديد بخصوص ما حدث
أمس؟

كان متخوف من ردة فعله فهو سمع كيف
تحدث إلى العسكري الذي يحرس غرفته
ابتسم ببلاهة مردفًا:

- يا بشمهندس محمود لقد ازداد الطين
بله، أسمع ما أخبرك به تَوًّا.. المرأة متوقف
قلبها منذ ثلاث سنوات.. لَمْ سكتَ أم لا

تصدق ما أقول لك؟

رد محمود:

- نعم أصدق يا سيدي، فقط لا علم لي

بتفسير ما رأيت بعيني..

- يا عاصم باشا أيعقل ما ورد في ذلك

التقرير، أنا لا أستطيع التصديق حقًا،

كيف للميت أن يكون بشرًا ينزف ويموت

مرة أخرى أمامنا وكيف جاءت إلينا؟

ظل محمود يحدثه لكنه لم يجيبه بشيء

إلا أنه هز رأسه مستنكرًا ما يحدث وهو

شاخص العينين ومفغرًا فاهه.

حدثه كنده:

- يا سيد عاصم سمعت منذ فترة ليست
ببعيدة عن أن الجن قد يفعلون ذلك، أي
تلك الأشياء الخارقة للطبيعة عموماً،
فهل يمكن أن يكون ذلك صحيح؟
قال عاصم مطمئناً لهم:

- لا أعلم ولكني سأعمل على حل تلك
القضية، وعلينا تفتيش تلك الشقة التي
حدث بها ذاك الحادث منذ فترة كما ذكر
السيد شعبان ويجب عليّ استدعاءه لابد
أنه يخفي شيئاً، سأجلب أمراً من النيابة
كي استدعيه ثانيةً.

حدث عاصم نفسه.. من تلك المرأة؟ ولمَّ
ظهرت الآن وهي متوفاة كما قال التقرير

منذ ثلاث سنوات؟ وما تفسير ذلك كله؟ ثم أمرهم أن يذهبوا إلى الغرفة المجاورة له كي يستطيع العمل وبعد قليل سيأتي العسكري ليأخذهم إلى عربة الترحيلات ليعرضوا على النيابة في الساعة التاسعة.

تحدث محمود بضيق:

- هل سنعرض على النيابة بعد ذلك التقرير يا فندم؟

- نعم يا سيد محمود ستعرضون لأن تلك هي الإجراءات.. والنيابة هي من تقرر هل ستمكثون هنا أم يخلي سبيلكم؟.

طُرق باب المكتب فأذن عاصم لمن طرقه بالدخول، وكان الطبيب باسم من كتب

تقرير الطب الشرعي، فقال:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لقد

طلبتني يا عاصم باشا أهناك شيء؟

- هل أنت من كتب ذلك التقرير؟

- نعم كتبته اليوم بعد السهر على تلك

الجثة الغريبة التي تحولت الآن إلى رماد

بعد أن اشتعلت النيران من جراء نفسها،

لكننا أخذنا بصمات يديها وأقدامها

وأخذنا الكثير من الأدلة على هويتها بفضل

الله.

شخص عاصم عينيه بغضب:

- كيف احترقت الجثة، كيف حدث هذا

أخبرني؟

- لا نعلم كنت ومساعدتي في الغرفة نعمل،
 لكن الجثة اشتعلت، ولم نجد عليها أي
 مادة قابلة للاشتعال، ولم يكن سواي أنا
 وهو، وحتى السرير التي كانت ممددة عليه
 لم يحترق وهذا ما أثار الشكوك لدينا
 أكثر، وكان ذلك التقرير نتاج جهدنا
 البارحة.

- لماذا لم تطفئوها بطافية الحريق حتى لا
 يحدث ذلك؟

- حاولنا جاهدين لكن النيران لم تنطفئ
 بل كانت تزداد اشتعالًا، كلما حاولنا
 إطفائها.

- كيف يحدث هذا! أيها الطبيب الأمر خرج

عن العادة ألا ترى ذلك؟

- نعم يبدو أن هناك خطب ما.. فتلك القضية تبدو من خوارق الطبيعة.

- ماذا تقصد يا باسم هل ما أفكر فيه يمكن أن يكون حقيقة؟

- نعم وأؤكد لك ذلك، فقد رأيت الكثير في مهنتي هذه.. بداية كنت سأستقيل منها خوفاً مما أراه، ومع الوقت اعتدت الأمر بفضل الله بالمواظبة على الأذكار والصلاة في وقتها وقراءة القرآن كلما تيسر لي ذلك أثناء العمل.

- لكن مهنتي يا باسم تريد حقائق ملموسة فقط، هذان الزوجان متهمان الآن بقتلها

رغم وجودهم معي أثناء قدومك وإخباري
باحتراقها.

* * *

محمود متعجبًا مما يحدث لهم، يحاول أن
يصل لأهله لكي يرسلوا له محامي العائلة
لكنهم خارج البلاد لتلقي أخته الصغرى
ملك علاجها من مرضها بالخارج، فكور
قبضة يده وضربها بالحائط قائلاً:

- دبرلي أمري يا رب ليس لنا سواك. هدأته
كنده وحاولت تذكيره بأن الله لطيف وهذا
ابتلاء وسنخرج منه على

خير بإذن الله.

* * *

هنا هنا تتحدث إلى أمها:

- ترى ما يحدث لمحمود وزوجته الآن يا
أمي؟ وهل لك علاقة به؟

- وما دخلي أنا يا ابنتي في الأمر؟! أنا معكم
وهو في بيته.

- لكن يا أمي منذ أن أخذتني "أمل" معك
إلى ذلك الرجل يحدث أشياء غريبة جدًا.

- اصمتي يا بلهاء، أخذتها لمصلحتكم وما
هي فيه شيء طبيعي لِمَ رأته هناك، ثم إنها
بخير ليس بها شيء.

- يا أمي ألم تريها حتى الآن فقد استيقظت
وعلى وجهها ويديها آثار جروح عديدة قمت
بتعقيمها لها، أنت لم تدخلي عليها حتى

الآن، ستظلمين ممسكة بالهاتف حتى
تجيبك أختك الحبيبة.

طردتها من أمامها قائلة:

- هيا اذهبي من أمامي الآن، ليس لدي
وقت لكلامك، اغربي عن وجهي.

* * *

أخبره باسم:

- ليست خرافة بل حقيقة.. ورأيت الكثير

أيضًا، لا تفعل ذلك الوجه الساخر الآن يا

عاصم نحن أصدقاء قدامى يجب عليّ

تحذيرها مما رأيت اليوم، من فضلك

دعني أراها الآن وزوجها يجب عليّ

تحذيرهم.

- أي تحذير يا باسم؟! أنت لم تراهم من
قبل ممّ ستحذرهم؟

- لا أستطيع إخبارك.. لكنه شيء هام يجب
أن أقوله لهم

- بل يجب عليك إخباري أولاً، فأنا
المسؤول عن تلك القضية لحين عرضهم
على النيابة.

- لا.. إن أخبرتك ستعرف سرهم ولن
يتركوك صدقني.

- من الذي لن يتركني أخبرني؟ ولمّ هلعت
فجأة يا باسم؟

- لأنهم هنا في غرفتك.. سيقتلونك إن

أخبرتكَ عنهم ولا أستطيع خسارتك، فأنت
صديق عمري، وضابط مجتهد لا يحب
الظلم، فلا تلح عليّ فلن أخبرك بشيء.

تحدث عاصم بغضب:

- لا تجعلني أحقق معك كما أفعل مع
المذنبين يا باسم.. أخبرني من تقصد؟

- عالم خلقهم الله.. الكثير لا يؤمن
بوجودهم لأنهم غيبات لا نراهم، اسمهم
مكون من حرفين، لا تحاول نطقه أو
البحث لمعرفة اسم أحدهم، فقد يحضر
لك بمجرد ذكر اسمه أكثر من مرة.. الآن
أريد رؤية كنده.

شرد عاصم مندهشاً كيف علم باسم

اسمها؟ أهو حقًا يعلم شيئًا يخفيه عني
ويريد تحذيرها؟ لماذا لا يريد إخباري أحقًا
ما يقول؟ قاطع باسم شروده مردفًا:

- أخبرتك أني أعرف الكثير من الأشياء يا
عاصم، لماذا تلح؟! قلت لن أجيبك.. فقط
أريدها هي الآن.

- لن تراها قبل إخباري.. لا تجادلني.

كور قبضته وهي في مكانها لم يحركها وجز
على أسنانه وبدت ملامح الغضب عليه
وبرزت عروق وجهه.

هدأه باسم قائلاً:

- يا صديقي الصدوق لا أحبذ إدخالك في

الأمر فهو ليس هيئًا وأخشى عليك وعلى
عائلتك.

قاطعه دق باب الغرفة فأذن لمن طرق
بالدخول، فكان العسكري يخبر عاصم
بحضور صاحب العقار الذي وقع فيه
الحادث فطلب دخوله مسرعًا.

- مَنْ شعبان ذاك يا عاصم؟ هل له علاقة
بالقضية؟

سأله باسم مستنكرًا.

- نعم هو صاحب العقار يا باسم الذي
وجدت فيه تلك المرأة التي أصبحت رماد
الآن.

- هل اسمه شعبان؟ أقصد متأكد من

الاسم أرايت هويته؟

- نعم ولكن أنت تبدو متعبًا، لم تأخذ قسطًا من الراحة منذ أمس صحيح.

- نعم لم أنل راحة خصوصًا بعد ما حدث للجثة، أنت لا تعلم ما حدث حقيقة، ولن أخبرك لأنك تعتبره هراء.

- وما حدث يا باسم أخبرني بباقي ترهاتك الغريبة

وابتسم ساخرًا وقال:

- يجب أن تنام قليلًا كي تخرج كلامًا نستوعبه.

- أعلم أنك لن تصدقني، ولكن الجثة

حدثتني أمس وفضلت إخبارك لتحدد
صعوبة الأمر، لن أغادر قبل رؤيتها وزوجها
هذا منتهي.

جاءت كنده وزوجها لرؤية الطبيب:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا
فندم.. طلبتنا.

قالها محمود متحمسًا.

لكنها رأت ذلك الشخص التي ظنت أنها
رأته قبل ذلك في أحد أحلامها وكان يحاول
إنقاذها أكثر من مرة.

- كما أتذكرها بالضبط لكنها ليست
خائفة كما رأيت.

- ماذا تقول يا باسم؟ أفق من غفلتك
تلك، أنت ما زلت في مكثبي.

- أعلم.. فقط أحدث نفسي بصوت عالٍ،
أهلا بك سيدة كنده.

تمعض وجه محمود سائلاً:

- من أين تعرف زوجتي؟ ولمَّ تبتسم لها
هكذا من أنت؟ احترم نفسك يا أستاذ.

انتبه باسم على نفسه و أفاق من حديث
زوجها، ثم عرف عن نفسه بأنه الطبيب
الشرعي وقال:

- كنت أمس أعمل على تلك الجثة ورأيت
شيئاً مما تراه زوجتك، وأعلم أنك لا

تصدقها ولكن صدق أولاً.. تلك " الشهادة"
حدثتني أمس.

أرادت أن تقول له رأيت ما أراه؟ صف لي
ما رأيت كي يطمئن قلبي لكنها خافت أن
تتحدث لغيره محمود عليها، وكانت تتمتم
هل يعرف ما رأيت؟ وكيف ذلك؟ لا لا أظن
أنه فعل لن يتحمل ويقف شامخاً هكذا.

- رأيت الرجل النصف مشتعل والفتاة
الصغيرة وأشعلوا النار في الجثة التي كنت
أعمل عليها، لكن قبل ذلك شهادة
حدثتني، أخبرتني بالكثير ألا تودين معرفة
ماذا قالت عنك؟

قالها وهو يرى علامات استفهام على

وجوههم.

- هل حدثتكَ عني؟ كيف وهي ميتة؟ ألم تقولوا أنني أتوهم كيف تحدثت معك عني؟

- ألم تقابلها كذلك وهي متوفية منذ ثلاث سنوات، دعيني أخبرك أمرًا.. بعض الأحيان يأتي الميت ليخبرك عن شيء وهذا رأيتُه كثيرًا في عملي ولكن دائمًا كانت أحلام ورؤى تراودني فأعلم منها ماذا يريد، أما الآن فالوضع اختلف لأنني رأيتها كما أراكم أمامي وأنا مستيقظ تمامًا، وهم كذلك رأيتهم.. إنهم يريدون طفلك وزوجك فقط.

- لكنني لست حامل، وليس لدي أطفال،

كذب زوجي على الطبيب أمس من خوفه
عليّ فقط.. لست أحمل في أحشائي طفلاً.
- بلى.. أنتِ حامل قد لا تعلمين الآن،

لكنهم يعلمون كل ما حدث وما مضى..
ولكن لن يستطيعوا معرفة الغيب أي ما
سيحدث مستقبلاً.

تكلم محمود بلهجة عنيفة:

- كيف تعرف هذا وما علاقة زوجتي بالأمر
وماذا يريدون مني؟

- لا أعلم، فقط أخبرك ما سمعت لكي
تأخذ حذرک ليس إلا، لكنني قرأت الكثير
بسبب ما أراه في مهنتي هذه.

- وكيف أفعل ذلك؟

- بالقرآن والأذكار وبالمداومة عليهم حتى يتسنى لنا معرفة الأمر برمته.

طلب منه عاصم الرحيل بسبب الذعر الذي أصبح واضحًا في أعينهم وعلى حركاتهم وسكناتهم، وطلب منه إعادة التقرير بعد أخذ قسطًا من الراحة، لكنه رفض وأخبره أنه لا توجد جثة

نعيد تشريحها انتهى الأمر، وطلب منه الإفراج عنهم فهم لم يقتلوها ولديه الدليل في كاميرا المعمل، ليس عليهم شيء.

تهلل عاصم فرحًا:

- هل تقول كاميرا المعمل هل سجلت الكاميرا ما حدث؟ ومع ذلك يجب أن يعرضوا على النيابة كي تغلق القضية.

- نعم كله لدي أعددت منه نسختين، هنا واحدة في هذا الكارت ضعه في جهاز كي تتحقق من الأمر.. كنده ومحمود اعتنوا بأنفسكم فأنتم في خطر شديد، حفظكم الله من كل شر.

فتح عاصم الكارت بعد أن أوصله بالحاسب الآلي وكان يرى هو والزوجان الفيديو، لكن سرعان ما احترق الحاسوب كما احترقت شهادة فذب الرعب في صدورهم فقالوا لا إله إلا الله،

بِسْمِ اللَّهِ، كَيْفَ احْتَرَقَ وَحْدَهُ هَكَذَا؟

انْتَفَضَتْ كُنْدَهُ فَصَرَخَتْ:

- هُوَ مَنْ فَعَلَ؟

وَقَفَ الْجَمِيعُ يَنْظُرُونَ فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا.

لَكِنْ بِاسْمِ يَرَى مَا تَرَاهُ فَهَزَّ رَأْسَهُ مَشِيرًا

لِنَفْسِ الزَّائِيَةِ الَّتِي تَنْظُرُهَا كُنْدَهُ وَهُوَ يَرُدُّ

آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَيَشِيرُ بِإِصْبَعِهِ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ:

- حَقٌّ مَا تَرِينَ.. فَمَا أَرَاهُ الْآنَ لَا يَسْتَهَانُ بِهِ..

عَلَيْنَا التَّحَرُّكُ بِسُرْعَةٍ.

- مَاذَا تَخْشَى يَا بِاسْمَ وَأَيْنَ مَا رَأَيْتَ؟

قَالَتْهَا عَاصِمٌ فِي دَهْشَةٍ وَاضِحَةٍ لِعَدَمِ

تَمَكُّنِهِ مِنْ رُؤْيَا شَيْءٍ أَمَامَهُ.

رد باسم:

- الذي يقف هناك.. لن تراه أبدًا، ليس
مقدر للجميع رؤية تلك العوالم، أحمِد
ربك كونه حجب عنك ما نراه الآن بأم
أعيننا.

احتمت كنده بزوجهها وهي تقول:

- إنه يقترب مني.. أنقذوني بالله عليكم.

وهي منهارة في بكاء شديد.

- لا تخافي نحن جميعًا هنا معك. أصيبت

بالهلع ظلت تصرخ لكن لا جدوى فهو

يستمر في التحرك كي يقترب منها، مرددًا:

- "لن أوذيك لن أوذيك، لا تخافي سأحميك

ب رؤلب ي ييمنهم".

بدأ باسم بترديد "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير" لم ينكف عن التردد فنصتت إليه كنده، وبعد أن قرأت آية الكرسي واطمأنت رددت الدعاء "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير" ظلت تردد بصوت عالٍ حتى اختفى ذلك الشيء من أمامهم، لكن قبل أن يختفي قام بضرب عاصم ومحمود وأسقطهم أرضاً، كان باسم يحاول إيقاظ محمود وعاصم بعد سقوطهم أرضاً.. ظل

يحاول مرارًا، لكن سرعان ما عاد ذاك الشيء ثانية وكلما ازداد قربه منها ازداد صراخها حتى تحدث لها وأخبرها أنه لن يؤذيها.

قالت في تعجب:

- ماذا تريد مني؟!

- انتبهي سيقتلك "معاون" ومن معه.

- من هو "معاون" ذاك؟

- صديقتك تعلمه جيدًا سلبها واطلبي منها

حل الأمر.

- أي صديقة أخبرني؟

لكن قبل أن يجيب دق الباب ودخل الحاج

شعبان فبدأ بالسلام ثم قال:

- لقد طلبتني يا عاصم باشا أهنأك جديد
في الأمر.

- ليس هناك أحدث مما أراه الآن أمامي.

تحدث باسم بتوجس وريبة شديدة هل ما
يراه حقيقة؟

- إذن لمّ أنا هنا يا سيد عاصم وقد أدليت
بأقوالي من قبل؟

قالها شعبان بتعجب فقد كان عاصم
فاقد الوعي إلى جواره باسم محاولاً إفاقته
وقد نجح في ذلك، رد عاصم عليه قائلاً
وبدا عليه التأثر من تلك السقطة التي
أسقطها له الشيء الناري منذ قليل:

- أريد التحدث معك عن الحادثة القديمة
تلك التي ذكرتها أثناء التحقيقات، ثم
ستعرض على النيابة بعد قليل يا سيد
شعبان.

- أي حادثة يا فندم لا أذكر شيئاً عمّ
تقول؟ لمّ أعرض على النيابة هل أنا متهم
أيضاً؟

لاحظ عاصم تحرك هواء حار اتجاه
شعبان، فنظر إلى باسم محاولاً إيجاد
فرصة لسؤاله عن ذلك الشيء الذي
أخبره أنه لن يراه، توجه الشخص
المشتعل إلى شعبان فخر على ركبتيه
خائفاً يقول:

- لم أفعل شيئاً صدقني.

نظر عاصم إليه فقال:

- قم يا رجل لم أوجه لك اتهامات، هيا قم
لنتحدث.

- انتظريا عاصم هو لا يتحدث معك بل مع
من نراه نحن.

- هو أيضاً يرى ما ترى أنت وتلك المختلة!
وضحك عاصم بسخرية:

- لن أصدق ما لا أراه اطمئنوا.

فأظهر ذاك الشخص نفسه إليه مردفاً:

- الآن تراني أنظر جيداً هل صدقت الآن يا
عاصم؟

انتفض عاصم مرتعشاً ثم تحدث:

- كيف أنت مشتعل وحي تتحدث معنا
ونراك كيف ذلك؟

- أنا لست حياً ولا ميتاً وجئت لأجلها هي،
بالمناسبة اتصل بعائلتك الآن كي لا تحترق
لأن بيتك يشتعل و"معاون" من أشعل
النيران فيه.

- من هذا "معاون"؟

- سل "فرج" من هو معاون؟ هيا أخبرهم
يا "فرج" من هو "معاون" لن أتركك.

* * *

دهش عاصم مردفاً:

- كيف تعرف ذلك لكن زوجتي هناك،

لن تخدعني فأنا لست مثلهم، سأتصل
لأطمئن عليها ليس خوفًا منك.

نظر إليه الشخص الناري بنظرة سخرية
شديدة يخالطها غضب مما أوقع قلب
عاصم في قدميه لما يرى منه، توجه
الشخص المشتعل لكنده بالحديث قائلاً:

- أنا هنا لحمايتك منهم لا تخافي.. تعالي إليّ
واتركيه لن يعيش طويلاً.. اتركه
سيقتلونه فتعالي إليّ سأحميك منهم
جميعاً.. استمعي إليّ إنهم يريدون قتلك،
صدقيني لن أؤذيك أبداً.

تحاول كنده إفاقة محمود متجاهلة من

يتحدث إليها وتحادث زوجها.. بقيت على حالتها مدة وأخرجت زجاجة عطر صغيرة رشت منها على منديلاً وحاولت جعله يشمها لكن بلا جدوى، فذهب باسم محاولاً إيقاظه، لكنه فشل فأخبرهم أن نبضه ضعيف وعلينا نقله للمشفى بسرعة، واتصل بالإسعاف ليأتوا وأخبرهم أن يسرعوا حتى لا يموت، لكن كان هناك شيء آخر قام بضرب الشخص المشتعل فأسقطه أرضاً لكنهم لم يروه بعد، وكانوا متعجبين مندهشين لم يحدث له وهو يكرر:

- سأقتلك كما تريد قتلهم لن أدعك

تؤذيمهم.

بدا ذاك الذي يضربه أقوى منه فكان
يتطاير في الهواء من هول الضربة حتى أنه
سقط من الشباك الزجاجي الكبير في
غرفة المكتب إلى أسفل المديرية وأحدث
فجوة في الأرض.. كأن نيزكًا هبط على تلك
الفجوة.

* * *

ظلت كنده تبكي وهي محتضنة زوجها
وخائفة لكنها كانت تتلو القرآن كي يشفى
سريعًا فهي تحفظه عن ظهر قلب، تقرأ
الرقية عليه وتدعو ربهما قائلة:

- يا رب ساعدني "اللهم إني أعوذ بك من

همزات الشياطين وأعوذ بك ربي أن
يحضرون".

استمرت في ترديد الدعاء ورقية زوجها.
حاول عاصم الاتصال بزوجته لكنها لم
تجيب، فأرسل إليها عسكري كي يطمئن
عليها.

- كيف تعرف ذلك الشيء الناري يا
شعبان؟ أجبني بسرعة.

قالها عاصم وقد برزت عروق وجهه من
الغضب فارتعب شعبان أكثر مما كان.

- لا أعلم من هو لكنه جاء بيتي عندما
استدعيتني المرة الماضية، عدت منزلي
وجدته هناك وكانت زوجتي ميتة من

الخوف حتى أنها حبيسة المشفى إلى الآن.
 - مشفى أخبرني الآن وإلا لن تخرج من هنا
 أبدًا.

- في مشفى الأمل يا فندم هي هناك منذ
 أول أمس.

كان شعبان مرتعب زائغ العينين، جسده
 كله مرتعش، لا يقوى على الوقوف؛
 فجلس على أقرب كرسي يجاوره وظل يردد
 المعوذات وسورة الإخلاص والفاتحة.

- يا حاج شعبان تفضل ارتشف بعض
 المياه ستفيدك الآن.

أعطاه باسم الكوب مبتسمًا حنونًا، ثم
 سأله:

- هل يمكنك أن تسرد عليّ ما حدث في منزلك؟ هل أخبرك بشيء عندما رأيته؟
وأخذه إلى غرفة أخرى كي يستطيع التحدث إليه.

- نعم أخبرني أن أبتعد عن المهندس محمود وزوجته، وألا أتحدث مطلقاً عن الحادث الذي ذكرته في التحقيق من قبل.
- وما السبب في ذلك يا ترى.. حاج شعبان ما اسم الساكن لتلك الشقة الملعونة كما يظن الناس؟ ولماذا قال لك يا "فرج"؟

- قال إنها ملعونة، حدث بها حادث فقط لكنها ليست ملعونة، ولا أعلم من "فرج".

- ذاك الشيء قال إنها ملعونة.. لماذا تحاول

إقناعي بالعكس مع العلم أنه صادق تمامًا؟ فلم أرَ منه إلا الصدق حتى الآن.

- أعلم يا سيدي، هل سيادتك ضابط

تعمل على القضية مع الضابط عاصم؟

- أنا أعمل معه، لا تقلق أخبرني فقد يأكلك

عاصم حيًا الآن.

- واضح عليه ذلك يا سيدي.. الساكن

القديم كان اسمه حمزة والذي سكن

بعده أحمد وكلاهما احترقت الشقة

واختفت جثث زوجاتهم.

- لحظة تلك الشقة حدث بها حادثين

متوالين.

- نعم.. الأول كان ابني الكبير البكري

والثاني كان شخص عادي استأجرها مني
بعد إصرار مريب.

- هل يمكنك أن تخبرني ما يحدث فيها إن
استطعت.

وحاول باسم التحدث معه بدهاء لظنه
المسبق فيه أنه يخفي شيئاً يمنع من
معرفتهم ما يحدث.. فسأله:

- كيف مات ابنك وما قصته؟

- ابني لم يموت.. فقط ماتت أقصد اختفت
زوجته وماتت ابنته.

- أين ابنك إذاً هل هو في القاهرة؟

- توفي في حادث سير بعد وفاتهما بسبعة

أشهر تقريبًا.. وحدث للساكن الثاني ما
 حدث لابني، احترقت الشقة واختفت
 زوجته وماتت الطفلة لكنه مات في
 الحريق نفس اليوم.

اندهش باسم لمَّ يسمع منه وشرد قليلًا،
 جاءت الإسعاف ليأخذوا محمود، لكنه
 بدا عليه شدة التعب لعدم استجابته
 لهم، قام أحدهم بمسك يده ليرى نبضه،
 لكن النبض كان ضعيف كاد قلبه يتوقف
 تمامًا، المسعفون يحاولون إفاقته وكانت
 تبكي وهي تمسك يده فأبعدها المسعفون
 وحملوه كي ينقلوه إلى المشفى، أخبروها
 بالابتعاد كي يستطيعوا حمله لكنها أبت،

سمع باسم ما يحدث فذهب إليها وقال:
 - سيكون بخير إن شاء الله لا تقلقي، تعالي
 معي هيا.

لا تعلم لمّ اطمأنت لكلامه لكنها تشعر أنه
 شخص مألوف لديها.. فقالت:

- لا أريد أن يحدث له شيء، إن قلبه
 ضعيف لن يتحمل تلك السقطة
 الشديدة، انتهوا عليه هوكل مالي، عشنا
 معاً في السراء والضراء، لن أدعكم تأخذوه
 مني.

أعطى شعبان الصورة لباسم وقال:
 - هذا ابني الذي أردت رؤية صورته.

نظر باسم للصورة بدقة و اندهش لمّ رآه،
 ثم أعطى كنده الصورة وأخبرها أن تلقي
 نظرة على من فيها، أخذت الصورة ونظرت
 فصعقت وألقته على الأرض بسرعة

- يا ربي ما هذا الذي أراه؟ كيف هذا أيها
 الطبيب أخبرني أحق ما رأيت؟

فغر "شعبان" فاه ظناً منه أنهم عرفوا من
 في الصورة لكنه حاول ألا يكون مرتبگًا..
 أسرع كنده خلف المسعفون وهي
 تصرخ:

- لا تأخذوه مني، انتظروني من فضلكم.

ولحقت بهم حتى تذهب مع زوجها، لكن

منعها عاصم لأن موعد عرضها على

النيابة قد حان.

- حاج شعبان هل لي أن أعلم تاريخ وفاة ابنك وفي أي منطقة كانت الحادثة؟ وأيضًا أريد رؤية الشقة التي احترقت مرتين، ومعلومات عن الأشخاص الذين سكنوها يومًا لعلي أصل لشيء يوقفنا على أصل القصة لنصل إلى الحقيقة.

- وكيف ستصل للحقيقة يا باسم دون علمي أليست تلك القضية مسئوليتي؟!

- اعتذريا عاصم.. ولكن يجب أن أذهب معك فهناك أشياء يجب أن أراها بنفسني لأتأكد من صحتها.

رن هاتف عاصم فأجاب مسرعًا:

- هل هي بخير يا مختار؟

- لا يا سيدي.. المنزل متفحم تمامًا والمطافئ قامت بإطفاء الحريق وهناك أشخاص بالداخل يبحثون عن يحتاج المساعدة.

جثا عاصم على ركبتيه قائلاً:

- ما تلك القضية التي قلبت حياتي رأسًا على عقب فجأة؟! يا رب دبر لي أمري.. لا أعلم ماذا يحدث.. زوجتي بريئة، ما علاقتها بعلمي؟ يا رب أنقذها إن كانت حية.

طلب عاصم عسكري ليأخذ كنده لعرضها على وكيل النيابة فقد حان موعدها وتبقى ربع ساعة فقط.. أخبره

باسم أنه يريد الذهاب معها فقال له:

- افعل ما شئت، ستعرض على نادر قريبك
لن يقول شيئاً إن ذهبت معها.

ثم أمر العسكري بأخذ شعبان أيضاً معه
للنيابة، وأخبر العسكري أنه سيذهب إلى
منزله ليرى ماذا حدث هناك ليخبر مدير
الأمن بذلك، ركبت كنده عربة الترحيلات
مع شعبان وبعض المجرمين.. كانت خائفة
مرتبكة لا تدري ماذا تفعل في أمرها خاصة
بعد تعب زوجها المفاجئ وعدم استطاعتها
الذهاب معه إلى المشفى، فكرت بالاتصال
بصديقتها هناء فأخرجت هاتفها من
حقيبة يدها فقال لها العسكري الذي

يجلس على باب السيارة أنها لا تستطيع
الاتصال بأحد هنا وأخذ منها الهاتف،
ظلت تبكي بصمت شديد فقط تناسب
الدموع على خديها دون إصدار أي صوت
سوى أنين بسيط، وصلت السيارة إلى
المحكمة حيث يعرضون على وكيل النيابة
العامة، لكن كان يوجد فقط رئيس
النيابة نادر فقاموا بعرضها عليه فرأى
وجهاً بلون الدم من البكاء ومعها رجل
يبدو عليه الخبث فأعطوه ملف القضية
والتقرير ثم شرع في سؤالها قائلاً:

- أولاً تفضلي اجلسي، هل أنتِ كنده؟

- نعم أنا كنده، لكن لم أفعل شيئاً سوى

إدخال المرأة منزلي وبعد ذلك توالت الأحداث.

- أجيبني على السؤال فقط لا تطيلي، من

هي شهدة؟

- هي تسكن في الشقة المقابلة لي لكن لا أعرفها مطلقاً.

- لماذا أدخلتها منزلك؟

- قالت إنها تريد دخول الحمام لأن لديها مشكلة في المياه.

توجه إلى شعبان بالحديث قائلاً:

- ما قولك في التهم المنسوبة إليك؟

- عن أي تهم يا فندم؟

- انكار السكان في الشقة المقابلة كي لا تتحاسب قانونيًا.

- يا سيدي لا يسكن أحد مطلقًا في تلك الشقة من ثلاث سنوات وأكثر.

- إذن كيف خرجت المرأة من تلك الشقة بحسب أقوال المتهم؟

- لا أعلم لَمَّ لا تكن تلك السيدة تكذب؟ ردت كنده بسرعة:

- لا أكذب مطلقًا يا سيد نادر والله لا أكذب.. خرجت من تلك الشقة أمامي وكان معها رجل وطفلة.

تحدث نادر إلى كاتب التحقيق كي يكتب

التالي:

- أمرنا نحن رئيس النيابة نادر بحبس المتهمين أربعة أيام على ذمة التحقيق.

ارتعبت كنده من تلك الكلمة كونها ستدخل الحبس مع المتهمين فسقطت أرضاً على حين غرة، قام نادر من مقعده محاولاً إفاقتها فقام أحد بطرق الباب ثم دخل.. كان باسم فأخبره نادر أنها سقطت ليحاول جعلها تفيق ثانية، جثا باسم على ركبتيه محاولاً إيقاظها فطلب منه كوب ماء وأسندها رافعاً رأسها، ثم أعطها كوب الماء لترشف القليل منه فشربت لكنها عادت للبكاء قائلة:

- أنا لم أقتلها لماذا تحبسوني مع المجرمين؟

ذهل باسم مردفًا:

- هل ستحبسها يا نادر؟

رد عليه نادر بتعجب:

- تلك هي القوانين ماذا أفعل؟

- لكنها بريئة.

- باسم كفى ترهات الآن لا أريد شيئًا من

تلك الأفكار.

- لقد أخبرتك بما يحدث لقد احترق منزل

عاصم بأكمله وماتت زوجته وهي حامل يا

نادر لمّ لا تصدق؟! ماذا تريد أن يحدث

أيضا؟

- لا شيء يا باسم من فضلك لا تتحدث عن
تلك الأشياء بمكتبي ثانية، نحن نتعامل
بقوانين وإثبات ملموس.. لا تبني الأحكام
على الافتراضات.

- نادر.. لا تقل أنني لم أخبرك، لكن ذاك
الشيء يخبرني الآن أن تتصل بزوجتك لأن
منزلك يحترق أيضاً.

- ماذا تقول يا باسم كيف تعلم ذلك؟

- سأخبرك بكل شيء في وقته يا نادر.. الآن
اطمئن لنتأكد.

اتصل نادر بزوجه هيام فأخبرته بما
يحدث قائلة:

- منزلنا احترق وسعدية بالداخل لم
 أستطع إخراجها.. المنزل بالكامل أصبح
 رماد لا شيء فيه على ما كان عليه أنا مع
 الأولاد أمام المنزل تعال لأخذنا إلى أمي من
 فضلك.

كان صوتها مرتعش وكانت منهارة، طمأنها
 وقال:

- سأتيكم حالاً حبيبتي، لا تخافي ولا تفزعي
 كوني قوية من أجل الأولاد.

- سأحاول يا نادر أن أتظاهر بالقوة من
 أجلهم.

قام نادر بإرسال العسكري سيد إليهم
 بسيارته الخاصة لأخذهم إلى منزل والدتها

حتى يأتي إليهم عندما ينتهي عمله، أخرج
نادر كاتب التحقيقات للخارج ثم توجه إلى
باسم بسؤال:

- كيف علمت بأمر احتراق منزلي أخبرني
الآن هيا؟

- هو من أخبرني ذلك يا نادر، لم أكن أعرف
ما حدث لكنني أخبرتك لنطمئن.

- من هو الذي أخبرك؟

- شخص يقف هنا في الغرفة لكنك لا تراه
إلا إذا أراد ذلك.

- هل تريد مني تصديق ذلك الآن؟

- لا يهمني إن صدقت يا نادر لكنني أخبرك

الحقيقة.

- حسناً حسناً انتظرنى لحظة.

قام بالاتصال بالعسكري الذي أرسله
قائلاً:

- هل وصلت إليهم يا سيد؟ الأولاد بخير
وأمهم أم لا؟

- نعم يا باشا هم معي في السيارة الآن
وجميعهم بخير لا تقلق.

- أعطِ الهاتف لزوجتي يا سيد هيا.

أخذت هيام الهاتف ثم تحدثت إليه

بخوف شديد:

- لماذا لم تأتي الآن؟ هل عملك أهم منا

دومًا يا نادر؟

- لا تخافي سأتي بعدما أنهي القضية التي أمامي.. فقط لا تقلقي، أخبريني كيف حال الأولاد؟ أريد الاطمئنان عليهم.

- بخير لا تقلق استيقظت منة بسبب قرب غرفتها من المطبخ الذي أضرمت فيه النيران، ثم أيقظتنا جميعًا فخرجت بهم لكن لا أعلم أين سعدية قد تكون احترقت بداخل المطبخ.

- سعدية قد تكون احترقت بالداخل،

أخبري سيد بعنوان والدتك ليأخذك إليها وخذي مفاتيح السيارة لربما تحتاجون شيئًا.

- كما تريد يا نادر لكن من فضلك لا تتأخر.

- يا رب ماذا حدث لنا كنا جميعًا بخير،
ماذا أصابنا؟

- لا تقنط يا نادر الأهم أن الله عز وجل
لطف بنا جميعًا، وأظن أن هناك فريق
يبحثون عن سعدية، أسأل الله أن يلطف
بها وبنا.

- لعله خير يا هيام سأنتظر الرد من فريق
البحث إن شاء الله.

سأل باسم صديقه نادر:

- هل يمكنني أخذها لترى زوجها في
المشفى؟ حالته متدهورة وسأعيد لها ثانية
لا تقلق.

- لا تستطيع يا باسم تعلم القوانين لا
يمكنك.

- من فضلك يا نادر هذا عمل إنساني فقط
ساعة واحدة وسأعيدها إليك.

- حسنًا.. ساعة واحدة يا باسم وسأرسل
معك عسكري لأضمن ذلك.

- كما تريد يا نادر أرسل من تشاء.

* * *

دخل محمود غرفة الرعاية المركزة،
أوصلوا الأجهزة به محاولة منهم أن يعيش،
لكن حدث شيء لم يتوقعه أحد فأرعبهم
جميعًا، حتى خرجت الممرضات سريعًا من
الغرفة وهن يصرخن، لكن الطبيب ظل في

الغرفة محاولاً توصيل الأجهزة بجسد محمود حتى بعد ما رأى ما كاد أن يجعله يهرب من الغرفة.. هناك من أجمه عن الحركة كي لا يضع محمود على الأجهزة، وصل باسم وظل واقفاً في الاستقبال يتحدث مع شخص أوقفه، لكن كنده ذهبت لغرفة الرعاية وكانت واقفة بالخارج تراقب ما يحدث في صدمة شديدة وهي تقول:

- ماذا يريدون من زوجي؟ لماذا أنا من يحدث لي ذلك؟

وقد كانت منهارة فهي مستيقظة منذ يومين فسقطت أرضاً في حالة مزرية ظل

الطبيب يحاول التحرك مرارًا، لكن كأن
 أحدًا يمنعه من الحركة، حتى الكلام لم
 يقوى عليه.. هنا نظر على من يقف خلفه
 فشخص عينيه وفغر فاهه، وهوى
 ساقطًا.

* * *

استيقظت "أمل" من نومها وكانت عيونها
 سوداء لا بياض فيهم وكان فمها يسيل منه
 دمًا، دخلت "هناء" فرأتها كذلك فقرأت
 المعوذتين والأولى تصرخ وتضع يديها على
 أذنيها ويزداد خروج الدم من فمها ومن
 جروح جسدها، وكانت تصرخ:

-اصمتي اصمتي

بصوت مريب لمن يسمعه، جاءت أمهم
على صوت صراخها وعندما رأتها كملت
فم "هنا" وقالت:

- اصمتي ستقتلها.

واحتضنت الأخرى قائلة:

- أنتم بخير لا تقلقي.

وقفت "هنا" مشدوهة قائلة:

- أنتم ماذا فعلتم؟!!

نظرت لها "أمل" والشرر يتطاير من عينيها
فخافت الأخرى وهربت مسرعة لغرفتها
خوفاً مما تحولت إليه أختها.

قد يأتيك الفرج على هيئة إنسان لا تعلمه،

لكن الله أرسله إليك لأمر أنت تجهله، قد

تأتيك روح هائمة تحادثك يومًا، حينها

حاول أن تكون مستمعًا جيدًا

هناك من يعتقد أنه يستطيع أذية الناس

بسحره لكنه مخطئ، فلن يضار أحد إلا

بإذن الله، وقد يأتيك الضر من أقرب

الناس إليك بل من أحبهم

فلا يعلم ما في قلوب العباد إلا رب العباد

قد يكون ابتلاءك في أهلك.. في من تحب،
لكن لا يجب أن يعرقلك شيء عن طريقك
إلى ربك فكل مسير لَمَّ خلق له فلا تبتئس
بما يفعلون.

الفصل الثاني

حديث الأرواح

استيقظت كنده فوجدت نفسها بمكان لا تعرفه تنظر في تلك الغرفة وعينها تدور في كل مكان فيها، حتى جاء أحد ليفتح الباب كانت امرأة عجوز..

فضحكت تلك العجوز لها قائلة:

- أخيراً استيقظت.. كنت بدأت أخشى عليك الموت، حمدًا لله على سلامتك يا ابنتي.

- سلمك الله يا خالتي، لكن من أنت وكيف أتيت هنا؟

- أنا أم باسم تذكريه؟ الطبيب الذي
أخذك من المشفى.

- أي مشفى وأي طبيب ومن أنا أتعرفين
من أكون يا خالتي؟

- أخبرني باسم أن اسمك كنده.

- حسنًا اسمي كنده ويبدو أنني لست
ابنتك.

- نعم يا حبيبتي، طلب مني باسم أن أهتم
بك.

رن هاتف الحاجة سعاد فنظرت إليه وكان
المتصل باسم ردت عليه بسرعة:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا ابني

كيف حالك؟ كنت سأتصل بك لكنك
سبقتني، استيقظت كنده بفضل الله لكني
لا أعلم ماذا أقول هي لا تذكر شيئاً حتى
اسمها وأهلها، ظننت أننا أهلها يا بني.

- لا تقلقي يا أمي أنا في الطريق إليك، سأمر
عليك لأراها ثم أعود لعملي.

- ألن تتناول الغداء معي اليوم أيضاً يا
باسم؟!

- لن أستطيع فلدي الكثير من العمل،
سأغلق الآن لأنتبه على طريقي يا أمي،
استودعك الله حبيبتي.

- استودعتك ربي يا بني ليحفظك وأخاك..
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

شردت سعاد قليلاً فقطعتها كنده قائلة:

- أهو قادم يا خالتي؟

- نعم يا ابنتي.. سيمر علينا بعد قليل إن

شاء الله، عليكِ تناول الطعام من أجلكِ

وأجل طفلك الذي في أحشائك.

شخصت كنده عينيها:

- أنا حامل أيضاً يا خالة؟!!

- كيف تنسين كل ذلك؟ لا يوجد أم لا

تشعر بحملها حبيبتي، لكن أعذرك حتى

نعلم ما بكِ، بعد مرور باسم سيتفحصك

إن شاء الله.

- لكن يا خالتي أريد حجابي أين هو؟

- تذكرتي الحجاب إذا.

ابتسمت ابتسامة عريضة..

- هناك أمل لا تقلقي، كنت قد غسلته

وقمت بكيه بعدما جف وتركتك نائمة في

سبات عميق.

- جزاك الله خيرًا يا خالتي.

ذهبت سعاد لإحضار حجابها الوردية،

وأحضرت معه جلاباب أزرق مائلًا للأسود،

وأخبرتها أن ترتديهم قبل أن يحضر أبنائها

وتركتها لتبدل ملابسها.

* * *

هنا تجلس في غرفة مجاورة تستمع إلى

حديث أمها وأختها، تتساءل في نفسها ماذا يحدث؟.. قامت توضأت للصلاة فصلت ركعتين ودعت ربها بحفظ أختها وشفاءها مما هي فيه، أمسكت هاتفها لتتصل بكنده لكن كان هاتفها مغلق، فدعت الله ألا يصيبها مكروه هي وزوجها. دخلت نجية وقالت:

- ماذا تفعلين يا هناء ألم أخبرك مسبقًا ألا تقرأي قرآن أمام أختك لأنها مريضة؟
- ما مرضها يا أمي لا تنسي أن القرآن شفاء من كل داء؟!!

- لن أعيد الكلام ثانية.. إن رأيتك تفعلي ذلك لن أرحمك.

- هل هذا تهديد لي؟

- نعم تهديد.. سأقتلك إن فكرتني في أذيتها
يا هناء.

- ماذا حل بأمل يا أمي؟ هل كل ذلك بسبب
أخذها معك عند ذاك الدجال؟

- ليس دجال بل شيخ كبير يعالج المرضى
من كل البلدان.

- هذه تخاريف يا أمي، ما يحدث معها له
حل بإذن الله، إن بحثنا سنجد من
يساعدنا، هل أختي بخير الآن إذًا؟

- هي بخير ما دُمتِ بعيدة عنها.

- يا أمي ما تفعلينه حرام.. يا أمي لا تؤذيها

أكثر من ذلك.

- أنتِ لا تعرفين شيء مما يحدث..
سينفعنا كثيرًا لكن نفدي كلامي فقط
وابتعدى عنها.

استمعت هناء لكلام أمها فحال أختها
يسوء يومًا بعد يوم، ثم أقدمت على
الاتصال بأي شخص يفيد في هذا الأمر.

* * *

ارتدت كنده الجلباب وكانت قبل ذلك
توضأت لأداء صلاة الظهر والعصر فقد
كانت نائمة منذ أن سقطت على الأرض
كما أخبرتها الحاجة سعاد، لا تعلم ما فاتها
من صلوات، نسيت أن تسأل الحاجة

سعاد، قامت بأداء صلاة الظهر والعصر..
 بعد الانتهاء خرجت من الغرفة وهي
 بالحجاب فقد يأتي الشابين في أي لحظة
 وهذا لا يصح، عندما خرجت سمعت
 صوت رائع يتلو القرآن بصوت ملائكي
 فشعرت أنها سمعته من قبل، دقت باب
 الغرفة لترى من يقرأ لكن منعها من
 الدخول الحاجة سعاد قائلة:

- لا يسمح لكِ الدخول حتى ينتهي وهو
 سيخرج بعد أن يفعل.

- آسفة، فقط أردت رؤية صاحب الصوت
 أظن أنني سمعته من قبل.

فتح الباب فجأة وقال:

- لا تعتذري كنت أريد الاطمئنان عليك..
 لكن أخبرتني أمي أنك تصلي فلم أستطع
 الدخول حتى تنتهي أيضًا.

نظرت إليه بغرابة شديدة وبدا عليها
 البلاهة لعدم معرفتها به، فسألته:

- حقًا أنت تعرفني أخبرني من أنا وماذا
 أفعل هنا؟

- أعرفك بنفسي لطالما نسيت من أكون،
 أنا باسم طبيب في مصلحة الطب الشرعي،
 التقينا في مديرية أمن القاهرة وكنت مع
 زوجك المهندس محمود.

بدت ملامحه مألوفة لها لكن عقلها يأبى
 التذكر، كانت تفكر ماذا كنت أفعل في

المديرية؟ من زوجي؟ أين أهلي؟ سألت الله
أن يقدر لها الخير ووجهت أسئلتها لباسم
ثانية.

- ماذا كنت أفعل هناك؟

قال باسم مكملاً كلامه:

- في مكتب نادر وعاصم.

قالت له:

- لا أعلم عن ماذا تتحدث، من هؤلاء؟

شعر باسم بالأسى على حالها، أفقدت

ذاكرتها؟! يا الله لم تتحمل ما يحدث

فدخلت في فقدان ذاكرة.. ماذا أستطيع

أن أفعل لها الآن؟، قاطعت أمه تفكيره

وسحبته من يده لتتحدث معه على
انفراد، وطلبت من كنده الجلوس في
الصالون.

* * *

دخلا غرفته وأغلقت سعاد الباب بعد أن
استأذنت من كنده.

- أخبرني يا بني من تلك المرأة وما قصتها؟
لماذا كانت في المديرية؟ لمّ زوجها في المشفى
الآن؟

- لا تخافي، هي ليست مجرمة هاربة كما
تظنين الآن؟

- أخبرني إذا من تكون لست مطمئنة

لوجودها هنا؟

- اطمئني يا أمي، إنها فتاة مسكينة يبدو أن أحدهم قد فعل لها شيئًا، أقصد سحر أو عمل لكي تخرب حياتها.

- سحر! لماذا أحضرتها هنا؟.. ألا تخاف علينا؟!

- يا أمي، في عملي رأيت أكثر الأشياء بشاعة، هل سنخاف من سحر؟

ضحك لها حتى بدت نواجذه فقال:

- يا أماه لا تخافي الحافظ هو الله.

ابتسمت مردفة:

- تعلم قلب الأم، يخاف على الأبناء وإن دب

في شعرهم البياض.

احتضنها بقوة قائلاً:

- دعاءك لنا يحفظنا جميعاً، لا تخافي لن
يخذلنا الله طالما تدعي لنا دوماً، هيا لنخرج
أريد التحدث معها قبل خروجي فزوجها
بحالة حرجة جداً.

فتح باسم باب الغرفة وارتسمت على
وجهه ابتسامة حينما رأي كنده واقفة
منتظرة مكانها لم تتحرك فسألها:

- ما زلتِ واقفة هنا؟

- نعم انتظرك لنتحدث ثم أخبرتك أنه
يجب عليّ الذهاب لزوجي.

- صحيح اجلسي لأخبرك بشيء.

روى لها باسم بعض الأحداث الأخيرة التي
مرت بها، لكن عقلها يأبى التذكر، وكانت
سعاد تراقب الوضع متخوفة على ابنها
من تلك الفتاة لرؤيتها انجذابه لها
واهتمامه بصحتها، خشيت أن يقع في حبها
وتجرحه خصوصاً أنها متزوجة أيضاً،
ظلت مراقبة لهم قائلة في نفسها كفى ما
حدث لك مسبقاً يا بني، ألا يكفيك وجع
قلبك.

ثم قال لها:

- لا بأس ستتذكرين مع مرور الوقت، فأنتِ
في حالة صدمة مما حدث لزوجك أمامك.

- ماذا حدث له أخبرني أهو محمود التي
ذكرته لي خالتي سعاد؟

- نعم.. هو محمود وما أصابه هو.. قاطعه
رنين هاتفه وكان المتصل نادر.. ألقى عليه
السلام

- سؤال ما الجديد في قضية كنده أخبرني؟
- كنت أعلم من البداية أن شعبان ذاك
يخفي شيئاً، وعندما سألتني يا باسم
أمتأكد أن اسمه شعبان بحثت خلفه وقد
كانت الإجابة أنه ليس شعبان الحقيقي بل
منتحل لشخصيته، ساعده مرض زوجة
شعبان وعدم استطاعتها الكلام على ذلك
كله، أقسم لكم لن أتركه.. كيف حالك

وكنده الآن؟

- بخير كلانا، لا تقلق.

- اسمع يا باسم تلك الفتاة تربت في ملجأ

للأيتام ليس لها أهل سوى من ربّتها، لكنها

توفيت منذ عامين فورثت عنها القليل من

المال في حساب باسمها في البنك، لم نجد

أي معلومات أخرى أثناء التحريات عن

أهلها لكن تعلم ذاك اليوم الذي دخلت

فيه الملجأ نفس تاريخ وفاة أمي وأختي.

حزن باسم لما سمع لكنه لم يهتم فرد

مسرّعاً ينبه نادر لشيء:

- أنصت إليّ جيداً.. إن الصورة التي جعلني

شعبان أراها حينما سألته عن ابنه كانت
صورة ذاك الشخص النصف مشتعل يا
نادر.

- ماذا تقول يا باسم لمّ لم تخبرني؟
- لم تكن في وضع يمكنني من إخبارك ذلك.
- حسناً، يجب عليك أخذها إلى المشفى..
- توفي زوجها بحادث فريد من نوعه.
- فغر باسم فاهه وشخص عينيه ثم خر
جالسًا على الأريكة المجاورة له مردفًا:
- كيف حدث لقد كان بخير؟!!
- لا نعلم.. احترقت الغرفة وظل سريره
بدون أي نيران، يبدو أنه اختنق.

- احترقت فقط.. ليس هناك شيء آخر؟!
 - نعم فقط احترقت، قالوا إن النيران
 اشتعلت من جراء نفسها.

- لكن صدقت ذلك يا نادر أنها اشتعلت
 من نفسها؟

- نحن نحقق في الأمر ولم يكن هناك أي
 مشكلة في الكهرباء حتى الآن، لا أريد أن
 استمع لترهاتك يا باسم، لا تذكر ذلك
 اليوم من فضلك.

- أتقول هذا بعدما حدث؟ ألم تعتقد أنه
 قتل محمود كما أشعل اللاب توب في
 مكتب عاصم ومنزله.. ألا تظن ذلك حقًا؟

- يا باسم كادت أسرتي تموت بسبب تلك القضية لا أريد أية متاعب، سوف نغلقها ويكفي ما حدث.. ماتت زوجة عاصم، وهو وجدوه ميتًا في مكتبه لكنه كتب اسم شهدة، فرج على الحائط.

- ماذا قال عاصم أيضاً؟ إذن كيف ستغلق القضية؟

- أنا المسؤول عن تلك القضية، سأتدبر الأمر كي أغلقها بعد إظهار حقيقة شعبان.

- كيف حال زوجتك وأولادك؟ أتمنى أن يكونوا بخير.

- بخير بفضل الله، ما زالوا لدى حماتي

فقد تفحمت الشقة قبل مجيء المطافئ،
الحمد لله أنهم بخير، لكن الخادمة
اختفت لا ندري أين هي؟! فريق البحث
الجنائي مازال يبحث عنها هناك.

- حمدًا لله، حفظهم الله لك من كل سوء،
هل فريق البحث الجنائي سيذهب لشقة
محمود أم سيبحثون لاحقًا

- هم هناك يا باسم.. ادع لنا بالتيسير لعلنا
نجد ما يبرئ تلك المرأة وزوجها، يبدو أنهم
ليس لهم دخل بما يحدث.

شرد باسم قليلًا.. وما دخل نادر في الأمر؟
لمَّ أحرقوا منزله؟ هو ليس له علاقة بكنده
وزوجها.. لمَّ قد يؤذوه وهو ليس طرفًا في

الأمر؟

- باسم هل أنت معي؟

- نعم لكني فقط أفكر، صحيح.. هي

فقدت ذاكرتها يا نادر كل شيء

بخصوص زواجها وما حدث بعد ذلك.

- أيمكن هذا، لكن كيف؟

- هناك حالات نفسية كثيرة مثل حالتها

تلك، يحاول الدماغ تناسي جزء معين من

الأحداث التي يتمنى أنها لم تحدث، قد

ينجح في ذلك لكن سيتم التذكر بعد

بضعة علاجات إن شاء الله.

- حسناً، سأنتظرك إن شاء الله لا تتأخر..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- وعليكم السلام، لن أتأخر بإذن الله.

* * *

أغلق باسم هاتفه متوجهاً لها بالحديث:

- كنده تفضلي تلك الحقيبة.. بها ثياب
تناسبك، ارتديها لنذهب لرؤية زوجك إن
شاء الله.

- ملابس جديدة، كيف اشتريتها تناسبني؟

- أنتِ أقل بقليل من أمي فاعتمدت على
ذلك، جربها ستجدي معها حذاء وحجاب.

- حذاء أيضاً؟!!

- ذاك استعنت بأمي لمعرفة قياسك فيه

لأن القديم انتزع عندما سقطتي على الأرض، أيضاً هاتفك أرسلته للتصليح.
ثم دخلت الغرفة التي كانت نائمة بها
وبدلت ملابسها وكان ذاك الفستان ذوقه
رفيع جداً، لونه بني مرصع بالزهور
البرتقالية والصفراء (زهور دوار الشمس
تحديداً) بدا مناسباً لها مع الحزام
البرتقالي الذي زين خصرها وكان
فضفاضاً كملابسها القديمة، ارتدت
عليه حجاب سادة من نفس لون الحزام
بدت فيه كشمس سطع نورها لتشع
الغرفة بريقاً خلاباً مع وجنتيها الوردية
بلونها الرباني، فلم تكن تضع أية مساحيق

تجميلية، كانت عينيها تتماشى مع ملابسها
كثيراً بلونها الرمادي المتداخل به لون
عسلي جميل، مما جعلها تلفت أنظارهم
فور خروجها من الغرفة.

ظل باسم متسماً في مكانه، عجزت عيناه
عن رؤية غيرها حتى ربتت أمه على كتفه
قائله:

- هيا يا بني تجهزت الفتاة لا تجعلها تنتظر
خذاها لزوجها.

انتبه باسم لها فأشاح بوجهه عنها مؤنباً
نفسه.. كيف أنظر لها هكذا، أين غض
البصر؟ ثم قال:

- هيا بنا فزوجك يحتاجك الآن.

بدا أنه يذكر نفسه أنها متزوجة بكلمته
تلك، ولم يكن أخبرها بعد أن زوجها توفي،
سلمت على أمه قبل أن تتبعه خارجه
فقالت:

- السلام عليكم خالتي سعاد أراكِ على خير
بإذن الله.. عفواً نسيت شيء في الغرفة
سأذهب لجلبه سريعاً.

دخلت كنده الغرفة لتجلب ما نسيت
وحينها سمعت صوتاً في الحمام، ذهبت
لترى ما هناك لكنها صرخت ثم تسمرت
مكانها.. ذهب باسم سريعاً لكنه وجد
الباب موصداً بإحكام، ظل يحاول فتحه
وسمع صوتها تتحدث مع أحد وهي تبكي

وتقول ابتعد عني وعندما فتح باسم الباب

جريت عليه واحتمت خلفه وقالت:

- ذاك الشيء هناك يقول لن أؤذيك

ويحدثني.. أرجوك أخبرني بما يحدث.

نظر باسم في الغرفة فلم يرَ أي شيء لكنه

قرأ بعض الآيات القرآنية منها آية الكرسي

كي تهدأ ثم خرجا سوياً من الغرفة.

- عن إذنك خالة سعاد.. نراكِ على خير

بإذن الله.

ردت سعاد مبتسمة:

- عليكم السلام، لكن يا ابنتي لن أراكِ

ثانية.. ستذهبين لزوجك وحتماً لديك

عائلة ستأخذك إن لم يتحسن.

حزنت كنده لهذا الرد، فلم تتوقعه، فهي
لا تعرف أحد غيرهم حتى الآن.

- انتظريا بني.. ماذا حدث في الغرفة ولماذا
تبكي الفتاة؟

- عندما أعود بإذن الله سأخبرك يا أمي.
خرجا من الباب ونزلا درجات السلم
مسرعين، ثم دلفا إلى سيارته، لم ينظر
إليها ثانية منذ أن صعدا السيارة وظل
طوال الطريق يستغفر ربه على ما فعل.
كنده قائلة:

- هل لي أن أسألك سؤال؟

فقال:

- تفضلي.. دون أن يلتفت لها حتى.
- هل أنت متأكد أن ذاك الرجل زوجي..
رأيت إثبات مثلاً؟
- لا أرى إثبات سوى رؤيتكم معاً في
المديرية، وأخبروني أنه زوجك هناك.
- كيف أثق أنك لا تقل هذا كي تتخلص
مني؟
- منك! لما تقولين هذا؟!!
- لا أعلم، شعرت أن الخالة سعاد تريد
هذا.
- هي فقط تخاف علينا من أي شخص،
عمومًا إذا كنت أريد التخلص منك لماذا

أحضرتك لمنزلنا من البداية؟ لا تخافي
فقط أريد مساعدتك.. ألن تخبريني ما
حدث في الغرفة اليوم؟

- نعم.. لا بأس كما تشاء، سأخبرك بعد
ذلك ليس الآن.. لا أريد تذكر ما حدث.

ابتسم قائلاً:

- هل أنتِ دائماً هكذا؟

- ماذا تقصد بذلك؟

- أقصد أنكِ تهربين بعدم إخباري بما
رأيتِ في الغرفة.

- ليس تهرب.. لكن كان مخيف جداً
وأحاول نسيانه.. لكن لماذا أحضرتني

لمنزلك برغم عدم معرفتك بي؟

- لحمايتك ليس إلا.

- من ماذا تحميني؟

- سأخبرك بكل شيء في وقته المناسب

فلتصبري قليلاً.

تمتتم في نفسها لَمَّ لا يخبرني ويطلب مني

الانتظار فقد لا أعود كما قالت امه؟!!

- هيا انزلي.. وصلنا إلى المحكمة، أسرعي

من فضلك نادري ننتظرنا منذ برهة.

نزلت وأغلقت الباب ثم سارت خلفه.. رآته

يعطي مفتاح السيارة لشخص لا يرتدي

زي عسكري ليقوم بركنها، وألقى عليه

السلام ثم دخلا المبنى سوياً، دق الباب
فأذن نادر لمن يطرق الباب بالدخول.

- سلام عليكم يا نادر كيف حالك
والعائلة؟

- عليكم السلام يا باسم، جميعهم بخير
بفضل الله، أريد الانتهاء من تلك القضية
بسرعة.

- لم تخبرني كيف ستفعل ذلك؟

امتعض وجه نادر غاضباً ثم قال:

- لماذا أحضرتها معك اليوم؟ ألم أقل تأتي
وحدك؟! دعها تنتظر بالخارج من فضلك.

- لا لم تفعل، كما تريد لكن لا تنسى أنها

كانت متهمة في تلك القضية ويجب أن تعرف كل شيء، ثم إن أمي لا تتحمل وجودها أكثر من ذلك، هيا أخبرني عن شعبان ما الجديد بشأنه؟

تمهد طويلاً ثم قال:

- الكثير.. الكثير يا باسم، اجلسوا سيأتي قريباً.

أخبره أن هذا الشخص ليس شعبان بل هو شخص آخر وجدوا له ملف في موقع الحكومة المصرية فزادت شكوك باسم حوله، لكنه ظل يستمع إلى نادركي يفهم ما يحدث ويحاول ربط الأحداث ببعضها، ذكر نادراً أن هذا الشخص كانت لديه ابنة

ولم يكن له ولد أبدًا والعجيب الآتي..

- عندما قمنا بالتحريات لنجد معلومات
عن تلك المرأة التي احترقت أمامك،
فوجدنا أنها ابنته وأنه ليس المذكور
شعبان، وزوج ابنته هو المتوفي منذ فترة في
حادث سيارة وليس محض الصدفة.. فقد
كانت بدون فرامل.

- أين شعبان الحقيقي هل علمت عنه
شيء؟

- بلى تم عمل ملف عنه ونحاول إيجاداه،
فلم يكن في سجلات الوفيات المصرية.

شردت كنده قليلاً تفكر فيما يحدث أثناء
وقوفها خارج المكتب، لكنها تدعي فقدان

الذاكرة..

تحدث نفسها بصوت خافت:

- شعبان ليس شعبان إذاً من هو ذاك
الرجل؟

سمعتها نادر أثناء فتح الباب ليودع باسم
فقال:

- هل تذكرين شعبان؟

قالت:

- أشعر أنني سمعت الاسم من قبل، لكنني لا
أعرف هل سأتعرف عليه أم لا.

- فقط انتظري حتى يأتي إليّ فقد تعرفيه.

- ألن نذهب إلى المشفى كما أخبرني دكتور

باسم؟

- ستذهبن حتمًا لا تقلقي.. ثم نظر إلى
باسم وقال:

- ألم تخبرها ما حدث بعد؟!

- لم أخبرها بشيء بعد، خشيت عليها بعد
ما حدث في منزلي.

- ماذا حدث هناك يا باسم؟

- أعتقد أنه جزء من بعض ما حدث في
المشفى ومنزلها من قبل، أشياء تعيد
نفسها أمامها.. يبدو أنهم علموا بفقدانها
للذاكرة ويريدون علاجها مثلنا.

وفرج شفتيه ضاحكًا.

- لا تسخر الآن يا باسم أخبرني التفاصيل،
قالها نادر بغضب شديد.

- لا تقلق فقط كان هناك من حاول لمسها
لكنها لم تخبرني ما هو حتى الآن من شدة
خوفها.

- حسنًا، ادخل إلى الغرفة المجاورة يا
باسم معها من فضلك حتى ننتهي من
التحقيق مع شعبان.

دق الباب.. رد نادر:

- ادخل كان الحارس ومعه شعبان..
استقبله نادر بحفاوة مصطنعة

- أهلاً وسهلاً يا سيد شعبان.. تفضل

بالجلوس، ماذا أطلب لك شاي أم قهوة
خذ راحتك؟

فقال:

- لا شيء، لمّ طلبتني يا بني؟ ألم تخبرني
بأنني لن يتم استدعائي ثانية؟ لماذا أرسلت
ورائي ثانية؟ أنا أترك زوجتي المريضة
وحدها كل مرة تريدني فيها يا بني.

- لا تقلق ستذهب لها بسرعة، فقط بعض
الأسئلة وسترحل.

توتر شعبان كثيراً من تلك المعاملة لكنه
حاول إخفاء توتره هذا ولم يستطع إخفاء
تصببه عرقاً.

- أخبرني.. هل لا زلت مصرّاً على أقوالك

أنك لا تعرف تلك المرأة التي قتلت في
بنايتك؟

- نعم يا سيدي لا أعلم من هي.

- حسنًا يا شعبان.. عندي أدلة ضدك
وشاهد على كذبك، تعال يا باسم من
فضلك.

- أهلاً يا شعبان

قالها باسم بنبرة تصيبه بالهلع أكثر مما هو
فيه.

- أهلاً يا باشا.. أعتذر لم أراك عند دخولي
وإلا كنت ألقيت السلام عليك أيضاً.

- لا بأس.. كنت أطلع على بعض الملفات في

الغرفة المجاورة لذلك لم تراني، ثم فاجئه
بسؤاله:

- هيا أخبرني كيف ماتت ابنتك؟

تلعثم فقال:

- ليس لدي ابنة، بل ابني هو من توفي منذ
مدة.

- ذاك من معك صورته في محفظتك هو
ابنك؟

- نعم أعطيتك صورته المرة السابقة.

- أعلم أعلم، لكن معلوماتي أنها كانت
ابنتك وزوجة الرجل الذي ادعيت أنه
ابنك.

- لا أعلم عمّ تتحدث، لماذا جلبتموني إلى هنا؟

قال نادر:

- لتخبرني الحقيقة.. وصدقني إذا فعلت ستكون عقوبتك مخففة، وإن لم تفعل أعدك ستتعضن في السجن حتى توافيك المنية.

وجز على أسنانه حتى ارتعب الآخر من نظرتة الغاضبة وتلك الحركة.

رد مستنكراً:

- عن أي عقوبة تتحدث؟! أنا لم أفعل شيء أعاقب عليه، أنا رجل كبير في السن،

أمرض زوجتي المريضة التي هي بحاجتي،
لم أفعل ما يعاقب عليه القانون.

قال باسم:

- كيف علمت أنه شيء يعاقب عليه
القانون؟

- باسم باشا من فضلك لا تفقدني
صوابي.

- فرج اعترف وإلا أدخلك نادر الحبس مع
المجرمين الآن، تلك الصورة التي أريتني
إياها لم تكن لابنك بل كانت لشخص
آخر.. من هو؟ اعترف بما فعلته.. هيا
تحدث بسرعة.

- اتركه لي يا باسم، لن يعترف هكذا، لدي
خبرة كبيرة في التعامل مع أمثاله، يا سيد
تعال بسرعة.

دخل سيد مسرعًا فأمره نادر بحبس فرج
في الحبس الانفرادي لحين عرضه على
النيابة ثم تراجع وأخبره ضعه مع باقي
المساجين وأخبرني بما يحدث معه، هيا
أخفيه عن ناظري الآن.

- من فرج هذا الذي تتحدثون عنه؟ أنا
شعبان يا باشا.

- كفاك إنكارًا إن لم تعترف بمكان شعبان
ستسجن، أعدك بأني لن أدعك ترى نور
الشمس ثانية.

ظل يصرخ:

- أنا بريء لا أعرف شيء يا باشا أتوسل
إليك.

وهو ذاهب للحبس رأى كنده واقفه
بالخارج فقال:

- أنتِ السبب وراء كل هذا الله ينتقم منك،
ثم جره العسكري وأخذه بسرعة.

- لماذا حبسته يا نادر، لمّ فعلت؟

رد نادر مستنكرًا:

- أجننت يا باسم.. شعبان مختفي وهو

منتحل شخصيته، أليست تهمة كافية في

نظرك لحبسه حتى تظهر الحقيقة.

* * *

كانت سعاد شاردة الذهن تفكر هل ستعود كنده مرة أخرى؟ هي لا تحبها.. تشعر بأنها خطر يهدد أبنائها.. حينما رأت عيني باسم وهو ينظر لها بدا عليه أنه معجب بها، تنهدت قائلة: كفى ما حدث لك من تحت رأس "منار" تلك الحية التي سلبتك كل ما تملك.. طفلك الذي لم أصدق أنه توفي حتى الآن.

دق الباب بشدة فقالت بتذمر:

- سأفتح لا تدق هكذا انتظر قادمة..
فتحت الباب فرأت قاسم يستند على

اثنان من المشفى.. صدمت.. ماذا حدث؟
ما بك يا قاسم أخبرني؟ لكنه لم يجيب.
فقال أحدهم:

- لا تقلقي يا أمي هو فقط في حالة
صدمة مما حدث في المشفى، أخبرينا أين
غرفته.

فأشارت لهم بيدها وأغلقت الباب ثم
ذهبت خلفهم مسرعة لتفتح باب الغرفة..
وضعاها على السرير تاركين لها الأدوية
الخاصة به وخرجا من الغرفة.

خرجت ورائهم قائلة:

- تعال يا بني من فضلك أخبرني ما به ابني.

- والله لا نعلم شيئاً يا أمي، كان يطمئن، على أحد المرضى في غرفة الرعاية المركزة وسمعناه يصرخ فذهبنا مسرعين.. وجدناه ملقى على الأرض، حاولنا التحدث إليه لم يتحدث، كشف عليه طبيب من القسم النفسي فقال أنه تعرض لصدمة، ولا أخفي عنك.. المريض الذي كان في الرعاية توفي.

- رحمه الله.. هل كان قاسم يعرفه معرفة شخصية وصدمة عندما توفي؟

- لا أعلم يا أمي حقاً.. عندما يتحدث سنعلم كل شيء إن شاء الله، لكن غرفة الرعاية احترقت كلها فيما عدا المتوفي،

ظل دون أن تمسه النيران.. هذا ما جعلنا
 جميعًا نفكر في كيفية حدوث ذلك، هذا
 رقم هاتفي ابقيه عندك لأطمئن على
 قاسم كلما سنحت لي الفرصة، وإن
 احتجت شيئًا سأكون في خدمتك يا أمي.

شردت سعاد وهي تفكر في ابنها الصغير وما
 حدث له والكبير مشغول مع تلك الفتاة
 التي سلبت عقله وهي متزوجة وحامل.. لا
 أعلم ماذا يحدث لكنها سبب كل شيء
 يحدث لنا الآن أنا واثقة من هذا.

قاطعها الطبيب صديق قائلًا:

- سنرحل الآن.. عن إذنك يا أمي.

طلبت منه البقاء قليلاً لكنه رفض فعقبت
بشكره.

- جزاك الله خيراً يا بني، بارك الله فيك.

أغلقت الباب ثم دخلت على قاسم
فتحدثت معه فلم يجيبها وكان شاخصاً
عينية ولم ينظر إليها حتى، قامت تتصل
بأخيه باسم.. ظلت تتصل ولم يرد
فتمتت قائلة:

- ما دام معها سينسى أمه وكل شيء..
أعدك يا باسم لن أترك تلك الفتاة تدخل
حياتنا أكثر من ذلك.

* * *

- ما الذي يدور في رأسك يا نادر ولماذا
حبست الرجل؟

- أخبرتك منذ برهة أنه ليس شعبان.. لا
تتحدث في الأمر كثيرًا هو سيبقى في الحبس
حتى يعترف أين شعبان الحقيقي.

- إذا لمّ طلبت مني الحضور هنا؟

- هل ذهبت إلى المشفى لترى زوجها؟

- كنت ذاهبًا بها واتصلت كي آتي..
أنسيت؟!

- لم أنس.. لكن هل تذكرت أي شيء؟

زوجها توفي اليوم منذ ساعات قليلة ألم
يخبرك قاسم؟

- لم يخبرني قاسم بشيء، لم تنسى اليوم أشياء كثيرة ليست تلك عادتك؟ كيف مات محمود؟

- اسأل أخيك هو من رأى وليس أنا. لم يتحدث قاسم بشيء منذ الحادثة التي رآها في غرفة الرعاية وحين اتصلت ثانية أخبروني أنه في صدمة مما حدث ولم يتفوه بكلمة واحدة.

انتفض باسم و اقفًا ليذهب لأخيه ولكن أخبره نادر بوجوب الذهاب بها إلى المشفى لكي ترى زوجها قبل أن يتسلم جثته أهله غدًا لأنهم على سفر ولا يريدون أخذها مع ابنهم.. يبدو أن هناك خلافات بينهم وقد

تتذكر أي شيء يساعد في حل القضية
المستعصية علينا هذه.

أخبره باسم:

- سأذهب بها لترى زوجها ثم أعود لأخي،

لكن من فضلك إن جد جديد أخبرني.

- بالتأكيد.. اذهب الآن وكن على تواصل

معي.

خرج باسم فقال لها:

- هيا بنا لنذهب للمشفى سريعاً كي نعود

إلى أمي.

نظرت لوجهه الذي بدا عليه تعابير القلق

ثم أردفت:

- هل حدث شيء؟

- لا لا ليس هناك شيء.. اطمئني.. هيا بنا.

انطلقوا مسرعين وركبا السيارة وقام
بالقيادة بسرعة قصوى.. لم ينبث ببنت
شفه لكنها خافت من تلك السرعة
فقالت:

- هل يمكن أن تقلل السرعة أنا خائفة
جداً؟

- آسف.. سامحيني سأهدأ قليلاً أعتذر
بشدة.

- ماذا هناك أنت قلق من شيء؟

- بلى.. قلق جدًّا، أصاب قاسم مكروه و أنا
لست معه.

- إذا هيا نذهب إلى منزلكم لتطمئن.

- لا.. يجب أن تري زوجك اليوم، لابد من
ذلك.

- أنا لا أعرفه حتى فلم أراه؟

- لأنكِ تحمليين طفله في أحشائك.

- هذا ما يقلقني.. كيف أعود إليه أنا لا
أذكره، لا أعلم شيء عنه.

- لا تقلقي كثيرًا.. هو مازال في المشفى،
ستعودين معي للمنزل ثانيةً.

اطمأنت لمّ قال وصمتت طوال

الطريق.. وصلا إلى المشفى وطلب منها
النزول فنزلت ثم نزل خلفها وأخبرها ألا
تخاف فلن يتركها من الآن فصاعدًا قبل
أن يطمئن عليها وسط أهلها.

- لا تقلق لست خائفة لأنك معي وأعلم أنك
لن تتركني.. لا داعي لقول هذا، أنا حقًا
أشعر بالأمان طالما أنت بجواري.

تعجب من ردها لكنه لم يرد وظل
متجهماً لخوفه مما قد يحدث داخل
المشفى..

- إذا هيا بنا ندخل وليلطف الله بنا جميعًا.

دخلا سوياً فسأل في الاستقبال عن محمود والطبيب صديق المسؤل الآن عن تلك الحالة فأخبراه أين يجد الطبيب ثم ذهباً سوياً إليه، طرق باسم الباب فأذن صديق للطارق بالدخول فدخلا.

- مرحباً يا دكتور باسم كيف حالكم جميعاً؟

- بخيراً صديق الحمد لله كيف حالك؟

- الحمد لله بخير.. هل أتيت لأجل ما حدث لقاسم أم محمود؟

- أريد معرفة ما حدث للثان؟ أيضاً رؤية محمود بعد أن تخبرني.

- لا أعلم ما حدث لقاسم.. لكن أعلم ما حدث لمحمود رحمه الله.

هرعت كنده مات كيف لي أن أعرف من أنا الآن يا ربي، لمَّ يحدث لي كل ذلك الآن، تلك السيدة لا تريدني بمنزلها، ماذا أفعل الآن؟
يا رب دبر لي أمري.

رأى باسم وجهها عند سماعها الخبر فقال:
- لا تخافي أخبرني نادر بالأمر، لكنني خشيت إخبارك أثناء الطريق، لكنني أحضرتك كي تلقي آخر نظرة عليه.. هي آخر فرصة لك، من الممكن أن تتذكري أي شيء.

- دكتور باسم هيا كي ترى الجثة الآن
لأننا نريد أن نقوم بتشريحها بعد

قليل.

- لمَّ التشریح ألم تكن الوفاة طبيعية؟!
هل استأذنتم أهله؟

- لم تكن طبيعية، هناك شيء حدث لازلنا
نجهله، وكنا سنرسلها إليكم فأنتم
المتخصصون وهذا ما سنفعله بإذن الله..
ونحن بالفعل أرسلنا لأهله لكنهم جميعًا
على سفر، اتصل بنا أخيه رافضًا أن
يمس جسده أحد، لكننا نحاول التواصل
معه ثانيةً.

- ماذا حدث لكي تشك في وجود

شيء؟

- ستري بنفسك الآن يا دكتور باسم
وَأتمنى أن تخبرني بسبب الآن لأن فضولي
يحيرني.

ذهب ثلاثتهم إلى المشرحة كي يجعلوها ترى
زوجها لأخر مرة وهي لا تتذكره من الأصل
لكن ظنوا أنها قد تتذكر من تكون.

فتح صديق باب المشرحة وقال:

- تفضلوا.

اقشعر بدنهما.. ظلت بالخارج.. بدت الريبة
والخوف على وجهها، طمأنها باسم قائلاً:

- ابقى خلفي ولا تخافي نحن معك.

- يا دكتور باسم هوفي الدرج رقم 7 سأفتح
الآن استعدوا.

صرخت كنده خوفاً أول ما فتح، لكنها لم
ترى وجهه فهو مغطى بملاءة بيضاء لم
يكن يظهر منه شيء.

- التفتي من فضلك سأراه قبلك
قالها باسم بحزم.

عندما نظر إليه لم يرَ عليه شيء كان وجهه
مضيء كالبدر، فدمعت عيناه قائلاً:

- هيا انظري ليس هناك شيء.

نظرت إليه بحزن وشفقه وقالت:

- كيف مات هل كان مريضاً؟

- أجب يا صديق هل كان مريضًا
 - لا أعلم.. أنت تعرف أني لم أكن
 المسؤول عنه بل قاسم، حتى مرض
 فجأة واستلمت رعايته بعد وفاته.
 كالملاك نائم لا يظن أحد أنه ميت أبدًا..
 اقتربت ووضعت يدها على وجهه وقالت
 وهو دافئ أيضًا.

تعجب باسم وتمتم

- لا يمكن أن يكون دافئًا وهو في ثلاجة
 الموتى لكن لا بأس فكل ما يحدث غريبًا
 سأفقدّه.

وضع باسم يده على جبينه وقال:

- هو ساخن جدًا.. ثم أخذ رسغه ليرى

نبض يديه ووجد فيه نبض فقال:

- هو على قيد الحياة كيف وضعتموه هنا؟

هيا لنخرجه يا صديق أجلب النقالة.

ظل صديق متسمراً لوهلة وقال:

- حسناً هذا ما كنت أريد تفسيره منك،

سأجلبها.

وتحرك مسرعاً، جلبها وحاول مساعدة

باسم ولكن ما حدث أثار صدمة لهما...

فعندما حاولوا إخراجه ليضعوه على

النقالة (سرير متحرك في المشفى) شخص

عينيه فجأة فارتعبوا جميعاً والتصقوا

بالحائط المجاور.

بكت كنده بشدة وحاولت الخروج من
الغرفة لكن الباب كان موصدًا بإحكام
كأن أحدهم أغلقه من الخارج، جثت على
الأرض وهي تصرخ وتبكي.

انتبه باسم لها فتماسك ثم عاد لينظر
لمحمود فوجده مغمض العينين ثانية،
استغفر الله واستعاذ من الشيطان
الرجيم وقال

- هيا يا صديق ساعدني لقد خيل لنا ما
حدث.

قام صديق يرتجف يقرأ آية الكرسي
لمساعدته في نقل محمود على النقالة، ثم
طلب منه باسم أن يحضر السماع

ليكشف عليه هنا، فخرج مسرعًا كأنه كان
 ينتظر أن يطلب منه شيء ليتركه ويخرج.
 - لا تخافي.. أنا معك إذا أردت أن تقفي
 بالخارج اذهبي.

خرجت كنده من الغرفة وظل باسم
 بالداخل مع الجثة وفجأة أمسك شيئًا يده
 فنظر في خوف فإذا بمحمود يتمسك بيده
 قائلاً:

- أخرجهم أنقذهم بصوت مرتعش خائف.
 فرد باسم بصوت متحشرج:

- من أنقذ.

فقال:

- زوجتي وطفلي.

شخص باسم عينيه قائلًا:

- كيف عرفت بأمر الطفل؟

وظل يستعيز بالله من الشيطان في سره.. فأخبره أن من قتله أخبره بحمل كنده وأرادوا قتلها وقتل الطفل.. حاول باسم سحب يده منه لكنه تأذى احترقت يده من حرارة محمود ثم جلس على الأرض مرتعبًا وبدأ بقراءة القرآن.. كان خائفًا من مظهر وجهه الذي أربعه بشدة، لم ير مثل هذا الوجه مطلقًا، كان وجهه ملائكيًا جميلًا.. كيف تحول هكذا فجأة، احترق محمود كالجمر المشتعل أثناء محاولته القيام

ليذهب لباسم، لم تكن هناك نار ظاهرة
 تراها عينه حوله، لكنه سمعه يقول قبل
 أن يحترق كاملاً ساعدهم يا باسم
 ساعدهم، وأصبح كالرماد المتطاير في
 الغرفة.. هلع باسم جاثياً على الأرض باكياً
 يقرأ القرآن ويقول:

- يا رب لا تجعلني أرى هذا ثانيةً، لن أتحمل
 أكثر يا رب.

دخل صديق وهو يرتجف

- ماذا حدث؟

- احترق يا صديق بدون نار.. لا أعلم كيف
 لكني رأيتة يحترق كالجمر ولم يظهر نيران
 حوله.

- أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ.. إِذَا هَذَا مَا حَدَثَ
لِقَاسِمٍ لِأَنَّهُ كَانَ خَائِفًا وَلَمْ يَتَحَدَّثْ.. لِأَبَدٍ
أَنَّهُ رَأَى شَيْئًا.. هِيَ لِأَدَاوِي جَرْحِكَ.

تَأْخُذُهُ وَكَانَتْ يَدُهُ مُحْتَرِقَةً بِشِدَّةٍ وَضَعُ لَهُ
مَعْقَمٌ ثُمَّ مَرَّهَمًا وَلَفَّ يَدَهُ بِالضَّمَادَةِ
الطَّبِيبِيَّةِ وَسَمَحَ لَهُ بِالخُرُوجِ.

خَرَجَ بِاسْمِ مَسْرَعًا مِنَ الْغُرْفَةِ مَخْبِرًا كُنْدَهُ
بِالْمَجِيءِ خَلْفَهُ.

* * *

دَخَلَ صَدِيقُ الْغُرْفَةِ ثَانِيَةً لَكِن تِلْكَ الْمَرَّةَ
لَمْ يَكُنْ بِهَا شَيْءٌ، وَوَجَدَ مُحَمَّدٌ مُمَدَّ كَمَا
كَانَ فِي الدَّرَجِ رَقْمَ ٧ فِي الْمَشْرَحَةِ، وَقَفَ
مَشْدُوهَا لَمْ يَرَاهُ مُصَدُومًا.. لَمْ يَرِ فِي

عمله مثل ما يحدث الآن، خرج من
المشرفة ذهب لغرفته ليتصل بباسم لكن
هاله ما رآه أمام المشرفة.. حاول الحراك
لكنه لم

يتركه يتحرك فوجه له كلامًا قائلًا:

- ابتعد عن طريقي، لا تخبر أحدًا بما رأيت
وإلا كان مصيرك كصديقك الطبيب.

كان صديق يحاول التحدث لكنه كان
متلجم اللسان فجعله ما أمامه يتحدث
فبدأ بقراءة المعوذتين فصرخت به صرخة
مدوية لا تفعل وألجمت لسانه ثانية

- إن قرأت شيء سأقتلك أيها الطبيب. ثم
ألقت به على الأرض واختفت تمامًا.

بعد مدة قصيرة جاءت ممرضة فرأت
صديق على الأرض يسيل من رأسه دماء
فأسرعت بنداء التمريض فنقلوه لمكتبه
وقاموا بتطهير جرحه وربطه.

شكرهم صديق طالبًا منهم تركه يرتاح
قليلاً، بعد ذلك حدث نفسه بصوت عال
- ترى ما رأيت منذ قليل حي أو ميت لكن
بدا كبشري صوته أجش لكن قدراته
غريبة مخيفة جدًا، يجب أن أتحدث مع
باسم بسرعة لكن ماذا عن تهديده؟ دبرني
يا رب.. لكن محمود لم يحترق يجب أن
أخبره بسرعة. فأرسل له رسالة أن جسد
محمود كما هو ليس به شيء.

* * *

ركبا السيارة وهو يقود أمسك هاتفه فرأى
مكالمات والدته، لم ينتبه للرسالة الواردة،
فاتصل بنادر أولاً.. - السلام عليكم ورحمة
الله وبركاته.. نادر احترق محمود أيضاً لكن
تلك المرة مختلفة.

- كيف أخبرني؟ هل تذكرته زوجته؟

- لا لم تتذكروا أعلم كيف احترق، لكنه
حدثني أمسك بيدي واحترقت يدي منه،
لكني لا أستطيع رؤيتك قبل أن أرى قاسم.

- أنني ما ستفعل ثم تعال إليّ، سأنتظرك.

أغلق الهاتف ثم قام بتشغيل القرآن
الكريم وبدأ على وجهه الخوف.

ظلت كنده صامته متجهمة الوجه حتى
 وصلا إلى المنزل، صعدا في المصعد ثم رن
 جرس الباب، ففتحت سعاد مندهشة
 لعودة كنده معه ثانية ونظرت إلى يده
 وجدتها مغطاة بشاش فشعرت بغصة في
 حلقها.

- ماذا حدث لك يا بني؟ ولمَّ عادت معك
 تلك الفتاة؟

تنهد باسم ونظر إليها بغضب تاركاً إياها
 وراءه وذهب للداخل مسرعاً سائلاً عن
 أخيه.

ردت أمه بغضب

- وهل يهمك أحد؟ أنت نسيت كل

شيء منذ مجيئها!

- يا أمي من فضلك، أرجوكِ اصمتي قليلاً
وأكرمي ضيفتنا.

توجه باسم إلى غرفة أخيه فوجده
شاخصاً عينيه في اتجاه واحد ولا ينظر
إليه، فقام بغلق القرآن ليتحدث معه
فبدأ قاسم بالصراخ

- لا تغلقه سيأتي إلي.. سيأتي يا باسم
افتحه ولا تغلقه.

- من سيأتي؟ أنت في البيت لا تخاف.

- لا.. أرجوك لا تغلقه.. كان هنا.. رأيتته.

- من يا قاسم؟ ممّ أنت خائف؟

- من هذا.. وأشار إلى الحمام.. هو يقف
هناك أنقذني منه.

- ليس هناك شيء أو أحد.. اهدأ أنت
فقط.

وضع باسم يده على رأس أخيه وبدأ يرقيه
حتى نام، فتح القرآن جواره ثانية وترك
باب غرفته مفتوح ثم خرج.

- هل هو بخير؟

سألت كنده في قلق لأنها سمعته يصرخ.

- لا أعلم.. سأتصل بصديقي ليأتي ويراه.

- لكن أنت طبيب.

- هو لا يحتاج لطبيب بل لمعالج بالقرآن،
 قد يكون رأى شيئاً مما رأيناه في المشفى
 اليوم وهو ضعيف لا يتحمل، وقد يميت
 هذا البعض.. مرعب كلمة بسيطة لمّ نراه
 منذ مدة.

- يميت لتلك الدرجة!
 تجهمت وخافت وظلت جالسة تقرأ آية
 الكرسي.

- دعيني اتصل برفيق الآن.
 وأخذ هاتفه واتصل برفيق فرد عليه بعد
 عدة محاولات.

بدا اسم رفيق مألوفاً لكنده، حاولت
 التذكر أين سمعت اسمه مسبقاً.. أو كيف

تظن أنها تعرفه أيضًا، فكتبتة في ورقة
ووضعتها في حقيبتها البنية.

- سلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا رفيق
كيف حالك؟

- الحمد لله بخير يا دكتور كيفكم أنتم؟
- بخير.. لكن على ما يبدو أن قاسم ليس
بخير، هل تستطيع المجيء اليوم لتراه؟
- نعم بعد صلاة العشاء بإذن الله فلدي
عمل مهم اليوم.

- إن شاء الله سأنتظرك بعد العشاء
ونتعشى سوياً.

- إن شاء الله يا باسم، سأمر عليكم اليوم.

خرجت سعاد من المطبخ معها صينية
عليها طعام.. كانت تتحرك باتجاه غرفة
قاسم، أوقفها باسم وقال:

- اتركه لقد نام، إذا استيقظ يأكل بإذن
الله.

- اتركني يا باسم لم يأكل منذ الصباح.

- من فضلك يا أمي اتركه مرتاح قليلاً.

وأخذ الصينية ووضعها أمام كنده وقال:

- هيا كلي أنتِ لم تأكلي منذ الصباح أيضاً

ولا يجب ذلك لابد أنك جائعة.

امتعضت سعاد لفعله ذلك أمامها الآن،

وعادت لغرفتها وهي تمصمص شفيتها

بغیظ وتقول فی نفسها سأخرجك من بیتي
أيتها الملعونة قریبًا.

سأل باسم متحیرًا:

- ممّ تخافین الآن جميعنا معك؟

- لا أعلم.. ربما من المجهول، توفي زوجي
وأنا حامل، لا أعلم ماذا سيحدث بعد
ذلك وأین أهلي؟

- لا تخافي من ذلك، يبحث نادر عن
عائلتك، وقد وجد عائلة زوجك
وسيستلمون جثته كي يدفن غدًا بإذن الله
لأنهم على سفر وسيعودون صباحًا بإذن
الله، لكنهم لم يريدوا أخذك معهم.

صعقت كنده وقالت:

- لماذا لا يأخذوني هل يكرهونني؟
 - لا أعلم.. لكن توفي ابنهم ويظنون أنه
 بسببك.

- لكن كيف أكون سبب موته؟
 - سنرى كل شيء قريبًا بإذن الله، أنا ذاهب
 غدًا للمقابر معهم.

تدخلت أمه أثناء حديثهم قائلة:
 - كيف تذهب لعزاء شخص لا تعرفه؟
 كيف تترك أخاك وتذهب؟ أصبح لا يهتمك
 شيء!

- أمي.. رفيق قادم بعد صلاة العشاء
 بإذن الله ليرى قاسم، لا تقلقي أنتِ.

قالت مقتضبة الجبين:

- ماذا عن تلك المرأة هل ستظل هنا؟

- أمي أخبرتك أنها ضيفتي من فضلك
أكرمها.

- ضيفتك! نعم علمنا ذلك من تكرارك
للأمر مرارًا وانصرفت غاضبة.

* * *

جالسة تبكي قلبها منفطر على ابنها الذي
علمت بموته تردد:

- يا حبيبي يا محمود ترى ما حدث لك
بسبب تلك الفتاة التي تزوجتها رغمًا عني.

تهديها "آية"

- لا تقولي هكذا يا أمي هذا مقدر له لو لم يكن لما حدث.

- تقولين هذا لأنها صديقتك فقط، لو لم يتزوجها لم يكن ميتًا ولم أحرم منه يومًا. تحدثت "ملك":

- هذه هي "نبيلة سلام" تؤنب نفسها
دومًا لم يحدث لأبنائها، ثم ألم تخبريني أن
أخي حبيبي في المشفى وسيخرج عندما
نعود بإذن الله؟ لم تنتحبين الآن عليه؟! أه
قد يكون هناك شيء مخفي عني لأنني كنت
مريضة كما تعرفون هيا أخبريني الآن وإلا
سألقي عليك تعويذة الصراحة.
ضحكت "آية" بحزن وأمها قالت:

- اصمتي قليلاً ولا تنسي نحن في طائفة
سيظن الجميع أنك مجنونة.

وأمهم في نفسها حزينة هي لا تستطيع
إخبار ملك بسبب مرض قلبها الذي ورثته
عن أبيها كما ورثه محمود.. تخشى أن
تنتكس ثانيةً وتخسرهما كما خسرت ابنتها
وزوجها، فضلت أن تظل حزينة بداخلها
ولا تظهر لها وقد نهت على ابنتها الكبرى ألا
تخبرها أيضاً حتى لا تمرض ثانيةً.

* * *

- أَلن تَأكل يا دكتور باسم معي؟ لم
أعد تناول الطعام وحدي.

- لم تعتادي! يبدو أنكِ تذكرتي شيء.. شرد
فجأة يفكر كيف يخبرها أنها تربت في ملجأ
أيتام وليس لها أحد؟

ظلت تتحدث حتى تخرجه من شروده:- لا
تقلق سيكون بخير بإذن الله.. هيا تناول
معي الطعام، لا أحب تناول الطعام
وحدتي.

نظر إليها قائلاً:

- سأجلب طبقًا و آتي فأنا جائع جدًا.

ذهب إلى المطبخ فوجد أمه هناك فقال:

- هل يمكنني تناول الطعام اللذيذ الذي
طبخته يداك يا جميلتي؟

لم تعيره اهتمامًا وأدارت وجهها، ثم جلبت طبقًا وقامت بوضع الطعام فيه وقالت غير ناظرة له:

- اذهب لتناول الطعام مع المشؤومة التي جلبتها إليّ.. لا تعرف إلا الخبيثات دائمًا
استغرب باسم ذلك الرد العنيف منها
فأخذ الطعام..

- تعلمين لا أطيق حزنك بسببي
فقبل يدها وخرج للجلوس مع كنده،
فراها تنتظره للطعام فقال لها:
- هيا نأكل سويًا.

كان ينظر إليها أكثر مما يأكل، وكانت سعاد
تراقب الوضع من خلف ستارة المطبخ،
وتتهد لم يفعل ابنها الكبير وتقول في
نفسها سأبعدها عنك قريبًا يا بني كمن
قبلها، يبدو أنك في مرحلة مراهقة متأخرة
الآن.

فجأة غط باسم في نوم عميق وبدأ في
كابوس مزعج، بدا ذلك واضحًا على
وجهه، جاءت أمه تحاول إيقاظه لكنه لم
يستيقظ بل ظل نائمًا كأنه وضع له نومًا
في الطعام، جلبت سعاد غطاء وقامت
بتغطيته.. وبخت كنده قائلة: - كل ما
يحدث لنا بسبب وجودك في منزلي.

كان عقل باسم أثناء نومه المفاجئ يفكر
 فيما سيحدث مستقبلاً يتخيل أنه مع
 كنده يتحدث، ثم فجأة دق الباب وذهب
 باسم ليفتح فوجد رفيق فقال: - أهلاً
 وسهلاً بك..

احتضنه بقوة وسلما على بعضهما كأنهم
 لم يروا بعض منذ سنوات طويلة، فدعاه
 إلى الطعام ونادى على أمه قائلاً:
 - يا أمي جاء رفيق اجلي الطعام. خرجت
 فرحة قائلة:

- أهلاً بك يا بني، تغيبت عنا كثيراً.

- سامحيني يا أمي وقبل يدها، أعدك

ألا أغيب ثانية.

وقع نظرفيق على كنده وقال:

- من تلك الفتاة؟

- ليست فتاة هي امرأة ملعونة جلبها

صديقك إلى بيتي وأجلسها معنا.

نظر باسم لأمه بتعجب ثم قال بتمعض:

- الطعام يا أمي من فضلك وأنا سأخبر

رفيق بكل شيء.

- حسناً.. كما تريد.. سأجهز الطعام.

- باسم تلك الفتاة ما قصتها، أهي تلك التي

حلمت بها من قبل؟

- بلى، هي.. وحدث كل شيء رأيته في
أحلامي معها إلا أنها فقدت ذاكرتها.

- حقًا.. أشعر أن بها شيء..

- لماذا تشعر بذلك يا رفيق؟

- لا أعلم يا باسم.. هيا لأرى قاسم الآن

قام رفيق برقية قاسم واطمأن عليه ثم

تركهم راحلاً، لكنه لم يكن مطمئناً للفتاة

الموجودة في منزله.. بعدما تناولوا العشاء

جميعاً دخلت كنده غرفتها وكذلك سعاد..

لكن باسم ظل جالساً مع أخيه في غرفته

حتى غط في نوم عميق وبدأ يرى كابوساً

مرعباً قال:

- لَمَّ تظن أنها خطر يا رفيق؟ إنها فتاة

بريئة؟ هي فقط جالسة لتأكل ماذا ترى؟

- ألا ترى شخوص عينيها والسواد

حولها ليس طبيعي أم أنا مخطئ؟!

استأذنت منهم كنده لتنام فأذن لها باسم..

أردف قائلاً لرفيق:

- لا أنت محق.. لكن هذا ظهر مؤخراً قد

يكون بسبب قلة طعامها ونومها، ألق

نظرة على قاسم حتى يتم تجهيز طعامك يا

رفيق.

دخلا على قاسم فوجدوه كما تركه أخيه

يغط في نوم عميق، حكى باسم ما حدث

لقاسم في المشفى اليوم لرفيق ثم أردف:

- وأنا رأيت بنفسي البعض اليوم.
 قام رفيق فبدأ بتحسين الغرفة وبدأ
 القيام برقي قاسم وكان هناك شيئاً غريباً
 يحدث.. كان ينتفض ويتعرق بغزارة من
 كل مكان في جسده، فأخبر باسم أنه
 ممسوس فقط ولكن سيصبح بخير بإذن
 الله.. فجأة سمعوا صراخاً في الخارج.. إنها
 سعاد تصرخ مهرولة أنقذوني منها تلك
 الجنية إنها الشيطانة المشؤومة التي
 جلبتها معك.. ساعدوني.

استمر رفيق في رقية قاسم حتى سكن
 جسده تمامًا عن الحركة ولكن باسم كان
 قد خرج لأمه فخرج رفيق مهرولاً ليرى

كنده محلقة في الهواء تتحدث بكلام
 غريب غير مفهوم وجهها شاحبًا وشعرها
 حولها كثيف يطير حولها وهي اعتادت
 لبس الحجاب، وباسم ملقى على الأرض
 مغشي عليه.

- اهدأي يا كنده.. إن كنت أتحدث إلى
 كنده الآن

قالها رفيق بحزم.

ضحكت بسخرية:

- مع من تتحدث إن كنت لست كنده يا
 مختل وقهقهت عاليًا.

- أنت وماذا تريد منها أخبرني؟

- من أنت لأخبرك جئت لأجلها فقط،
وسأخذ ما أريد، ألم يخبرك صديقك بما
رأى اليوم؟

- أعلم ما حدث اليوم، لكنني سألقنك
درسًا إن لم تتركها

بدأ رفيق بقراءة آيات من القرآن وهي
تضحك ساخرة لكنه لم يتوقف.

أشارت بيدها فرفعت سعاد إلى جوارها
مردفة:

- إن لم تصمت سأحرقها أمامكم الآن.

- لن تخيفيني بتهديدك، لن أصمت.

- أيها الطبيب اجعل صديقك يصمت وإلا
أحرقت أمك كما فعلت بشهدة ومحمود.

- اصمت يا رفيق من فضلك افعل ما
يطلبه.

- لن أفعل يا باسم لا نخاف منك أنت
ضعيف وسترى ماذا سأفعل بك إن لم
تخرج الآن من جسدها

- سترى ما سأفعل أنت لقد أغضبتني.. لا
أحد يتحمل غضبي.. هيا أنقذ صديقك
من النار.

كانت تتحدث بصوت يرفع من يسمعها
كأنها رجلاً ذو صوت مبحوح مخيف.

ظل رفيق يقرأ القرآن حتى سقطت
سعاد أرضًا، لكن بقيت كنده محلقة في
الهواء فقالت له:

- إن لم تخرج يا رفيق سأقتلها.

توجه رفيق إليه قائلاً:

- لن تفعل لها شيئاً أعدك بذلك يا جبان.
فخرج من جسدها شيء مشتعل بنيران
من كل مكان فهرع رفيق وظل يكرر آية
الكرسي أثناء الرقية.. أسقط ذاك الشيء
كنده بعدما صدمها بالحائط المجاور لها
سقطة غريبة جدًا وكانت تنزف دماء
غزيرة، حاول ذاك الشيء الاقتراب من
رفيق لكن ظل يكرر القرآن حتى اختفى

من أمامه لكنه ظل يحصن المنزل حتى
أنهى كل التحصينات.. توجه رفيق إلى
قاسم فرأه نائمًا كما كان.

ثم جعل يفيق باسم وأمه وأخبر باسم بما
حدث وقال

- اطلب الإسعاف المرأة تنزف هيا بسرعة.

بدت سعاد مرتعشة لكن سرعان ما

طمأنها رفيق قائلاً:

- إنها ملبوسة بالجن يا أمي، يجب إخراجه
من جسدها.

- رددت يا إلهي بصوت خائف، أخبرت
باسم أنني غير مطمئنة لوجودها.

- أمي من فضلك هي مسكينة كفاك تدمرًا
لوجودها يكفي ما حدث.

- بعد كل هذا ما زلت تدافع عنها يا باسم!
أنا بريئة منك ولا أريدك هنا ولا هي.. اذهب
بها ولا تعد

رد رفيق قائلاً:

- ألا تعتبريني ابن لك؟ اصبري ستشفى
بإذن الله تعالى، وقاسم كذلك هو ليس به
شيء سيكون بخير.

- كيف وقد رأيت ما حدث؟ ستقتلنا
جميعًا يا رفيق.

- لا تخافي إن الله معنا، نحن على الحق.

جاءت الإسعاف وقاموا بأخذ كنده وذهب
 معها باسم، وصلوا للمشفى سريعًا..
 أخذوها إلى غرفة العمليات لوقف النزيف
 وتم وقفه بفضل الله، خرجوا بها إلى غرفة
 الرعاية المركزة حتى تستقر حالتها، وهناك
 أمام الباب رأى باسم طفلة تبكي فجلس
 جوارها ليتحدث معها.

- لمّ تبكي يا صغيرتي؟

- لأنّ أمي ستموت أيضًا.

تعجب باسم لمّ تقول فسألها:

- كيف تعلمين ذلك؟

- ألا ترى تلك الغرفة كل من يدخل

إليها يموت

وهي تشير إلى غرفة الرعاية.

صدم لقولها مردفًا:

- لكن تلك ليست بها أمك.

فقالت:

- لكنها ستكون أمي الجديدة أخبرني أبي
بذلك.

شخص عينيه:

- من أنت يا طفلي؟

فنظرت إليه وقد تحول وجهها لوجه

مخيف وقالت:

- جئت لأخذ روحك الآن.

هرع باسم إلى غرفة كنده لكن الباب كان
موصدًا بإحكام، فنظر من الزجاج
الموجود ليراها فوجد بجانبها نفس
الشخص الذي رآه عندما دخل ليرى
محمود في ثلاجة الموتى.. ثم سقط هو الآخر
أرضًا

لا تغتر بطيبة شخص أمامك

لا تتخذ قرارًا متسرعًا فيهلكك

لا يعلم خفايا القلب إلا الله

فأني لك أن تحكم على شيء خفي

كفي جهلاً كفي عبثاً كفي تهوراً.

الفصل الثالث

حقائق خفية

استيقظ باسم من نومه فزعًا.. سمَّ الله

قائلًا ما هذا الكابوس المفجع؟!

قام من مضجعه خارجًا من غرفته

ليذهب إلى الحمام، لكنه انتبه على صوتٍ

يصدر من المطبخ، فذهب ليجد جو اليهو

يعبق برائحة الطعام.

فقال باسم:

- صباح الخير ماذا تفعلين هنا الآن؟

التفتت كنده إليه قائلة:

- لا شيء.. قمت بتحضير الفطور كي

ترتاح والدتك فهي لم تنم جيدًا

بالأمس، ألن تأكل الآن؟

- لا.. سأذهب لصلاة الفجر أولًا وحالما

أعود سأجرب كل ما صنعته بإذن الله،

فرائحته ذكية جدًا.

وتمتم بصوت غير واضح ستغضب أمي

منك.

- هل قلت شيئًا عن خالتي سعاد؟

- لا، ماذا سأقول لكن هي ستسعد كثيرًا

حينما ترى ذلك.

ردت عليه:

- أتمنى ذلك، هل لي أن أسألك سؤال؟

- نعم تفضلي.

- كيف أحضرتني إلى منزلكم؟ ولماذا
تساعدني برغم عدم معرفتك بي؟ لا تقل
لي لحمايتي، لم اقتنع بذلك.

- حسنًا، ربما تشعرين بغرابة في الأمر لكني
رأيتك في أحلامي أكثر من مرة قبل رؤيتك
مع زوجك رحمه الله ثم عند ذهابنا إلى
المشفى به بعد ما حدث بالمكتب، سقطتِ
أنتِ على أرض المشفى، وقام الطبيب
بالكشف عليكِ وأعطاكِ حقنة مهدئة، ثم
ظللتِ نائمة وحين طلبوا مني الاتصال
بأهلك لم أجد هاتفك في الحقيبة التي

كانت معك؛ فاضطرت لجلبك إلى هنا
بسيارة الإسعاف.. هذا كل ما حدث.

- إذا جزاك الله عني خيرًا، لكن هل أنت
بخير الآن؟

رد مستنكرًا سؤالها..

- نعم بخير هل حدث شيء لتظني العكس؟

- لا أعلم لكن ظلت والدتك متناوبة بينك

وبين أخيك حتى خلدت للنوم بجوار قاسم

فظننت أنك متعب.

اندهش باسم لم أخبرته به حائرًا.. كيف لا

يذكر شيء مما حدث؟!!

دخل غرفته بعدما خرج من الحمام وبدل
ملابسه، وذهب ليوظ أخيه لينزل معه
إلى المسجد.. وجد أمه مستلقاة جواره على
السرير فلما شعرت به قالت:

- اترك أخيك نائم فقد ظل مستيقظًا
طوال الليل ولم ينم إلا منذ ساعة تقريبًا.
رد باسم:

- لكن يا أمي يجب أن يصلي الفجر.
- اذهب وحدك.. أخبرتك أنه لن يستيقظ
- كما تشائين يا أمي.. لكنه سيغضب
إن علم أنك منعتني من إيقاظه للصلاة.
بإصرار غريب قالت:

- نفذ ما قلت ولا تنبث ببنت شفه ثانيةً.

فتح قاسم عينيه على صوتهما أثناء
حديثهما قائلاً:

- ماذا يحدث لمّ تتشاجران فوق رأسي؟

ابتسم باسم بسخرية:

- لا شيء جئت لأوقظك للصلاة، ولكن
كادت أمك تمنعني من ذلك.

قاسم بحزن:

- لمّ تمنعني يا أمي؟ ألا تعلمين أنني أحاول
الحفاظ عليها؟!!

- لكنك لم تنم جيداً أمس.

- وما المشكلة يا أمي؟! اليوم إجازة من
المشفى سأنام حالما تنتهي الصلاة.
وقام فتوضأ وبدل ملابسه، ونزلاً
مسرعين من الباب.

* * *

اتجهت سعاد إلى المطبخ لإعداد
الفطور فوجدت كل شيء معداً وساخنًا
أيضًا فانددهشت قائلة:

- من جهزتلك الأشياء دون علمي؟!
ثم سمعت صوت كنده تقرأ القرآن
فذهبت لغرفتها قائلة:

- هل أنتِ من جهزتلك الأشياء التي

في المطبخ؟

أنهت كنده الآية التي كانت تقرأها ثم
قالت:

- صباح الخير خالتي كيف حالك؟

قالت سعاد بغضب واضح في كلامها: - لا
صباح ولا مساء الآن.. أجيبني على سؤالي
هيا، أنتِ من دخلت وحضرت تلك
الأشياء؟

- نعم جهزت بعض الأشياء للفتور كي
ترتاحين اليوم فقط، ووضعت ما بداخل
الثلاجة على الطاولة حتى يعودون من
الصلاة وقمت بتسخين الخبز.

وتوترت كنده لوهلة ثم قالت:

- فقط أردت أن ترتاحين اليوم ففعلت..
 لم أقصد أن أضايقك أسفة.
 - أنتِ تخططين لشيء وأنا من سيكشف
 مخططك كله.

تعاليت أصوات المآذن لتعلن عن أذان
 الفجر.. صممت سعاد وارتسم على وجه
 كنده الحزن لكنها قامت بترديد الأذان حتى
 انتهى ثم اعتذرت من سعاد مرة أخرى
 واستأذنت لأداء صلاة الفجر.

خرجت سعاد من الغرفة ثم قالت:

- متى سأتخلص من تلك المصيبة، جلبها
 إلى بيتي وأعطاها غرفته واشترى لها
 ملابس.. لَمْ يفعل كل هذا؟! يجب أن

أتحدث معه في الأمر، لا يعجبني ما يحدث
 أنا غير مرتاحة لها، كيف تنسى زوجها؟ هل
 هي مريضة فعلاً أم تدعي ذلك لتسلب
 عطف ابني وتستولي على قلبه؟ سأحميه
 منها مهما كلفني الأمر.. نعم سأفعل حتى
 وإن كررت ما فعلته مسبقاً.

* * *

ظلت هناء مستيقظة طوال الليل.. لا تعلم
 ماذا تفعل.. خائفة من النوم بجوار أختها،
 تفكر في من ستحدثه في ذلك؟ من يستطيع
 مساعدتها في الأمر؟

قامت من مكانها.. توضأت ثم صلت الفجر
تدعو ربها أن يشفي أختها ويقدرها على
مساعدتها، فجأة سمعت صراخ أمها
فهرعت للخارج مسرعة.. فوجدت أمها
بحالة مزرية ملطخة بالدماء، ظنت هناء
أن هناك لص في المنزل لم تستطع أن تفعل
شيء فهي تخاف النظر الدماء، فنهرتها أمها
قائلة:

- يا هناء اجلي قطن وشاش معقم من
الداخل.. أختك جرحت نفسها ولا أعلم
كيف استطاعت فعل ذلك بنفسها؟! هيا
أسرعي.

دخلت هناء جلبت المطلوب لكن

بداخلها عزمت على محاولة علاجها مما
هي فيه بسبب جهل أمها حتى قررت
الاتصال بابنة خالتها "آية" التي علمت أنها
ستأتي ليلة أمس بعدما حدثتها منذ يومين
لتعزيتهما في وفاة أخيها الكبير.

* * *

بعد حوالي ربع ساعة دق الباب فاتجهت
كنده لتفتح ثم وجدت سعاد تمسك
بالمقبض وتقول:

- أتنوي فعل كل شيء في بيتي؟! لقد زاد
الأمر عن حده.. لمّ لا ترحلي وتفارقينا؟!
كفى مكوث معنا.

فتح باسم الباب قائلاً:

- ما الأمر يا أمي ماذا يحدث؟ لمَّ كل ذاك

التوتر أخبريني؟ لمَّ تنهريها هكذا؟

- ليس هناك شيء يا بني.. فقط أنت تعلم

لا أحب دخول أحد مطبخي.

- يا أمي بالطبع هي لا تعلم، قبل نزولي

تحدثت معها وأخبرتني بما حدث ليلة

أمس.. فقط أرادت أن تساعدك اليوم،

لماذا لم تخبريني ما حدث بالأمس؟

حدثت سعاد نفسها:

- طبعًا اقتنعت بسذاجتك أنها تساعد،

ولوت فمها كأن لم يعجبها كلامه فقالت

بنبرة حادة:

- أخبرني متى سترحل تلك الحية إذا؟ لم
أخبرك لأنك متعب فقط، هل ستحاسبني
مثلاً.

حزن باسم لكلمات أمه مردفًا:

- لا أجرؤ على ذلك يا أمي، هي هنا حتى نجد
لها مكانًا لتذهب إليه.. وأريدك أن تحسني
معاملتها فهي ضيفتي، الآن هيا لنتناول ما
أعدته كي لا نجرحها أكثر من ذلك من
فضلك يا أمي.

- كما تريد ولكني غير مطمئنة لوجودها
أكثر من ذلك.. كفانا ما حدث لأخيك
بسببها، لن أكل من طعامها لربما وضعت
به سحر أو شيء من

هذا القبيل.

نظر إليها بغرابة شديدة قائلاً:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. ما ذنبها فيما
حدث لأخي يا حبيبتي؟! يا أمي كل ما
يحدث قدر ليس لأحد دخل فيه، وعلينا
فقط الدعاء لرفع البلاء، ثم لا تخافي فأخي
بخير وكذلك نحن بفضل الله عزوجل.

- حينما وقع كان يعالج زوجها.. لمّ تدافع
عنها يا باسم بعد كل ما حدث؟ لقد
سحرتك تلك الملعونة، علمت ذلك لن
ينقذك غيري من سحرها سأفعل أي شيء
لإنقاذك من تلك الماكرة.

حزنت كنده لمّ تسمع من كلام سعاد،

ظلت تبكي بشدة في غرفتها، لا تعلم ماذا
تفعل؟ أين تذهب؟ بيتها ساحة جريمة
مغلق بأمر المباحث، حمايتها لا تريدها
لطالما رفضت زواجها من محمود لأنها
تربت في ملجأ أيتام أعيب أن يكون
الإنسان يتيماً، دق الباب فاعتدلت في
جلستها، دخل باسم ليجبر خاطرها تاركا
الباب مفتوحاً خلفه لكنها أبت الاستماع
إليه فأخبرها:

- فقط أُمي لا تحب دخول أحد مطبخها..
أرجوكِ لا تبكي.

تنظر سعاد إليه بغرابة شديدة وتقول
في نفسها "تُرى ماذا يفعل هذا

المعتوه؟"

قامت كنده من مكانها قائلة:

- أريد الرحيل من فضلك أعطني عنوان منزلي.

- لكن ليس لديك منزل الآن لأنه ساحة جريمة ومغلق، لن تستطيعي المكوث فيه، ثم إن الوقت ما زال مبكرًا جدًا لن تجدي مواصلات حتى.

خرجت من الغرفة بحقيبة يدها فقط قائلة:

- حسنًا سأجلس هنا حتى أستطيع الذهاب.

- هل ستجلسين هنا بجوار الباب؟

- نعم يا دكتور باسم سأجلس هنا

على ذاك الكرسي، لا تتدخل أرجوك.

كانت عيناها غارقة بالدموع وهي تتحدث

إليه.

فقال:

- كما تشائين المهم أن تظلي هنا حتى نخرج

سويًا بإذن الله، سامحك الله يا أمي.

* * *

- يا عسكري، يا سيد تعال بسرعة

- نعم يا نادر باشا.

- أجلس لي قهوتي، ثم اجعلهم يجلبوا لي
شعبان.

رد سيد:

-تحت أمرك يا باشا.

وخرج مسرعًا.

جلس يفكر بصوت عال:

- أين يكون أخفى شعبان؟ لم أجده في أي
مكان.. قد يكون قتله أو أخفاه في مكان
يمتلكه، سأجبره على الاعتراف بكل
جرائمه.

دق الباب فدخل سيد قائلاً:

- تفضل القهوة يا باشا، لقد جعلت
شعبان يقف أمام المكتب، هل ينتظر حتى
تنهي قهوتك يا باشا؟

- لا ادخله فورًا يا سيد واجعل كاتب
التحقيق يأتي.

فتح سيد الباب قائلاً: ادخل يا متهم.
فنظر إليه شعبان نظرة حزن كأنه لا يعلم
ما يحدث وأنه شخص منكسر مظلوم،
دخل شعبان فوجد نادر يرتشف قهوته
وملامحه حادة غاضبة، فقال:

- هل ظهرت براءتي يا بني؟
قهقه نادر عاليًا وقال:

- طبعًا طبعًا.. ستعلم كل شيء قريبًا انتظر
معي.

رد عليه شعبان بأسلوب المسكنة الذي
يتبعه مع ضحاياه عامة:

- لَمَّ تضحك يا بني؟ أنا رجل عجوز لا
أتحمل السجن، لا تجعلني متعبًا في آخر
عمري.. بالطبع أنت لن تقبل ذلك
لوالدك.

قال نادر:

- والله إن كنت تستحق السجن ستسجن
لا تقلق، وإن كنت بريء ستخرج.

- يا بني لا تتحدث بالألغاز كي أفهمك،
عجوز مثلي لا يستحق تلك المعاملة.

نادر بخبث شديد:

- ستفهم كل شيء بعد قليل انتظر.

- حسنًا يا بني كما تريد.

جلس شعبان على أقرب مقعد له مدعيًا
تعب ساقيه.

هنا نظر إليه نادر شزرًا وقال في

نفسه ستعلم كل شيء.. ستظل في السجن
طوال عمرك إذا ما تم إعدامك.. سترى ما
سيحدث فيك يا فرج.

دق الباب فدخل كاتب التحقيق قائلاً: -
أوامرك يا نادر باشا.

- تعال اجلس لتكتب التحقيق.

توجس شعبان خيفة وازدرد ريقه قائلاً:

- أي تحقيق يا نادر باشا؟!

فقال:

- التحقيق معك يا شعبان، كنت أود أن
تعترف ودي لكنك لم ترد ذلك وأنكرت كل
شيء.. الآن سنسير

بحسب القوانين، اكتب يا "سلطان"

- اسمك، عمرك وعنوانك؟

- حسنًا.. اسمي شعبان جلال حسن،

عنواني حضرتك تعلمه بالطبع.

غضب نادر قائلاً:

- عنوانك يا شعبان بسرعة.

- عنواني 41 شارع النخيل، المنيا، عمري

66 سنة .

- هل ما زلت تدعي أنك شعبان أم ستعترف

بكونك فرج؟

- يا باشا أنا أخبرتك مسبقاً أنني شعبان، لا

أعلم من فرج الذي تتحدث عنه.

- حسناً يا شعبان.. التحريات أثبتت أنك

فرج فأخبرني ماذا فعلت بشعبان ولماذا

تنتحل شخصيته؟

- تحريات إي يا باشا أنا معايا البطاقة وكل
أوراقى سليمة.

- البطاقة والأوراق مزيفة، كلانا يعرف
ذلك جيداً، إن اعترفت أعدك بمحاولة
تخفيف العقوبة، لكن إن أصررت على
الإنكار ستتغن في السجنون حتى الموت
أعدك بذلك، هل ظننت أننا لن نتحرى
عنك يا فرج؟

- يا باشا لا أعلم عمّ تتحدث من فرج انا
شعبان؟!!

- شعبان الحقيقي غير موجود، أين
خبأته؟ اعترف وإلا عذبتك حتى الموت.

توجس فرج خيفة مما يوجهه إليه نادر
لكنه صمم على الإنكار.

- إذا ستبقى أربعة أيام أخرى لحين الانتهاء
من التحقيقات، ليكن بعلمك الأدلة التي
توصلت إليها المباحث أثناء التحريات
عندك كافية لتعاقب بالإعدام ليس
السجن فقط، أبشريا فرج.. يا سيد خذ
المتهم وأعيده إلى القسم ثانيةً لحين طلبه
من جديد.

- أنا بريء يا باشا لا أعلم شيء والله بريء..
كاد يبكي من فرط خوفه.. يا باشا زوجتي في
المشفى لم يذهب لها أحد غيري أرجوك
أخرجني من هنا.

- خذه يا عسكري حتى أقرر رؤيته لمعاودة
التحقيق.

أمر نادر الكاتب بكتابة أنه سيظل المتهم
أربعة أيام على ذمة التحقيقات وأغلق
التحقيق على ذلك، مخبرًا إياه الذهاب إلى
غرفته.

رد سلطان عليه:

- أوامرك يا باشا.

* * *

بقي نادر وحده في المكتب يحاول معرفة
أين يمكن إخفاء شعبان؟ هنا رن هاتفه
فرد:

- السلام عليكم يا باسم أين أنت الآن؟ ألا
زلت في المنزل؟

- نعم ما زلت؛ لأن زوجة خالك لا تطيق
كنده كما تعلم وافتعلت مشكلة صباحًا
وكنده تريد الرحيل.

- ماذا؟! لمّ تفعل زوجة خالي كل هذا؟ أما
زالت تخاف عليك من النساء؟
ضحك باسم بصوت عال وقال:

- نعم تفعل بعد ما حدث سابقًا.. تخشى
علينا منهم برغم كونها أنثى مثلهم.

- بصراحه يا باسم هي محقة.. أنت لا
تستطيع التعامل معهم وتجربتك السابقة
توضح كل ذلك.

- لكن كنده مختلفة عنهم جميعًا.

نادر ضاحكًا:

- ما وجه الاختلاف؟ هي مثلهم.. كلهن تشبهن بعض، لا تتحامق الآن، اخرج وتعال إليَّ حالًا.

- لا.. سأذهب إلى جنازة محمود، سأخذها معي كي تودعه لآخر مرة وأحاول تركها عند أهله.

- لكنها لا تذكره أصلًا يا باسم لمّ تفعل كل هذا؟

- أشعر بأنها تعرف محمود، رأيتها تبكي في الشرفة بعد عودتنا ورأيت ورقة كتبتها

كأنها كانت رسالة له لكنها لم تستطع
إرسالها له.

- ماذا؟ لمّ لم تخبرني من قبل؟

- ما زلت غير متأكد يا نادر اهدأ من فضلك.

- حسنًا يا باسم.. أنهى مشاويرك ثم تعال
إليّ.

- حسنًا سأفعل بإذن الله، سلام عليكم.

- مع من تتحدث يا بني؟

- مع نادر لدي عمل مهم اليوم.

- لكن اليوم إجازة، أخبره يجلب الأولاد

ويأتي للغداء معنا.

- تعلمين أنه لا إجازة في عملي، ثم إن عليَّ
محادثة رفيق فيما حدث أمس.

- أخبر نادريأتي لقد افتقدت الأولاد كثيرًا،
أعطني الهاتف.

- يا بني اجلب زوجتك والأولاد اليوم إلينا
أفتقدهم كثيرًا.

- تعلمين هذا أحب شيء إليّ لكني حقًا
مشغول.. سامحيني، أعدك قريبًا أن نأتي
لقضاء يوم معك بإذن الله، سأغلق الآن يا
زوجة خالي.

- بالسلامة يا بني..

- باسم لماذا ترتدي الآن؟

- سأخرج يا أمي، أخبري كنده لتتجهز بما
تجد أحد أهلها هناك.

ابتسمت سعاد حتى بدت أنيابها ثم قالت:

- أحقًا ما قلت؟

- نعم يا أمي.. أعلم أنكِ تريدين التخلص
منها.

- لا أريد ذلك، بل أنا خائفة عليكم يا بني.

- أعلم ذلك ايضًا، أين هي الآن؟

- تجلس عند الباب منذ الصباح تريد
الرحيل كما قالت ولم تفعل.

اندهش باسم قائلاً:

- يا أمي من فضلك هي ما زالت عند الباب

منذ الصباح الباكر تركتها هناك؟!!

- لا دخل لي بها.. أنت وأخيك من لي دخل

بهم.. تفعل هي ما تريد.

- سامحك الله يا أمي كيف تفعلين ذلك؟

ذهب إليها مسرعًا فوجدها تستند برأسها

على الحائط المجاور للكرسي ونائمة،

حاول إيقاظها بالتحدث إليها لكنها لم

تستجب له.. دق على الباب ففتحت

عينها وهي تقول:

- أين أنا؟

- أنت ما زلت هنا بجوار الباب.. هل كنت

تحلمين؟

- نعم كنت أحلم بشيء.

- هذا جيد، ما هو؟

- لن أخبرك بشيء لماذا تسأل؟

شعرا بالخرج فقال:

- لا شيء أردت الاطمئنان فقط.. هل نمتِ

جيدًا؟ يتوجب علينا الذهاب.

- لا يهم يجب علي الرحيل الآن.

- لكن نحن ذاهبان إلى جنازة زوجك،

يمكنك البقاء لديهم إن شئتِ.

- هل سيدفن اليوم؟ قالتها واغرورقت

عينها بالدموع

قال لها متأثرًا بدموعها:

- نعم وأردت أن تذهبي لرؤيته لآخر مرة.
- حسناً.. سوف أرحل اليوم دون أن أنتظر
شيء آخر.

- هيا اغسلي وجهك كي نخرج الآن.
حدث باسم نفسه بعد ذهابها إلى الحمام
"أتمنى ألا يحدث شيء مما رأيته في حلمي
يا كنده ويكون يومك جميلاً مثلك".
جاءته قائلة:

- هيا أنا مستعدة للذهاب يا دكتور باسم.
- حسناً.. سألقي نظرة على قاسم انتظريني
هنا.

دخل ألقى نظرة على أخيه فوجده نائم

والقرآن مفتوح بصوت الشيخ الحصري
جواره ثم أغلق بابه قائلاً:
- هيا بنا.

نزلت وركبا السيارة ثم قال:
- من فضلك عندما نصل لا تتحدثي مع
أحد لأنني علمت أن أمه لا تريدك.. لذا
يفضل ألا تحرجي نفسك.
- إن شاء الله، إن وجدت أحد أعرفه
سأخبرك.

- لكن من فضلك أجيبي على سؤالي.. ألا
تتذكرين أي شيء عن زوجك حقاً؟
- نعم.. لكني حلمت به اليوم وهو يبتسم لي

ويمد لي يديه لينقذني من شيء لا أعلم
ماهيته.

- حقًا؟! جيد.. وهل استطاع إنقاذك.

- نعم وحينها اختفت كل شيء ولم يبق
هناك شيء يزعجني.

ابتسم وقال:

- خيرًا بإذن الله.

فصمتا سويًا ثم أردف:

- هل تذكرين أمه وأبيه.

سألته مستنكرة:

- لا أذكر شيء.. أنت لا تشك أنني أصطنع

ذلك صحيح؟

قال متعجبًا من سؤالها:

- لا فقط أسألك من باب الاطمئنان.

* * *

دق الباب فدخل سيد وقال:

- تفضل يا نادر باشا الإفطار والشاي.

- اتركهم واذهب إلى الحبس لتجلب لي

شعبان.. طلبت من ضابط المباحث

إحضاره اليوم.

ذهب سيد محضرًا شعبان من الحبس،

وأثناء الطريق تحدث له:

- ماذا فعلت لكي يضعك نادر باشا في رأسه

هكذا يا رجل؟ أنت في مأزق كبير.

- تالله لم أفعل شيئاً حتى لا أعلم عمّ يتحدث.. كلما دخلت يصرخ في وجهي ويعدني بالحبس مدة طويلة.

دق سيد باب المكتب قائلاً:

- المتهم يا باشا.

- حسناً اذهب يا سيد.. تعال اجلس يا فرج، تناول فطورك.. أمامنا يوم طويل.

- سيدي أنا لست فرج.. لماذا أنت مصرّاً أنني فرج.

- لا.. اليوم حقاً أنا أحببتك يا فرج، وهناك مفاجأة سارة لك اليوم، يا سيد يا سيد أحضر المرأة التي بالخارج بسرعة.

فتح سيد الباب مسرعًا فقال:

- أمرك يا سيدي.

قام بإدخال امرأة على كرسي متحرك

فقالت:

- السلام عليكم يا نادر باشا كيف حالك؟

شخص شعبان عينيه وقال:

- كيف تتحدثين أنتِ بكماء؟!!

- لا لست بكماء ولا صماء.. كنت أفعل

ذلك كي أنقذ نفسي منك.

- هل تعرفها يا فرج تحدث؟

قال نادر وهو يبتسم بسخرية شديدة.

- لا لا أعرفها مطلقًا.

- كيف تتحدث معها وأنت لا تعرفها؟ هيا
تحدث.

- يا بني أنا لا أعرفها مطلقًا.

- تلك زوجتك التي كانت في المنزل تمرضها،
أنسيت؟

- لا.. زوجتي صماء، بكماء، أما تلك التي
تتحدث ليست هي.

- أنا لست زوجته يا بني، أنا زوجة شعبان
الذي أخذه من منزلنا ولا أعلم عنه شيء
منذ وفاة ابني.

- ومن ابنك يا أمي تحدثني؟

- ابني سعد زوج ابنته، قيل لي أنه توفي في

حادث منذ فترة ليست طويلة لكني لم أرى
جثته.

- حسنًا، هل يقرب لكم فرج هذا؟

- لا يقربنا أبدًا.. عرفناه حين طلب سعد
زواج ابنته فقط.

- نعم نعم.. هل لازال لديك أقوال أخرى يا
فرج؟

- أنا لست فرج صدقني.. لا أعلم عمّ
تتحدثون.

- سنرى بذلك الشأن، أخبرني أين شعبان؟

- لا أعلم حقًا.

- إن لم تخبرني مكان شعبان سأجتهد حتى

تأخذ إعدام ولن تفرق معي.

* * *

رن هاتف آية فردت على المتصل

- كيف حالكم يا هناء؟

- الحمد لله.. أنا بخير، لكن أمل ليست

كذلك، أمي جرحت بعمق حتى أنها رفضت

تذهب للطبيب، لا أعلم ماذا أفعل؟ لذلك

اتصلت بك.

- اهدأي قليلاً واحكي لي ماذا حدث؟

بدأت تقص عليها باكية ما حدث منذ

البداية قائلة:

- بدأ كل شيء منذ خطوبة "محمود

وكنده" حينها طلبت خالتي من أمي المساعدة في منع الزواج بأي شكل من الأشكال، لم تجد أمي حل غير أن تذهب إلى شيخ يدعى "معاون" أخذتني معها مرة لكنني كنت أخاف من ذلك المكان، لم أرغب بالذهاب معها ثانية فأخذت أمل بدلًا مني في كل مرة تذهب، بل كان ذاك الرجل يطلبها بنفسه أن تأتي معها دائمًا.. شككت بالأمر في البداية حتى تيقنت أن هناك شيء خاطئ يحدث.

صعقت آية لما سمعت قائلة:

- هل طلبت أمي منع زواج محمود بالسحر؟

- يا آية من فضلك اسمعيني.. يفترض أن

يدفن محمود اليوم أليس كذلك؟

- نعم ذهب أحمد إلى المشفى ليحضر

جثمانه.. من فضلك يا هناء أنا لا أتحمل

ما يحدث دعينا نتحدث لاحقًا.

- كما تشائين، قلبي معك تعلمين كم كنت

أحترمه رحمه الله.. لكن اليوم يا آية لا

تدعي أمي أو أمل يدخلوا لرؤيته من

فضلك.

بصوت متحشرج من شدة البكاء ردت

عليها:

- لكن لماذا أمنعهم؟

- يجب عليك ذلك سمعتم يقولون أنهم

سيضعون شيئاً معه، لا أعلم ماهية
الشيء الذي تحدثوا عنه لكنني أعلم أنه
شيء خطير و إذا تم دفنه مع محمود لن
يحدث خيراً أبداً.

- ماذا تفعل يا هناء؟

صرخت هناء صرخة مدوية تتوسل من
أمامها.. أرجوك لا تؤذيني لم أفعل شيئاً.

- لم تفعل يا هناء.. إذاً مع من كنتِ
تتحدثين على هاتفك؟

- والله لم أفعل أي شيء يؤذيك صدقني.

ردت عليها بصوتها الطبيعي:

- حبيبتي هناء أنا أختك أمل.. لماذا أنتِ

خائفة مني هكذا؟ لن أستطيع أن أضرك

أبدًا.. تعلمين كم أحبك أليس كذلك؟

- نعم يا أمل أعلم.. وأنتِ كذلك تعلمين،

لكن ماذا حدث لك؟ وكيف؟

- لا شيء بي أنا في أفضل حال يا هناء.

ما زالت آية على الهاتف تستمع لم يحدث

دون التفوه بكلمة واحدة.. لم تكن تفعل

شيء سوى البكاء حتى قطرات الدمع

تنساب على وجنتيها دون أن تمسحهم

بيديها من صدمتها في أمها وخالتها.

رفعت هناء عاليًا ثم قالت لها:

- سأريك كيف تحذرين الناس مني على

الهاتف، سأقتلك أيتها الماكرة، سأريك
ماذا أفعل بالكاذبين أمثالك يا حقيرة.

تصرخ هناء قائلة:

- لا تدعوهم يروا جثته قبل دفنها لا تفعلوا

ثم ساد الصمت مدة حتى حدث آية ذاك

الشيء بصوته المريب على الهاتف قائلاً:

- إذا علم أحد بأمرنا غيرك سأمحيكم من

على وجه الأرض يا آية.

أغلقت الهاتف مسرعة إلى أمها ففتحت

باب الغرفة قائلة:

- هل قتلت محمود يا أمي؟

نبيلة مندهشة لم تقول ابنتها:

- ماذا تقولين؟ هل أستطيع قتل ابني؟
أجنتِ؟!

- ماذا حدث لأمل؟ وما علاقتها بالسحر؟
وما دخل خالتي بزواج أخي؟ لمّ دمرتم
حياته وقتلتموه بقسوة هكذا؟ كيف
تفعلين هذا يا أمي؟ حقًا أنا مصدومة فيك
يا أمي.. لماذا تفعلين ذلك؟ أنتِ سعيدة
الآن بوفاته وحرمان زوجته منه؟ وفوق كل
ذلك لا تريد أن تعيش معنا.. أين تذهب
إذا؟ أجبي يا سيدة المجتمع نبيلة.

قامت نبيلة وصفعتها صفقة قوية جعلت
آية تسقط على الأرض تحت أقدام أحمد
الذي جاء ليخبرهم أنه جلب جثمان أخيه

ليدفن، ساعد أحمد أخته الصغرى على
النهوض طالبًا منها الذهاب لغرفتها بعدما
مسح دموعها المتساقطة، ففعلت.

توجه أحمد إلى أمه قائلاً:

- ما الذي قالته آية؟ هل لك علاقة بذلك
الأمريا أمي؟

- لا طبعًا، هي أعصابها تعبت من فقدان
أخيها وتتفوه بالهراءات فجأة، أتصدق أنني
أفعل ذلك؟

- لا.. أنتِ لن تفعلي لكن أختك "نجية"
تفعلها بكل سهولة ويسر.

- ماذا تقول؟ التزم حدك يا ولد.. لا تنسَ
أنى أمك.. تكلم باحترام.

- تعلمين أني أحبك وأحترمك لأنك ربيتني
بعد وفاة أمي، لكن أختك تلك لن أحترمها
أبدًا.

- لا تنس أنها خالتك أيضًا.

- لا اعتبرها كذلك، عمومًا إن علمت أنك
طلبت منها إيذاء محمود وزوجته لن
أرحمها.. وأنت أيضًا.. ليكن بعلمك..
زوجته ستأتي إلى هنا لتقضي عدتها رغمًا
عني.

رحل غاضبًا.. بدت عروقه بارزة في وجهه
ويهرول للأسفل، رآته "ملك" التي ما زالت
لا تعلم ماذا يحدث في المنزل، فذهبت
خلفه مسرعة.

- يا "أحمد"، حمدًا لله على سلامتك.. أخي
متى أتيت؟

رد عليها:

- سلمك الله يا ملكتي الصغيرة، عدت منذ
قليل، ذهبت إلى المشفى وأنهيت الإجراءات
وأحضرت محمود إلى المنزل وأتيت، أنتِ
كيف حالك اليوم حبيبتي؟

- أحضرت محمود؟ أين هو أريد رؤيته؟
افتقدته كثيرًا، هل زوجته معه بالأسفل؟
سأذهب لتبديل ملابسني بسرعة كي أراهم
أنا متحمسة لرؤيتها، تقول آية أنها جميلة.

استشف أحمد من حديثها أنها لم تعلم
بوفاة أخيها فأخذها من يدها لغرفتها ثم

قال:

- يا ملك هل تعلمين أننا ملك لله عزوجل؟

قالت:

- أعلم بذلك يا أخي.

- حسنًا، وإذا رزقنا الله أبناء يكونون أمانة عندنا حتى يأخذ الله أمانته حينما يريد عزوجل.

- نعم، لماذا تتحدث عن ذلك الآن؟

- أقول إن هذا الجسد الذي نسكن فيه هو لله سبحانه وتعالى.. وهبه لنا، لن تفارقه أرواحنا إلا إذا شاء الله عزوجل ذلك.

- نعم أعلم يا أحمد، ما علاقة ذلك

باشتياقي لأخي؟

- علاقة ذلك يا حبيبتي.. هي أن الله عز وجل أخذ أمانته.

- لا أفهم ما أمانته؟

- محمود أخيكِ توفي وأحضرت جثمانه بالأسفل.

تسمرت صامته.. اغرورقت عيناها بالدمع فتساقط الدمع على خديها دون التفوه بكلمة، احتضنها "أحمد" قائلاً:

- لم أرد إخبارك.. لكن يجب أن تعرفي كي تودعيه لأخر مرة إلى أن يجمعنا الله به في جنات النعيم.

لم تجيبه ملك.. ظلت عينيها تذرف الدمع
حزناً عليه، أجلسها على سريرها ثم خرج
من الغرفة إلى أخته آية طالباً منها المكوث
مع ملك لأنه أخبرها بوفاة أخيها.

قالت آية:

- يا أحمد، اليوم لا تدع أحد من أبناء
خالتي أو هي نفسها ترى أخي قبل أن يدفن
من فضلك.

رد عليها مستنكراً:

- لماذا يا آية؟

- أخبرتني هناء أن هناك شيء تريد أمها
دفنه معه في قبره.

وقف مشدوهاً لمّ تقول ثم تابع كلامه:

- وما ذلك الشيء الذي تريد دفنه؟

- لا أعلم، لكنني أخبرك ما سمعته من

"هنا" قبل أن تصمت.

- ما معنى قبل أن تصمت؟

- لا أعلم.. حدث كل شيء بسرعة،

اتصلت بي فأجبت، أخبرتني بذلك فقط،

ثم تحدث إليّ شيء صوته مخيف.. لا زلت

خائفة من ذاك الصوت حتى الآن ارتعشت

وهي تتحدث معه.

قال لها:

- حسناً سأفعل ما تقولين.. لكن فقط

اهدئي، حاولي مواساة ملك.. لا أريد أن
تدخل في حالة صدمة الآن، مازالت في فترة
النقاهة.. خائف أن يصيبها مكروه.

- حسنًا يا أخي سأظل معها لا تقلق.

قال أحمد:

- بعد صلاة الظهر سيدفن محمود يا آية
يجب أن تستعدوا لذلك، أخبري أمك أنني
سأدفنه بعد الظهر مباشرة.

- أنت لم تخبرنا أنك أحضرته؟

- نعم، سمعت كلامك لها فنسيت، عامة
أخبرتكم الآن.. أخبريها لننهي الأمر، ويفضل
ألا تخبر أختها تلك.

- حسنًا سأخبرها.

ذهبت آية إلى أمها فأخبرتها قائلة:

- إن جثمان محمود بالبیت.. اذهبي لرؤيته

لآخر مرة واسألي الله أن يغفر لك إن كانت

وفاته بسببك.. بالمناسبة لا تخبري نجية

بقدوم محمود ذلك أمر من أحمد.

وتركتها ذاهبة لأختها ملك.

كانت أمه في حالة مزرية بسبب كلام آية

وأحمد معها، وجهها أحمر بلون الدم،

وعينيها منتفخة من البكاء.. عندما علمت

بمجيئه هرولت من الغرفة إلى السلم

مسرعة حافية القدمين بملابس نومها

فدخلت عليه الغرفة، رآته بكفنه الأبيض
ورفعت عن وجهه الغطاء قائلة:

- هل أنا تسببت بقتلك يا قلبي؟ هل
أستطيع إيدائك؟ أنت فرحتي الأولى بتلك
الدنيا بل ستظل كذلك يا بني.. رأيتك في
منامي سعيد، اسأل الله أن تكون من
السعداء في الآخرة يا قرّة عيني.

قبلت رأسه، ظلت محتضنه جسده بيديها
واضعة وجهها على وجهه حتى ظنت أنها
سمعت صوت دقات على الباب، قالت لمن
يدق الباب:

- من يدق الباب هكذا؟

لم يجيب الطارق.. ظل يدق فقط، فقامت

لتفتح الباب وغطت وجه محمود ثم ذهبت إلى الباب، لكن الطارق لم يكن يدق على الباب، بل من خزانة الملابس الموجودة بالغرفة، دب الرعب في قلبها، لم تحاول فتح الخزانة، ظلت بجوار ابنها محمود تحتضنه بقوة، خرج ما بالخزانة ماشياً على يديه وقدميه معاً، ارتعبت أكثر.. حاولت قراءة القرآن لكن منعها من ذلك بوضع يده على فمها بقوة قائلاً:

- إن فعلتِ سأقتلك لتكوني بجوار ابنك الذي تسببتِ أنت بموته، لا تلومي إلا نفسك يا نبيلة، لا تتفوهي بكلمة.

ظلت تحاول قراءة القرآن حتى نجحت..

ظلت تكرر آية الكرسي مرارًا وتكرارًا حتى
اختفى وهو يحذرهما سأقتلك يا نبيلة بيدي
العاريتين.

ذهبت نبيلة وفتحت التلفاز على قناة
القرآن الكريم كي لا يعود ذاك الشيء
ثانيةً، وظلت محتضنه جسد ابنها باكية
نادمة على ما فعلت.

* * *

وصل باسم إلى المشفى كي يجعل كنده ترى
زوجها قبل دفنه اليوم، سأل في
الاستقبال فوجد أن أخيه استلمه منذ
ساعة وأكثر، رأى الحزن على وجه كنده
التي بدأت في البكاء من قبل وصولهم إلى

المشفى لرؤيته.

قال لها باسم:

- سنأخذ عنوان أهله لترية لا تقلقي.

هزت رأسها استجابة له، ظلت تنتظر على الكرسي في استقبال المشفى وهو يسأل عند الاستعلامات عن عنوان أهل زوجها لكنه لم يتوصل لشيء إلا هاتف أخيه "أحمد" أخذه ليرحل، فأوقفه الطبيب "صديق قائلاً:

- دكتور باسم.. انتظر أريد إخبارك بشيء مهم حدث بعد رحيلك.

- ماذا حدث يا صديق؟

- ما رأيناه سويًا في تلك الغرفة أثناء رؤيتك
للجثة لم يكن حقيقة.

اندهش باسم قائلًا:

- كيف هذا؟ لقد حدث ذلك أمامنا جميعًا
حتى زوجته رأت ذلك بعينها.

- أعلم ذلك يا باسم، اسمعني جيدًا.. كان
هناك شيء آخر بعدما رحلت أنت وزوجته،
رأيت شيئًا متجسد في فتاة تبدو شابة
صغيرة عيناها حمراوتين جدًا لا يرى
بياضها، شعرها أشعث منسدل حول
وجها بشكل مخيف، صوتها أجش،
وجها شاحب جدًا، متناثر على ملابسها
قطرات دماء، المرعب في الأمر أنها تسير على

أربع.

- كيف تسير على أربع لم أفهم؟

قال صديق:

- على يديها وقدميها.. ورأسها مقلوبة
بطريقة غريبة جدًا.

- لحظة.. هل علم أحد ما تقول يا صديق؟

- لا.. أخبرتني أنها لن تتركني إن أخبرت أحد،
لكني أخبرك لأنها قالت إنها من فعلت ذلك
بقاسم.

ظل باسم مشدوهمًا لوهلة قال:

- شكرًا لك يا صديق لكن احترس ودائمًا

قل الأذكار اليومية ولا تترك الصلاة

حفظك الله يا صديق.

- هل تعلم ما يحدث يا باسم؟

- لا.. لكني سأسأل من يفهم بتلك الأمور،

وسأخبرك بالجديد إن شاء الله.

التفت لکنده قائلاً:

- لنذهب من فضلك.. تفضلي معي.

- لن أذهب إلى مكان سأظل هنا من

فضلك.

- كيف تظلين هنا في المشفى؟

- أريد البقاء بجوار زوجي فقط.

- سأخذك إليه لا تقلقي، سيكون كل شيء

بخير.

رحلاً معاً إلى السيارة، ركبت هي، ظل باسم
يحاول الاتصال بـ "أحمد" لكنه لم يجيب
عليه.

اتصل باسم بصديقه "رفيق" ليستشيره
فيما يحدث له.. كيف أصبح ينسى ما
يحدث؟ كيف كان ما رأوه جميعاً بالأمس
غير حقيقي؟

ظل حائراً متعثراً لا يعلم ماذا يفعل في تلك
الأمور التي تحدث؟

فجأة رن هاتفه برقم أحمد الشناوي
فأجاب باسم مسرعاً:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رد أحمد السلام قائلاً:

- لقد اتصلت بي منذ قليل.

- بلى اتصلت لأعرفك بنفسي، أنا باسم
الطبيب الشرعي.

- أهلاً بك، كيف يمكنني مساعدتك يا
دكتور باسم؟

- أريد فقط عنوان منزلكم لأن زوجة
أخيك معي، وتريد رؤيته قبل أن يدفن.

رد بغضب شديد:

- زوجة أخي معك! ماذا تفعل لديك؟
أخبرني بسرعة بعنوانك.

- من فضلك اهدأ يا أستاذ " أحمد"، هي

فاقدة الذاكرة كانت في المشفى حينما
أخذتها عند أمي، علمت من المباحث أن
والدتك رفضت استلامها؛ لذلك أبقيتها
عند أمي.

أحمد بغضب شديد:

- هي عندك في بيتك أم في بيت أمك؟ إذا لا
أفهم وضح كلامك الآن
- يا سيد "أحمد" .. منزلي وأمي واحد نعيش
جميعاً فيه.

صرخ أحمد وتنهد بقوة قائلاً:

- زوجة أخي معكم؟! أليدك زوجة؟
- لا ليس لي زوجة.

نفرت عروق وجه أحمد من مكانها وصرخ
 في الهاتف حتى سمعه إخوته البنات قائلاً:
 - دكتور أعطني مكانك لآتي، سأخذها
 عندنا هنا في بيت زوجها.

أغلق باسم الهاتف بغضب قائلاً:

- ماذا يظن نفسه ذاك الشخص ليأمرني؟!
 لن أدعه يأخذها مني ستظل في مأمن معي.

* * *

"آية وملك" تحدثان "أحمد":

- اهدأ يا أخي من فضلك لا تغضب هكذا
 نرجوك.

- هل تعلمون أن أمي رفضت أخذ زوجة

محمود من المشفى؟

ردت آية بخوف:

- أنا أعلم ذلك يا أخي، كانت ملك حينها في المشفى.

- لماذا لم تخبريني إذا؟ أصبح نتركها في الشوارع بلا مأوى فتجلس عند رجل أعزب وأمه، حتى لو كانت أمه معه أليست هي من عائلتنا لأنها زوجة أخيك؟ تكلمي يا آية كيف ترضين بذلك؟ صدمتني فيك يا أختي.

ذرفت عينيها الدموع وهي تخبره أنها لم تكن راضية عمّ تفعل أمها لكن في ذلك الوقت كانت تهتم بـ "ملك" أثناء تواجدها

بالمشفى، لكنه رحل غاضبًا منهم.

* * *

"باسم" يتصل برفيق "فيرد قائلاً:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا

باسم، كيف حالك الآن؟

- وعليكم السلام، بخير يا رفيق، لكن

أخبرني ما حدث بالأمس من فضلك؟ لم

تخبرني أمي شيء.

رد رفيق متعجبًا:

- لم تخبرك خالة سعاد! لماذا؟

- لا أعلم يا رفيق لماذا هل ستخبرني أم لا؟

- سأخبرك يا صديقي لكن يجب عليك

أن تتوخي الحذر من كل شخص يمكن أن
يؤذيك.

باسم:

- ماذا تقصد بتوخي الحذر؟

رد رفيق:

- اسمعني يا باسم يبدو أنك تحت تأثير
سحر، ليس سِحْرًا عاديًا بل قوي جدًا.

توجس باسم خيفة قائلًا:

- كيف علمت ذلك يا رفيق؟

- لقد رأيتك بالأمس يا باسم قبل حملك
لتنام بغرفتك في أبشع صورة رأيتها في
حياتي.. أنت لم تكن أنت، كنت شخصًا

آخر، ربما لذلك علاقة بتلك الرؤى والأحلام التي تراها وتحدث حقيقة، أن ترى الموتى يتحدثون وحدك أو في وسط أشخاص معينة.. كل هذا يا باسم ليس نذير خير أبدًا.

- ماذا تقول يا رفيق؟ هل تعني أنني مسحور؟

- باسم.. إليك الأمر الأهم، ما رآه "قاسم" يحاول قتله كان أنت.. لم يرَ أحد غيرك لكنه لم يخبرك خشية أن يكون متخيلاً لمَّ حدث في غرفة الرعاية، لكن ما رأيت منك بالأمس أكد ظنوني بأنك قد تكون مسحور سحراً سود سفلي.

تلعثم باسم حتى أبت الكلمات أن تخرج
من فاهه ثم جثا على الأرض محدثًا رفيق:
- ماذا تقول يا صديقي؟

- أنا متيقن يا باسم مما أقول، لا يحدث
لك ذلك معظم الوقت لكن يبدو أن
السحر الذي حللناه منذ طلاق زوجتك
يتجدد أمامنا الآن. يجب أن تكون على
حذر، حاول المحافظة على أذكارك و أقل
شيء أن تستمع حتى إلى سورة البقرة أنت
تعلم أنه من الأفضل قراتها لكن إن لم
تستطع فاستمع إليها فقط.

ظل باسم جالسًا على الأرض لا يعلم ماذا
يفعل؟ هل هو مسحور حقًا؟ أيعقل أن

يختلط الأمر على رفيق؟!!

* * *

وصلت نجية إلى القصر لحضور عزاء
"محمود" دقت الباب ففتحت لها
الخادمة، سألتها نجية عن أختها وابنتها
كيف حالهم؟

ردت الخادمة:

- هم بخير حال يا سيدتي لكن هم طبعًا
مهمومين كأنهم كسروا بموته رحمه الله.

مصمصت نجية شفيتها قائلة:

- أبلغني سيدتك أني هنا.

ردت عليها:

- أوامرك يا سيدتي، تفضلي بالجلوس في الصالون.

دخلت "نجية" جلست على مقعد الصالون الذهبي، لكنها سألت أحد الخدم عن مكان جثة محمود كي تراه، فذهبت ووجدت أختها محتضنه جسده وهي تبكي فجأة أوقفها "أحمد" قائلاً:

- ماذا تريد من هنا؟ كيف تدخلين غرفته دون إذن؟

- ومن أنت لتأذن لي أنسيت أني خالته؟

- اخرجي من هنا، اغربي عن وجهي وإلا علمتك قدرك الآن يا نجية.. هيا اذهبي للخارج.

ظهر خلفها شيء مخيف فجأة يبدو أنه
شيء يخرج شَرَّرَ من النيران لا تبدو له أية
ملامح، حينما حاول الاقتراب من "أحمد"
وهو واقف عند الغرفة المفتوحة سمع
صوت القرآن الكريم فصرخ واختفى.

من المحن ما يصنع إنسان متجمد القلب،
ومنها ما يجعله رقيق القلب رقيق بالناس
فاخترأي إنسان ستكون، فكل ذكرى تضع
نكتة في قلبك لا يمحوها إلا الدهر.. وما
سمي الإنسان إنسان إلا لأنه ينسى فكيف
لا ننسى إساءة قد مضت وقد تمحى مع
الوقت وتضيع آثارها.

الفصل الرابع

تعويذة

- دعني أرى ابن أختي يا "أحمد" قالتها
نجية بغضب شديد.

- لن تدخلني أبدًا لتري أخي، لن أدعك
تفعلني أي شيء من تلك الأفعال التي
تقومين بها دومًا.

- لا تنسَ أني خالته وخالتك أيضًا.

- من الجيد أنك لا زلتِ تعلمين أني ابن
أختك أيضًا، لست عدوًا لك.

- يا "أحمد"، أنا أذكرك فقط أني خالتك.

- عمومًا يا نجية تعلمين أني لا أعتبرك

كذلك؛ لتسببك بموت أمي، الآن هيا
اغربي عن وجهي.

- كيف تتحدث معي هكذا؟

- إن لم تخرجي وحدك سأجلب الخدم
يلقونك بالخارج، لن أسمح لك بإيذاء أخي.
ردت عليه باستفزاز:

- وما أدراك أني لم أؤذيه قبلاً وبأمر أمك
الثانية؟!!

كور أحمد قبضته وكان على وشك ضربها
بقوة لكن منعتة نبيلة قائلة:

- لا تفعل يا بني، أنت أكبر من ذلك.

قالت لها نبيلة بغضب:

- من فضلك يا نجية ارحلي.. لن ندعك
تدخلين على ابني أبداً، هيا لتذهبي من هنا
ولا تعودي مرة أخرى.

غضبت نجية مردفة:

- بعد كل مساعدتي التي قدمتها لك
لتتخلصي من تلك الفتاة اليتيمة تقولين
اذهبي.. سأريك غضبي كيف يكون يا
نبيلة.

ردت عليها نبيلة:

- يكفي موت ابني بسبب تلك المساعدة، لا
شيء سيحدث لي أسوأ من موته.. اذهبي
لتفعلي ما شئت، لكني لا أريدك الآن،
اغربي عن وجهي.

* * *

رن هاتف "نادر" فأجاب مسرعًا فوجد من يهاتفه بصوت أجش، لم تكن "هيام" كما اعتاد.. كان صوت خشن بحيح فظن أن هناك لص في منزل حماته فتحرك من مكانه مسرعًا وأخذ معه بعض العساكر في سيارة الشرطة المعهودة وقاد مسرعًا.. وهو في طريقه أرسل رسالة إلى "باسم" ليخبره أن يأتي ومعه "رفيق" من أجل "منة".

عندما وصل إلى المنزل وجد المصعد معطل والكهرباء منقطعة من البناية بأكملها فصعد السلم مسرعًا حتى وصلوا

جميعًا، واقتحم الشقة لأنه لا يملك
مفتاح.. ولم يكن هناك ضوء إلا في غرفة
واحدة وهي غرفة "منة" فذهب وطلب من
العساكر البحث عن زوجته وأمها وطفله
الصغير وذهب ليفتح الباب.. وجد ابنته
ترسم كعادتها فسألها في تعجب

- ألم تنقطع الكهرباء في غرفتك يا
حببتي؟!!

نظرت إليه ببراءة:

- لا يا أبي أنا أرسم والمصباح يعمل.. هل
انقطعت الكهرباء؟

- لا يهم.. ماذا ترسمين الآن؟

- أرسم صديقي هو يريد أن يأخذ رسمتي

معه في منزله.

ازدرد "نادر" ريقه في خوف وهو ينظر في جميع أرجاء الغرفة ولا يجد أحد فقال في نفسه أين صديقها المزعوم هذا يا ربي أنقذنا جميعاً من ذلك.

- أين هو صديقك يا منة؟

أشارت إلى السرير ولم تتحدث واستمرت في الرسم اقترب "نادر" ليرى ما ترسم فوجدها ترسم عائلة كما اعتادت رسمهم جميعاً لكنها تضع لوناً أحمر كالدم على جميعهم.. تلك المرة صعق لَمَّ ترسم وحاول أخذ اللوحة التي ترسم عليها وتمزيقها لكن

هناك ما ظهر ليمنعه من ذلك فوق أرضاً
خوفاً مما رأى.

* * *

باسم محدثاً نفسه:

- كيف أكون حاولت قتل أخي ذاك اليوم،
كنت عند نادر على ما أذكر.. يبدو أن هناك
شيء آخر لا نفهمه، يجب عليّ معرفة ما
يحدث.

أتت رسالة على هاتفه فتحها فإذا هي من
نادر يطلب منه أن يأتي لمنزله ومعه رفيق
من أجل ابنته، اتصل باسم برفيق وطلب
منه أن يقابله أمام منزل نادر تاركاً له
العنوان، ركب باسم سيارته وكانت كنده

بالداخل تنتظر الذهاب لرؤية زوجها،
أبلغها أنهم سيذهبون لرؤيته بعد الذهاب
إلى نادر لأمر هام لا يحتمل التأخير، ثم
طرأت له فكرة أن يوصلها إلى منزله حتى لا
تتأذى أكثر فطلب نادر أن يحضر رفيق معه
لا يشعره بخير.

ساق باسم سيارته ذاهبًا إلى المنزل، أخبر
كنده أن تصعد للأعلى حتى يعود ويأخذها
لرؤية زوجها قبل دفنه ثم ذهب مسرعًا.

* * *

رن هاتف نادر لكنه لم يجيب.. وصل
"باسم" و"رفيق" وجدا الكهرياء منقطعة
في البناية بأكملها فصعدا وجدا باب المنزل

مفتوح وغرفة واحدة مضيئة فدخلا ولم
يكن هناك أحد سوى "منة" ترسم ووجد
هاتف "نادر" على الأرض فتحدث "باسم"
إليها.

- أين والدك يا "منة" ماذا تفعلين الآن
وحدك؟

أدارت رأسها فأصبح وجهها للخلف ولم
تتحرك فكانت كأنها مقلوبة الجسد
وقالت:

- أرسم.

انتفض "باسم" واستعاذ بالله ثم سألها:

- أين أباك الآن؟ أخبرني أنه قادم إليك.

- لم أراه صدقني، ربما يعمل هو دائماً مشغول.

انتفض "رفيق" لعلمه بما يسكن في جسد الفتاة فبدأ بقراءة القرآن.. كان يكرر آيات معينه مراراً و تكراراً.. واصل القراءة لم يتوقف حتى تحول وجه "منة" لمنظر بشع وتحذت بصوت أبشع من شكلها المتحول. صدم "باسم" لم يرى لكن "رفيق" لم يتوقف عن قراءة القرآن، كان صوتها يزداد بشاعة وطلبت منه مراراً أن يتوقف عن القراءة لكنه أبى.. فرفعت "باسم" عاليا ثم أسقطته أرضاً فغشي عليه، ظل "رفيق" يقرأ بصوت عال حتى سقطت

أرضًا وعادت كما كانت جميلة الوجه والبراءة تظهر على وجهها، أيقظ "باسم" برش ماء على وجهه، أخبره أنه يسمع طفل يبكي ثم قيذا منة في سريرها وذهبها سويًا للبحث عن "نادر" وزوجته.. وجدوهم في غرفة الألعاب بدا عليهم الرهبة الشديدة مما تحولت إليه طفلتهم، طمأنهم عليها قائلاً:

- سيحاولون إعادتها كما كانت بإذن الله وإخراج ذلك الشيء منها، فأخبرهم "رفيق" أن جن متلبس بها لذلك تحولت لهذا الشكل، عليكم ألا تفكوا قيودها حتى أعود غدًا بإذن الله ولا حتى تتحدثون إليها،

وأخذ "نادر" إلى غرفتها وجعله يلمس قدمها فإذا هي ساخنة كالجمر، عيناها متلونة بلون النيران المشتعلة البرتقالية وشعرها أشعث، أكد عليهم "رفيق" مرارًا مهما حدث لا تفكوا القيود عنها أبدًا حتى أعود إليكم وهذا لسلامتكم فقط لن أتأخر إن شاء الله.

ظل "نادر" جالسًا في غرفتها وهي نائمة كاملاك، دقت عليه "هيام" الباب وأدخلت الطعام لكليهما، كانت حزينة جدًا قالت:

- ماذا يحدث لنا؟

ربت "نادر" على كتفها ليطمئنها وأخبرها أن تخرج كي لا تستيقظ حتى يعود "رفيق"

كما وعدهم.

* * *

فتحت سعاد الباب بعد دق الجرس
وجدت كنده أمامها قائلة:

- السلام عليكم خالتي سعاد، طلب مني
دكتور باسم انتظاره هنا حتى يعود من
منزل نادر هل تأذني لي بالدخول؟

ساد الصمت لوهلة فرأى قاسم أن الفتاة
ما زالت على الباب فأذن لها بالدخول
قائلاً:

- تفضلي يا مدام كنده انتظري في الغرفة
التي كنت جالسة بها قبل ذهابك مباشرة.

شكرته كنده ثم ذهبت للغرفة فهي تعلم
أن سعاد لا تريدها لكن لم يكن لها مكان
لتذهب إليه.

قاسم محدثاً أمه:

- يا أم باسم، لَمَّ أنت صامته هكذا هيا
اخرجي ما في نفسك الآن، لا تكوني صامته
من فضلك.

- ألا ترى لقد عادت تلك المرأة ثانية، ألن
يتعلم أخاك يا قاسم؟!

- لا تكبري الموضوع يا أمي هو يساعدها
فقط ثم هو كبير بما يكفي ليتخذ قراراته،
سأذهب إلى المشفى عن إذنك.

ظلت سعاد جالسة في الجهو وحدها تفكر

فيما يتعلق بابنها وتلك المرأة التي لا تريدها
في حياتهم.. تركها قاسم ليبدل ملابسه
ويذهب للعمل، أثناء خروجه سمعها وهي
تحدث نفسها قائلة:

- خاب وخسر من يترك أمه لأجل امرأة،
لازلنا نجهل هويتها، سأفعل ما بوسعي
لأبعد تلك المشؤومة عن ولدي، لن أتركه
لها.

ذهبت إلى الغرفة التي تجلس بها كنده
فأخبرتها أن ترحل الآن وعلا صوتها كثيرًا،
فذهب قاسم إليها ليهديها، لكنها أبت
وأصرت على رحيل كنده الآن قائلة:

- اخرجي من منزلي، لا أريدك هنا اذهبي

كفانا ما حدث من تحت رأسك حتى الآن يا
ملعونة.

قال قاسم لها:

- أصبحت تخيفيني يا أمي.. ماذا ستفعلين
معها؟ كفى ما حدث لها حتى الآن، تعلمين
أنها ليس لها أحد، لمّ قمتي بطردها هكذا؟
- أنا لن أفعل أي شيء بل سأرسل لها من
يفعل، سأحدث إلى صديقة قديمة لي،
اذهب إلى عمك يا حبيبي.

تحدثت مبتسمة بطريقة لم يطمئن لها
"قاسم" فعزم على تحذير أخاه.

اتصل "قاسم" على أخيه وأخبره بما حدث
فقال:

- كان ينقصني ذلك الآن، سامحك الله يا
أمي.

بعد أن وصل إلى منزل "رفيق" بسيارته
أخبره أن يذهب هو لأنه سيذهب للبحث
عن "كنده" لأنها رحلت عن المنزل.

* * *

تتصل سعاد على صديقتها القديمة تطلب
منها القيام بشيء لكي تبعد تلك الكنده
عن ابنها باسم ترد صديقتها المقربة قائلة:
- لكن كيف ينبض قلب ابنك لأحد من
جديد؟ لقد فعلنا سحر متجدد من قبل.

- أعلم يا حبيبتي لكنني في حيرة من أمري لا
أدري ماذا أفعل كي أبعد تلك المشؤومة

عنه، طردتها مرارًا وتعود معه.. لا أعلم

لماذا يتمسك بها؟ ماذا يعجبه فيها؟

- انظري يا سعاد.. اجلي لي شيء منها، أي

قطعة ملابس أو منديل أو شعرة من

شعرها، ستجدين شيئًا منها في منزلك ما

دامت تقطن عندك.

- أكيد سأجد طبعًا، سأبحث في غرفتها

لأبد أنها نسيت شيئًا قبل أن تغادر.

ترد الأخرى في حيرة:

- لكن إذا غادرت هي لماذا تريدن أذيتها يا

سعاد؟

- لأنني أعلم أنه سيعيدها كما فعل من

قبل، ألم أخبرك أني كلما طردتها تعود، لا أريدها هنا.

- سعاد.. ابنك كبير لا بد أن يتزوج، اتركه يعيش حياته، كفى ما حدث مع منار مسبقًا.

- لا تذكرى تلك الحية، تعلمين لا أطيقها.

قهرت الأخرى عاليًا قائلة:

- يبدو أنك لن تدعي أحدهم يتزوج، فكل النساء عندك حيات ما شاء الله.

غضبت سعاد:

- ألن تساعدينى كما فعلت معك منذ زمن؟

- سأساعدك حتمًا.. لا أستطيع رؤيتك
تحترقين بسبب حية جديدة تأخذ ابنك
من حضنك.

- انتظري مني خبر، سأرسل لك شيء كانت
ترتيه الفتاة قبل رحيلها.
أغلقت سعاد الهاتف مسرورة مما
ستفعله بكنده قائلة:

- الحمد لله سأخلص منها للأبد.

* * *

كفكفت دمعها ولممت نفسها ورحلت تلك
المرّة حقيقة خوفًا من نفسها الأمانة
بالسوء، تعلم أنها تكن له شيئًا لكنها

تخاف ربها، و طردتها أمه بلا رحمة أو شفقة وهي تعلم أنها ليس لها سوى الله في تلك الدنيا الواسعة، أين ستذهب المسكينة الآن.

قالت باكية:

- يا رب دبر لي أمري ليس لي سواك يرحمني،
دلني على طريق لأتبعه دون أن يؤذيني أحد.

لم تجد مكانًا تذهب إليه فجلست في حديقة مجاورة لمنزلهم بجوار شجرة كبيرة اختبأت في إحدى زواياها كي لا يراها أحد.

* * *

ظل يبحث عنها "باسم" في الشوارع

المحيطة بمنزلهم محاولًا العثور عليها، ظل بالشوارع حتى أصبح الليل و انتشر اللون الاسود بين طيات السحاب والقمر بينها منيرًا، وظل يدعو أن يجدها لكنه فشل فقرر العودة إلى المنزل فوصل وخرج من سيارته.. سمع صوت أحد يبكي بالقرب من منزلهم فالتفت حول المنزل فوجدتها تجلس في الحديقة الخلفية المجاورة للمنزل ففرح قائلاً:

- الحمد لله.. أنتِ هنا، علمت أني سأجدك.

فقامت من مكانها وقالت:

- أريد الرحيل من فضلك أعطني عنوان أهل زوجي.

قال:

- إن شاء الله.. في الصباح سأخذك إليهم
بنفسي كي أطمئن، هل يمكن أن تنتظري
حتى الصباح من فضلك؟

قالت باكية:

- لكني لا أستطيع البقاء، والدتك غير
مرحبة بوجودي، لن أضع قدمي في منزلكم
بعد الآن.

رد عليها باسم:

- من فضلك، اليوم فقط ولن تنامي في
شقة أمي.. لديّ شقة فوق أمي، سأخذ
المفتاح فقط وتذهبي لتنامي فيها للصباح.

و افقت كنده وذهبت إلى منزلهم ودخلت
بيت أمه.

فقال لها باسم:

- اجلسي هنا سأحضر المفتاح وأعود.

جلست على الأريكة الخاصة بسعاد
فوبختها لتقوم من هذا المكان فهو خاص
بها، اعتذرت منها فأخبر أمه أنها ستظل هنا
فقط حتى يعود فهو لا يجد مفتاح شقته،
وأخبرها أن تظل في البلكونة حتى يأتي
بشخص يغير له مفتاح الشقة ليستطيع
فتحها، فقامت وخرجت إلى الشرفة
وجلست على الكرسي لترى باسم حين
عودته، ظلت تنتظر حتى قاربت الساعة

على التاسعة، فجأة سمعت صوت سيارة
قريبة قامت لترى لكن أضواء أعمدة النور
انطفأت جميعها.

سعاد متوجهة إليها بالحديث:

- كم مرة عليّ صرفك وطرديك من هنا؟
لماذا تأتيين معه ثانية؟ هل وقعتِ في حب
ابني؟ لن أدعك تضحكين عليه.

قالت سعاد ما تريد ثم تركتها راحلة إلى
مكانها بالداخل.

ثم أصبح الشارع ظلام كالليل البهيم..
سمعت صوت ينادي عليها:

- كنده كنده كنده تعالي إليّ.

ارتعشت في مكانها وجلست في زاوية
البلكونة حتى لا يراها صاحب الصوت،
لكنه وجدها.. كان شيئًا كالدخان، كبير
الحجم لونه أسود مختلط بلون كالجمر،
تخرج منه شذرات نيران متوهجة وهويشير
إليها فصرخت بصوت عال جدًا، انطوت
كندة في زاوية بالشرفة.

حتى عادت "سعاد" ورأت ما يوجد في
شرفة منزلها وهي شاخصة العينين.

- يا الله ما هذا الشيء؟! أنتِ ملعونة..
علمت ذلك منذ رؤيتك أول مرة، لا يخيب
ظني أبدًا.

وكانت تطلب النجدة من الله عزوجل حتى

حاولت الخروج من الشرفة لكن ما رأيته
قال:

- إلى أين يا "سعاد"؟ أريدك اليوم.. لقد
اقترفت الكثير من الأخطاء في حياتك،
عليك تصفية حسابها اليوم.

ورفعها في الهواء ثم قام بإلقائها من
البلكونة للشارع فسقطت أرضاً أمام
"باسم" الذي قد وصل للتو.. ولما نظر إلى
الأعلى.. وجد الدخان وشذرات النيران،
فظن أن المنزل يحترق، اتصل بالإسعاف
لنقل أمه بعد أن اطمأن أنها تتنفس،
صعد مسرعاً ليخرج "كنده"، فتح الباب
لم يجد أي حريق، فذهب إلى الشرفة

فوجد كنده تجلس في الزاوية وأمامها ما
 رآه عند "نادر" وهي ابنته ويخرج منها
 شذرات النيران، شخص عينيه قائلًا:

- بسم الله الرحمن الرحيم، يا مغيث
 أغيثننا.

فقامت بإزاحته من أمامها بإلقائه بعيدًا
 متحدثة إليها:

- تعالي إليّ نريدك حية، وضحكت عاليًا
 فارتعبت "كنده" أكثر.

* * *

جاءت الإسعاف فوجدوا "سعاد" أرضًا
 وقد نزفت دمًا كثيرًا.. قاموا بنقلها وذهبوا
 بها إلى المشفى، حاول "باسم" قراءة القرآن

لكنه كان لا يستطيع التحدث حاول مرارًا
ولم يستطع وكأنه متلجم اللسان.

(كما يحدث للإنسان أثناء نومه وتسمى
ظاهرة الجاثوم)

حاول تحريك يده فنجح فأرسل رسالة إلى
"رفيق" وكتب بها مختصراً.. ابنة "نادر" في
بيتي.

كان "رفيق" يقرأ الرقية الشرعية على ماء
وضعه أمامه عندما جاءت الرسالة،
فأنهى الآية ونظر إلى الهاتف قرأ رسالته
فجحظت عينيه قائلاً:

- ألم أخبرهم ألا ينزعوا قيودها؟ يا ربي

ألهمني الصبر والقوة و انصرني على ذاك

الشيء الذي رأته.

ارتدى ملابسها وأخذ ما يريد معه وخرج
ليلحق "باسم" سريعًا.

حاولت "كنده" القيام لتخرج من أمامها
لكنها لم تستطع الحراك.. ظلت تبكي دون
خروج صوت منها وتذكرت "محمود" الذي
وعدها بأنه لن يسمح لأحد أن يبكيها وأين
هو الآن؟ تذكرت.. أصبحت مستسلمة
للأمر الواقع، لم تعد تحاول التحرك وكان
"باسم" ينظر إليها لينبها ليفعل شيئًا
لكنها لم تنتبه له.

* * *

تحدث نادر إلى زوجته موبخًا إياها:

- أخبرتك يا "هيام" ألا يجب علينا نزع
قيودها ماذا سيحدث الآن؟

- لكنها كانت تبكي ولم يكن بها شيء يا
"نادر" لم أستطع تركها مقيدة هكذا.

ظل يفكر.. ماذا سيحدث لابنته وأسرته
جميعًا.. كان شارد الذهن لا يستطيع
تركهم والذهاب إلى عمله ليرى المستجدات
في تلك القضية التي حولت حياته إلى
جحيم.

قام واتصل ب "رفيق" فرد عليه وقص
عليه كل ما حدث.

فقال رفيق:

- ابنتك عند "باسم" لا تقلق.. المهم ألا

تفعل شيء خطيرًا حتى أذهب إليهم أنا في
طريقي.. لكن تذكر أني حذرتك ألا تفعل
وقد حدث ما حذرت منه كله، نسأل الله
السلامة من شر ما بها.

* * *

وصلت سيارة الإسعاف إلى المشفى..
أدخلوا "سعاد" إلى غرفة العمليات
بسرعة وطلبوا طبيب الطوارئ الموجود
فجاء "قاسم" وأجرى ما يلزم لإنقاذه.. لم
يكن رأى وجهها بسبب وضعها على
التنفس الصناعي ولكن وضعها كان سيء
جدًا فسأل:

- كيف حدث ذلك؟

فأخبروه أن شخصًا اتصل بنا وقال:

- سقطت أُمي من بلكونة الدور الخامس
وذهبنا وأحضرناها.. كانت ملقاة على
الأرض وتنزف وفتح أحدهم نور سيارته لكي
تكون واضحة لنا لكن لم نجد أحد معها.

فقال قاسم:

- لعلها ستكون بخير بإذن الله.. لكن
أتعلمون أنا وأُمي نسكن في الدور الخامس
أيضًا.. ربنا يحفظ أمهاتنا جميعًا.

نظر المسعفون إلى بعضهم البعض
واستغرب "قاسم" لذلك فقال:

- ما الأمر؟ من أين جاءت تلك السيدة
العجوز؟ ألن تجيبوا؟

فأخبروه أنها أمه.

فذهب إلى غرفة الرعاية ورأى وجهها بعد أن قامت الممرضة بتنظيف وجهها المتلطح بالدماء فإذا بها هي أمامه وحياتها في خطر، أغمض عينيه وكانت الدموع تنساب منها وهو في صدمة، أخرجته الممرضة وأجلسته على كرسي بالخارج.
جاءه رجل عجوز وجلس جواره ثم حدثه:

- ما بك يا بني؟

- لا شيء فقط أُمي مريضة وأنا لم أعتاد أن أراها هكذا.

- لا تخف يا بني ستنجو إن شاء الله..
زوجتي نجت من أشد الأمراض بفضل

اللَّهِ، فقط ادع الله لها وسيستجيب إن شاء.

التفت "قاسم" وجد الرجل يرحل عنه فدعا الله أن يشفي أمه.

جاءته إحدى الممرضات بكوب ماء، كان واقفاً يبحث عن الرجل الذي حدثه فسألها عنه فقالت:

- لم أرَ أحدٍ يا فندم.. أخذ منها الماء وأخذ رشفتين وشكرها قائلاً لها:

- اذهبي أنا بخير.

قائلاً في نفسه أين اختفى هكذا؟

* * *

وصل "رفيق" وصعد السلم فوجد الباب مفتوحًا فدخل وسمَّ الله، نادى على أهل البيت فلم يجيبه أحد، أخذ يبحث في المنزل فلم يجد أحد منهم فاتصل "بباسم" فسمع صوت هاتفه في الشرفة، ذهب ورأى كل شيء في حالة مزرية تنم على ما حدث هنا.

فنظر إلى الأسفل.. وجد سيارة باسم مضاءة فأراد الخروج ظنًا منه أنه في السيارة واستدار فوجد أمامه "كنده" ملقاة على الأرض تنزف.. جرى عليها حدثها وأخبرته أنها أخذت "باسم" ولا تعلم أين.. لكنها قالت أنها يجب أن تتخلص منه قبل

أن تقتلني، ازدرد ريقه بصعوبة وطلب
الإسعاف لها لكنه ظل أمام باب المنزل
لشعوره بشيء مستقرهنا.

نظرت "كنده" في خوف لمّ يمسك بباسم:
- لقد فعلت ما أمرتني به، اتركه وخذيني
كما أردتِ ليس له ذنب في شيء.

هزت "منة" رأسها بابتسامة ساخرة
تخبرها أنها لا تريد منه شيء فخرج الشيء
المتفحم من "منة" فسقطت الطفلة أرضاً
ومضى ذاهباً إلى "كنده" وكانت مستسلمة
تماماً، فدخل "رفيق" ثانية وقام برش
المياه التي معه عليه فبدأ متأماً متأوفاً
وتحدث بصوت تخين:

- ابتعد وإلا قتلتك الآن، ولن يحميك أحد
من عذابي يا أحمق، ألا تذكر زوجتك
وطفلك يا "رفيق" وما حدث لهم بسبب
وقوفك أمام جنسنا القوي؟!

وكان يتمايل بقهقهة عالية، بدا "رفيق"
حزينًا وأخبره أن الله سيحميهم جميعًا منه
وبدأ بتلاوة القرآن -آيات العذاب تحديدًا-
لكن الشرهرب من أمامه كعادته وتوعده
أشد وعيد.

وصلت الاسعاف وكان معهم "قاسم" تلك
المرّة ورأى بعينه ما حدث في منزلهم، رفع
المسعفون كنده ومنة وبقي "باسم" أرضًا..
قام "رفيق" و"قاسم" بحمله ليتم إنزاله

خلف المسعفون، فجأة اشتعلت نيران في المنزل فخرجوا به على وجه السرعة.. نزلا في المصعد حتى لا تأتيهم النيران، فخرجوا مسرعين إلى الإسعاف ورأوا المنزل وهو يتدمر تمامًا.

- ماذا يحدث يا "رفيق"؟ قالها قاسم بخوف شديد.

- القادم أدهى وأمر يا "قاسم" لننقذهم ونتحدث في الطريق.

ذهبوا بهم إلى المشفى جميعًا، قاموا بإدخال كنده إلى العمليات لأنها كانت تنزف بغزارة، وظل الفريق الطبي حوالي ساعة كاملة بها في العمليات وعندما

خرجوا أخبر الطبيب رفيق بأنها قد تفقد طفلها وتحتاج إلى نقل دم فورًا ويجب عليهم فعل اللازم لإنقاذ حياتها.

- أين ابنتي يا "نادر"؟ أنت السبب في كل ما نحن فيه

- لمّ؟ هل أنا نزعت قيدها أم أنت؟ عمومًا ليس وقت التحدث الآن عن تسبب بذلك المهم هو سلامتها.

جاءته رسالة على هاتفه بمكان وجود ابنته، فخرج من المنزل في عجلة وجرت وراءه "هيام" لكنه لم يلقي لها بالاً، نزل ركب سيارته وانطلق بها إلى المشفى لكن عندما وصل لم يكن هناك طريقة ليخرج

من السيارة حاول الخروج ولم يستطع..
أصبح عالقًا بداخلها هو يريد رؤية ابنته
والاطمئنان عليها لكن منعه مانع شديد
وهو ما كان متلبس بها، حاول قراءة آية
الكرسي كما أخبره "رفيق" لكنه لم يستطع
وفجأة ظهرت على الكرسي الخلفي ابنته
ونادت عليه:

- بابا انقذني من فضلك.

التفت فوجد جسدها ممدد على الكراسي
الخلفية وحول عينيها سواد كالليل البهيم
وتحدث فيخرج من فمها شذرات نيران
فاحترقت بها، حاول الخروج لكنه احترق
مثل من قبله جميعًا ثم مد يده فتح باب

السيارة فانفتح وخرج منها وهو مشتعل
ويجري على المشفى، رآه الأمن فأحضروا
طافية الحريق وقاموا بإخماد النار
وأخبروا المسعفين فأخذوه إلى قسم
الحروق وكان في وضع حرج جدًّا.

* * *

بعد إفاقة "باسم" أول ما سأل عنه هو
أمه فأخبره "قاسم" أنها في الرعاية المركزة
منذ أن جاءت وطلب منه أن يستريح حتى
يستعيد عافيته، ثم سألته عن "كنده" ما
حالتها ومنه.. رد عليه مبتسمًا:

- لا تقلق هم في أفضل حال الآن، المهم أن
تستريح قليلًا.

تنهد "باسم" طويلاً قائلاً:

- لقد رأيت أُمي وهي تسقط وحاولت
 "كندة" إنقاذي لكنني بقيت خوفاً أن
 يحدث لها كما حدث لأُمي، أه يا أخي لو
 تعلم ما رأيت اليوم لن تصدقني حتماً.
 مسح "قاسم" على رأس أخيه وهو يمازحه:
 - أنت لم تر ما رأيت ليلة موت "محمود"،
 ظننت أنني هالك لا محالة حتى رأيت نوراً
 ساطعاً وأنا أحاول قراءة القرآن ارتعب
 منه ذلك الشيء وفر هارباً حينما رأى
 النور، لكنني لم أعلم ما ذاك النور حتى
 الآن.

تنهد الآخر ثم أردف:

- ارتح الآن ثم نتحدث لاحقًا إن شاء الله تعالى.

- هل رأيتني حقًا يا قاسم ليلة موت محمود؟

- نعم.. لكني أعلم أن ذاك لم يكن أنت، فأخي لا يؤذيني أبدًا، هيا لترتح قليلاً الآن.

خرج "قاسم" من الغرفة فوجد هرج ومرج وازدحام كثير بالخارج، قلق على أمه فذهب مسرعًا إلى غرفة الرعاية فوجدها فيها وليس بها شيء، فسأل أحد الممرضات

- ماذا يحدث أيتها الممرضة؟

- على ما يبدو أن هناك رتبة كبيرة في

الداخلية مصابه بحروق كثيرة وهو في
قسم الحروق الآن يا دكتور.

سألها من هولكنها لم تكن تعلم فذهب إلى
الواقفين يطمئن فتحدث إلى ضابط وعلم
أن المصاب هو "نادر حفي" العقيد
بمديرية أمن القاهرة، صعق قاسم كاد أن
يسقط من هول الصدمة ثم اعتدل:

- لكن لَمَّ "نادر" أيضًا يا ربي الآن؟ يا
حفيظ يا رب الطف بنا.

نظر إليه الضابط باستغراب قائلاً:

- هل تعرفه يا دكتور؟

رد مسرعاً:

- نعم هو ابن خالي يا فندم، لكن ابنته هنا في "غرفة ٩٤" والحمد لله حالتها مستقرة الآن.

لم يطمئن الضابط الواقف أمامه لحديثه لكنه تركه يذهب وأمر أحد عناصر الشرطة بمرآقبتة حتى يفهم ما به.

جاءت "هيام" بملابس رياضية إلى المشفى ودخلت مهرولة:

- أين "نادر حفني" و"منة"؟ من فضلكم أريد رؤيتهم أنا زوجته وهي ابنتي.

أخبروها في الاستعلام أن تجلس حتى يأتي الطبيب المعالج ذهبت لتجلس فوجدت "رفيق" على جوارها، حدثته لتطمئن لكنه

كان شاردًا غير منتبه لها.. بدا كأنه يتحدث مع أحد وعندما نظرت جواره لم يكن هناك أحد فارتعبت وقامت إلى ركن الاستعلامات فوجدت هناك "رامز فؤاد" وهو صديق لزوجها فسلمت عليه وطلبت منه رؤية زوجها وابنتها، فابتسم لها وتمنى لهم الشفاء وأخبرها أنه منتظر الطبيب المعالج لهم ليطمئن على حالتهم الصحية.

* * *

رن هاتف "رامز" فرد فإذا به يخبرونه بهروب "فرج" من السجن في ظروف غامضة جدًا ولم يفتح بابًا أو يكسر نافذة، انزعج "رامز" من المكالمة فصرخ على

المتصل وأخبرهم أنهم متكاسلين ولا يستطيعون تنفيذ أوامر "نادر" المشددة على ذلك السجن تحديدًا وتوعد لهم بتحويلهم للتحقيق ثم أغلق في وجه المتصل وهو لا يزال منزعج.

- السلام عليكم يا "رامز" باشا.. أخبروني أنك تريدني.

- دكتور "صديق"، كيف حال "نادرومنة" الآن؟

- بخير الحمد لله، هم أفضل الآن، لكن الحروق في جسد الطفلة لم تكن تنطفئ لذا ظللنا فترة حتى خمدت بفضل الأستاذ "رفيق".

طلب رؤية "رفيق" أيضًا وكانت "هيام"
 جواره خائفة عليهم جدًا وشكرت "رفيق"
 ثم طلبت رؤيتهم فمنعها "صديق" وأخبرها
 أنه سيطلب منها الحضور وقت ما
 يتحسنوا لتراهم إن شاء الله، ثم عاد إلى
 عمله.

* * *

فتحت عينيها فوجدت نفسها في المشفى،
 ثم حاولت النهوض لكنها لم تستطع.. يؤلمها
 جسدها وكانت لا تزال تحت تأثير المخدر،
 ثم رأت أمامها نور ساطع أغمضت عينيها
 من شدته فحدثها من فيه فإذا به
 "محمود":

- حبيبتى تسلحي بما تحفظين من كتاب الله
ليحفظك من شره ولا تقابلي "فرج" أبدًا
مهما كان، حافظي على نفسك بالقرآن
والأذكار كما كنتِ تفعلين لينصرك الله
ويحفظك منه.

ظلت تنادي عليه لكنه رحل.. استيقظت
باكية تصرخ باسمه فهدئتها ممرضة كانت
جوارها وأخبرتها أنها بخير.

سألت عن "باسم" وأمه وأرادت رؤيتهم.
فدخل "رامز" بعد أن دق الباب فسلم
وطلب من الممرضة الرحيل لأنه يريد
سؤالها عمَّ حدث.

بعد خروج الممرضة سألتها:

- ماذا حدث بالتفصيل الممل؟ وما اسمك؟

- اسمي "كنده" وما حدث هو أنني رأيت طفلة مشتعلة تطير في الهواء وأسقطت خالتي "سعاد" ثم ضربتني حتى نزفت وكنت لا أستطيع التحدث حتى جاء "باسم" وكلمته ثم منعتني من الكلام.

سخر منها وتحدث تهكمًا:

- أتريدين مني تصديق ما تقولين يا امرأة هل أمامك مختل؟

ارتعشت وهي تتوسل إليه ليصدقها لكنه أبي التصديق.

طلب استدعاء "رفيق" من الخارج، وسأله

- ماذا حدث؟

فقال:

- نفس ما أخبرتك به "كندة".

فضرب كفًا بكف قائلًا:

- لقد وقعت في مجموعة مجانين اليوم،
لنرى ما سيكون رد دكتور "باسم" حتى
يستطيع "نادر" باشا التحدث معنا.

* * *

استيقظت "سعاد" فتهللت أسارير
"قاسم":

- أمي حبيبتى أنتِ بخير أجيبى.

هزت رأسها بنعم ثم حاولت تحريك يدها

لتزِيل جِهَاز التَّنْفِيسِ عَن فَمِهَا فَأزَالَهُ لَهَا
فَأخْبَرْتَهُ:

- أَبْعِدْ تِلْكَ الْمَلْعُونَةَ عَن "بِاسْمِ" أَبْعِدْهَا
سَتَقْتُلُهُ كَمَا حَاوَلْتَ قَتْلِي الْيَوْمَ.

أخْبَرْتَهُ بِذَلِكَ لِیَتْرَكْهَا، ظَلَمْتُ تَتَحَدَّثُ وَلَا
تَسْتَطِيعُ التَّنْفِيسَ لَكِنَّمَا كَذَبْتَ لِكْرَهْمَا لَهَا
رَغْمَ عِلْمِهَا أَنَّهَا لَمْ تَحَاوَلْ قَتْلَهَا وَرَأَتْ مَا
حَدَثَ.

* * *

حَضَرَتْ "نَبِيلَةَ" إِلَى الْمَشْفَى بِطَلْبِ مَنْ
"رَامَزَ" وَأَدْخَلُوهَا إِلَى مَكَانٍ جَلُوسَهُ فَرَأَتْ
"كِنْدَةَ" فَمَصَّمَصَتْ شَفْتَيْهَا:

- السَّلَامُ عَلَيْكُمْ جِئْتُ بِنَاءً عَلَى طَلْبِ

حضرتك ما الأمر؟

- أهلاً يا سيدة نبيلة، تلك زوجة ابنك
أليس كذلك؟

- نعم، لكنه توفي وليس لنا علاقة بها.

تمعض وجه "رامز" لمّ تقول "نبيلة"،
ليس لها أهل من يستلمها إذا؟ يا رب ماذا
يحدث اليوم مجانين وامرأة يبدو عليها كره
زوجة ابنها؟!

أردف رامز قائلاً:

- تعلمين أنها يتيمة ليس لها أحد، أرجو أن
تأخذها لمنزلكم من فضلك.. في النهاية هي
زوجة ابنك.

- أسفة يا حضرة الضابط لن أخذها معي.
 حزنت "كنده" لرفض والدة زوجها أخذها
 معها بعد أن كادت تفقد طفلها، فهي لا
 تريد العودة إلى منزل "باسم" وكتمت
 حزنها في نفسها.

لكنها سألت:

- من فضلك يا سيدة نبيلة هل يمكنني
 رؤية زوجي قبل أن يدفن؟

- هل تظنين أنني سأسمح لكِ بذلك؟ ثم إنه
 دُفن بالفعل في الصباح، هل كنا سننتظر
 مجيئك؟

حزنت كنده لأنها لم تستطع رؤيته قبل
 دفنه ثم قالت:

- الحمد لله لعله خير، اسأل الله أن يرحمه
ويغفر له وينور له قبره ويصبرني على
فراقه.

نظرت لها نبيلة بغضب قائلة:

- لو لم يتزوجك لكان معي الآن، أنتِ من
تسببتِ في موته بهذا الشكل، حسبي الله
ونعم الوكيل، لعنك الله يا كنده كما قتلتني
ابني.

توجه إليها رامز بسؤالها:

- كيف تسببت زوجته في مقتله إذا يا
سيدة نبيلة؟

- لا أعلم.. منذ زواجها منه وهو في مصائب

كل يوم، لذا لن أخذها معي أبدًا هي شؤم،
من فضلك دعني أرحل لأخذ عزاء ابني.

- لكن زوجة ابنك حامل، ثم أين ستقضي
عدتها ومنزلها ساحة جريمة؟ ستأخذينها
معك هذه أوامر ليس لديك الحق في
رفضها يا سيدة نبيلة، لا ترغميني على
العنف معك.

* * *

قاسم بصوت عالٍ:

- أمي أمي أجيبني عليّ من فضلك.

قالت كلماتها ثم غشي عليها ولم تعد
شاشة الجهاز تظهر أي قراءة لضربات
قلبها كما كانت لكنها أصبحت في خط

واحد مستقيم، ثم صدر صافرة مما دل
على توقف قلبها.. جلب صاعق القلب
وصعقها ظل يكرر بلا استجابة فدخل
عليه "صديق" احتضنه وطمأنه قائلاً:

- ستكون في مكان أفضل إن شاء الله.. لا
تخاف تعال معي.

غطى وجهها وخرج، ثم صرخ "قاسم"
بصوت عالٍ:

- أمي

ومدها مطوِّلاً.. سمعه "باسم" فهزول
ليرى أخاه.. فوجده أمامه يخبره:

- لقد ماتت يا "باسم" ماتت أمنا أماننا لن

نراها ثانية ماذا فعلت أنت؟ خافت عليك
 لآخر نفس لديها و أنت أين يا "باسم"؟
 احتضن "باسم" أخيه قائلاً:

- إني حاولت إنقاذها لكني لم أستطع..
 ذلك قدر الله فلا شيء بعد القدر ووجب
 علينا الرضا به.

* * *

كان رامز مصرًا على أن تستلم "نبيلة"
 زوجة ابنها لكنها قابلت اصراره بالرفض
 التام، وخرجت من الغرفة تصرخ مهروله:
 - قتلت ابني لن آخذها عندي ستقتلنا
 جميعًا، هي السبب في كل ما يحدث لنا.

وصلت إلى باب المشفى فلم ترَ السلم من
فرط سرعتها فسقطت أرضاً متدحرجة
إلى الشارع لكنها كانت تتحدث إلى أحد:

- لا تؤذيني من فضلك لم أفعل شيئاً، لا
تؤذيني.

ثم دهستها سيارة نقل كبيرة مصدرة آخر
صرخة مدوية في حياتها.

* * *

- أرجوك لا تفعل ذلك بي أنا والد زوجتك..
أرجوك أنا عجوز.

يحدثه بصوت تخين مخيف:

- والد زوجتي يا "فرج" قتلت أبي وأمي في

المشفى بسببك.. أتظني سأتركك؟ كل ما
تفعله لن يفيدك، لن أخبرك بمكان جثة
ابنتك وطفلي مهما فعلت.. سأقتلك
اليوم، استعد لموتك يا "فرج" على يدي..
أنت كنت تقول عني ضعيف؟! ألم أقل
سأريك الضعف اليوم.

وقهقهه عاليا ضحكة شريرة أرعبته حتى
خاف وجثا أرضاً يتوسل إليه ليرحمه.

* * *

تم نقل "نبيلة" إلى داخل المشفى ولكنها
كانت قد فارقت الحياة بالفعل، أي حقد
جعلها تهرب من زوجة ابنها الوحيد
وتتركها؟ ماذا رأت؟ ما جعلها تهول هكذا؟

وكيف مرت سيارة النقل الثقيل وهو شارع
لا تعبر فيه سيارات نقل غير مصرح
بذلك؟! كيف حدث كل هذا؟!!

* * *

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من
معي؟

سألت "آية" باستنكار.

- أنا الرقيب "رامز" لدي خبر سيء لك،
توفيت والدتك في حادث عجيب الآن،
نرجوا إرسال أحدكم ليتسلم جثتها
وتدفن.

وقع الهاتف من يدها وصرخت:

- ذلك ذنب "كندة" و"محمود" يا أمي ماذا فعلتِ؟! سامحك الله.

جاءت أختها "ملك" من الداخل متفاجئة من صرختها فعلمت بموت أمها فصدمت رأسها وهي تسقط على الأرض، حاولت أختها إيقاظها لكنها لم تستطع فطلبت الإسعاف كي تنقلها للمشفى وذهبت لنفس المشفى الموجود بها أمها كي تراها وتستطيع استلام جثتها لدفنها، تهتت "آية" طويلاً قائلة:

- الصبر يا ربي ألهمني القوة والصبر على البلاء.

وقالت في نفسها لن أنتظر حتى يعود

"أحمد" من فرع الشركة بالأسكندرية..
سأجلب "كنده" للعيش معنا في المنزل
وأستلم جسد أمي.

اتصلت "آية" بخالتها "نجية" لتأتي معها
لتستلم جثة أمها، صعقت خالتها
- ماذا! ماتت أختي كيف يا "آية"؟

- لا أعلم إلا أنها تعرضت لحادث أليم.

بسبب التعويذة أيعقل ذلك؟! لكنه أخبرنا
أنها ستقلب علينا، إذا تم حل تلك
التعويذة، لا لا أفيقي يا "نجية" لا يستطيع
أحد حلها.. لقد دفنتها بيدك، كانت
تتحدث إلى نفسها و"آية" لا تزال على
الخط فأخبرتها أنها قادمة وسيحضر معها

ابنها "سليم".

قالت "آية" في نفسها ماذا فعلت مع أمي يا خالتي؟ هذا عاقبة ما فعلتم حتمًا، إن عاقبة الظلم ظلمات.

* * *

ظل "رامز" هناك يضرب كفاً بكف، لا يعلم ماذا يفعل في كل تلك الحوادث التي حدثت في يوم واحد، يسأل الله التوفيق والسداد.

* * *

هنا "نجية" تحاول الاتصال بالشيخ "معاون" كي تستعلم منه عمَّ يحدث لكنه لا يجيب، فقالت:

- يبدو أنه في حضرة أو مشغول بمساعدة آخرين سأتصل به لاحقًا.. هيا يا "هنا" أسرعي يجب عليك الذهاب إلى قصر خالتك لمساندة بناتها بعد وفاتها وسنبقى هناك لفترة حتى نرى ماذا سيحدث.

- أمرك يا أمي أستعد أنا و"أمل" ألا ترين.

- أسرعاً لأنني سأذهب إلى المشفى وأنتم اطلبوا تاكسي واذهبوا للقصر.

ذاك القصر الكبير الذي سأسيطر عليه.. اقترب ما كنت أخطط له. وابتسمت بسخرية واضحة على وجهها لطالما كانت تريد الزواج من زوج أختها الذي فضل "نبيلة" عليها لجمالها ولم ينظر إليها حتى..

ها هي تنتقم منه بعد وفاته وقتل ابنه
وزوجته الآن، ستستولى على القصر
المهيب بعد كل ذلك الانتظار.. ها هي تشعر
بنشوة انتصارها بتخريب حياتهم جميعاً.

اتصلت "آية" بخالتها وقالت:

- من فضلك يا خالتي اذهبي للمنزل قد
يعود أخي في أي وقت ولن أخبره بوفاها
حتى يعود.

- معك حق يا ابنتي لا يجب إخباره حتى
يعود.. قلبي عندكم يا ابنتي خسرتم
محمود ونبيلة وراء بعض ربنا يصبركم.

وبكت ونحبت بصوت عالٍ، تعلم آية يقينا
أنها دموع التماسيح، أما نجية بداخلها

تشعر بانتصار كبير وفرحة عارمة لظنها أنها
تستطيع الاستيلاء على كل أموال أختها
وزوجها.

* * *

- أرجوك يا بني لا تعذبني فأنا عجوز لا
أقوى على ذلك.

يقولها فرج بخوف شديد.

- تخاف الآن يا "فرج"؟! تريد قتل تلك
المرأة وكل من لها أليس كذلك؟ سأعذبك
حتى تحل عنها.. لن أدعك تؤذيها كما
فعلت بي وبعائلي يا "فرج".. سأنتقم منك
الآن، لن تموت.. سأجعلك تتمنى الموت ولا
تجده ولن يجدك أحد أبدًا.

- لكني لم أقتلك يا "سعد" تعلم أنني أردت
لك الخير دومًا.

تخرج شذرات من عيون سعد وهو يقول:
- هل الخير عندك أن تجعلني هكذا لأكون
تحت إمرتك يا فرج؟! سأقتلك كما حكمت
عليّ بالموت وأنا على قيد الحياة،
سأجعلك تتمنى الموت كل لحظة ولن
تحصل عليه.

* * *

دق باسم الباب على كنده ليطمئن عليها
فأذنت له بالدخول فوجدها جالسة تبكي
على دفن زوجها دون أن تستطيع رؤيته.
سألها باسم:

- لَمَّ تَبْكِينَ هَلْ طِفْلِكَ بِخَيْرٍ؟

رَدَّتْ عَلَيْهِ:

- لَا لَقَدْ فَقَدْتَهُ، وَ أَبِيهِ لَمْ أُسْتَطِعْ رُؤْيَتَهُ.

بِاسْمِ:

- هَلْ تَذَكَّرْتِيهِ إِذَا؟

قَالَتْ وَهِيَ تَبْكِي:

- نَعَمْ تَذَكَّرْتَهُ حِينَمَا أَخَذْتَنِي لِرُؤْيَتِهِ فِي

الْمَشْفَى، لَكِنِّي خَشِيتُ إِخْبَارَكَ فَلَيْسَ لَدَيْ

مَكَانٍ أَذْهَبُ إِلَيْهِ، كُنْتُ أَنْتِ مِنْ يَحْنُو عَلَيَّ

بَعْدَهُ، تَرَبَّيْتُ فِي مَلْجَأِ أَيْتَامٍ، لَمْ يَأْخُذْنِي

أَحَدٌ يَوْمًا كَبَقِيَّةِ الْأَطْفَالِ فِي الدَّارِ حَتَّى

كَبُرْتُ وَذَهَبْتُ لِلْجَامِعَةِ.. هُنَاكَ تَعَرَّفْتُ عَلَى

أخت زوجي ومن ثم عرفته هو واختارني
لأكون زوجته، أما الآن فقد خسرت كل
شيء.

نظر إليها باسم:

- علمت أنكِ كذبتِ ذاك اليوم، لكني لم
أستطع تصديق ذلك.. ظننتكِ مختلفة
عن البقية لكنكِ كاذبة مثلهن جميعًا، يا
أسفي عليكِ.. ماتت أمي بسببك كما رأيت
بعيني، أردت حمايتك ففقدت أمي.

قالت له:

- أنا لم أفعل شيء لأحد من قبل، لكني
أعتذر منك، سأذهب إلى أهل زوجي كي
أقضي عدة وفاته هناك ثم سأترك البلد

بأكملها بعد ذلك كي لا يؤذى أحد بسببي
ثانية.

- لكنني أريد البقاء معك برغم ما حدث.

قالها باسم بوهن شديد.

- آسفه لا أستطيع، لم يكن في قلبي غير
زوجي ولن يكون هناك غيره، اعتني
بنفسك وأخيك يا دكتور باسم ليحفظكم
الله من كل سوء.

* * *

- يا سعد لا تعذبني أرجوك اخرجني من هنا
وسأفعل كل ما تريد.

اقترب منه سعد يحمل سكين كبيرة

فطعنه بها في ساقه تارگًا فرج يتأوه وهو
مستمتع بغرسها فيه ليعذبه أكثر.

- حتمًا ستفعل ما أريد يا فرج لكن ليس
الآن يجب أن تتذوق مما فعلته بالناس
أولًا.

يقال إن الأشباح أرواح عالقة ضائعة بين
الماضي والحاضر هائمة لتصالح الخطأ
الذي حدث اثناء موتهم، هم ليسوا
حقيقة كي نخشاهم لكنهم مشوهون لما
حدث لهم بين العالمين فقط يريدون
الراحة وذلك ليس إلا عن طريق دفن
جثمانهم بطريقة صحيحة، ترى هل ذلك
صحيح.

لا تخشى شيئاً وأنت تعبد الله

فلا ضار أو نافع إلا بإذن الله

فلا تيأس ربك لطيف بعباده

فاذكره وتحصن بكلماته

يحفظك حتماً من كل سوء.

الفصل الخامس

أشباح الماضي المشوه

تركت "كنده" غرفتها عازمة ألا تنظر للخلف، ذهبت إلى استقبال المشفى، اثناء انتظارها هناك وجدت الضابط "رامز" ذهبت إليه لتعلم ماذا حدث لرئيس النيابة "نادر" وابنته سائلة:

- مساء الخير يا فندم كيف حال السيد نادر وابنته هل يمكنني الاطمئنان عليهم من فضلك؟

رد رامز عاقداً حاجبيه:

- نادر حالته سيئة، أما ابنته خرجت منذ

قليل مع أمها، لكن من أخبرك بما حدث
لنادر.

- علمت من الممرضة، شكرًا لسيادتك،
معذرة للإزعاج.

- لا بأس، لكن هناك أمر آخر ينبغي أن
تعلميه.

قالها رامز متخوف من ردة فعلها.

- ما هوى سيادة الضابط؟

- بخصوص أم زوجك لقد فارقت الحياة
منذ قليل وابنتها قادمة لتستلم جثمانها
تستطيعين انتظارها لتذهبي معها.

صعقت كنده كانت غير مستوعبة ما

حدث ثم أردفت سؤال:

- كيف ماتت والدته؟

- في حادث سيارة منذ قليل.

- إنا لله وإنا إليه راجعون، لكن من سيأتي

ليتسلمها، يا فندم هل ابنتها آية؟.

- أعتقد فقد تحدثت إلى ابنتها منذ قليل

وقالت إنها قادمة.

وقفت مذهولة تفكر فيما يحدث لما كل

ذلك، رفضت تأخذني ثم ماتت هل هناك

علاقة لكل ما يحدث بي أنا؟ لما كل من

يأتيني يحدث له شيء غريب جداً أصبحت

أخشى على كل من يقترب مني هل أحدث

هذا الضابط بما يحدث أم سيؤذي إن

فعلت أنا في حيرة من أمري، يارب دبر لي
أمري فليس لي سواك.

* * *

فجأة حدث هرج ومرج ممرضين يهرولون،
أطباء خائفون كل منهم يحاول الاتصال
ببنك الدم كي يجدون فصيلة الدم - AB
Negative، كانت كنده لازالت في استقبال
المشفى منتظرة قدوم أية فسمعت
ممرضة تتحدث عن عدم توافر تلك
الفصيلة و حياة رئيس النيابة في خطر
فذهبت إليها لتفهم الوضع.

- من فضلك ماذا سيحدث إذا لم تجدوا
الدم الذي يحتاجه؟

- حالته سيئة جدا سيدتي له الله، لقد
فقد الكثير من الدم ويجب علينا إيجاد
أحد يحمل نفس الفصيلة لكنها نادره.

ردت عليها كنده:

- أحمل نفس الفصيلة حبيبتى لعلي
أستطيع التبرع له بالدم.

فرحت الممرضة وحمدت الله سائلة كنده:

- هل فصيلتك AB؟

قالت كنده:

- نعم نفسها.

ذهبت مع الممرضة لتتبرع له بالدم
فدخلت الغرفة وبدأوا بسحب الدم منها

دون أن تخبرهم أنها حامل، بعدما انتهى
الطبيب من سحب الدم أحضرت لها
الممرضة كوبًا من الحليب فشربته لكنها
لم تتحمل فسقطت أرضًا، أقشعر بدن
الممرضة قائلة للطبيب:

- لقد سقطت الفتاة أرضًا من فضلك
تعال لتراها من فضلك، يبدو أن ضغط
دمها انخفض.

ذهب الطبيب ليراها فإذا هي فاقدة الوعي
فأمر الممرضة بجلب النقالة بسرعة
لنقلها لغرفة كي يتم فحصها جيدًا،
فحصها الطبيب أخبرها أنها حامل لم يكن
عليها التبوع بالدم.

قاموا بتعليق المحاليل الطبية لها وتركوها
حتى ترتاح قليلا، لكن ظلت الممرضة
بجوارها حتى تفيق.

* * *

وصلت آية إلى المشفى فدخلت مسرعة
طالبة أحد ينقل اختها للداخل لأنها فاقدة
للوعي ومريضة قلب يجب أن تفحص
بسرعة.

ذهب الممرضين بالنقالة فحملوها
وأدخلوها المشفى لغرفة الطوارئ، كان
هناك الطبيب قاسم قام بفحصها ثم
طلب عرضها على طبيب القلب الموجود في
المشفى كي يشخص حالة قلبها جيدا حتى

لا تتعرض حياتها للخطر، خرج ليسأل
 أختها عن الأدوية التي تأخذها بانتظام،
 فأعطته الروشنة الخاصة بملك، طلب
 منها قاسم الانتظار حتى يشخصها طبيب
 مختص بمثل حالتها فجلست على اقرب
 مقعد للغرفة، رن هاتفها فأجابت:

- أخي أنا في المشفى تعبت ملك سأنتظرك
 هنا ارجوك لا تتركني وحدي.

رد عليها أحمد:

- أرسلني لي عنوان المشفى برسالة أنا قادم
 إليك لا تقلقي، وكيف هي أمي اخبروني
 انها متعبة وذهبت معك.

تنفست آية الصعداء، كانت خائفة لا

تعلم ماذا تفعل كيف تخبره بوفاة أمه وقد
 دفن أخيه الصغير في الصباح تهدت
 قائلة:

- اللهم دبر الأمر وارزقنا التحمل والصبر
 على البلاء العسير، يا ربي نسيت السؤال
 عن أمي وكنده انشغلت ب ملك، سأرسل
 العنوان لأخي ثم أسأل عنهم.

ارسلت العنوان له ثم ذهبت إلى
 الاستقبال لتتعلم عن كيفية استلام
 جثمان أمها، و سألت عن زوجة أخيها
 كنده لتطمئن على حالتها الصحية
 لتصطحبها معها إلى منزلهم، طلب منها
 الموظف الانتظار حتى يجلب لها البيانات

المطلوبة، ثم اعطاها رقم غرفة كنده
واخبرها إن إجراءات استلام جثمان أمها
فقط التأكد من هويتها أولاً ثم بعض
الإجراءات القانونية اللازمة الأخرى.

استأذنته لتذهب لرؤية كنده حتى ينتهي
من تحضير الأوراق اللازمة لاستلام أمها.

* * *

استيقظت كنده من نومها فسألت
الممرضة عن نادر مطمئن عليه لشعورها
أن ما حدث له ولابنته بسببها هي لأنه
اصبح مسئول عن تلك القضية التي غيرت
حياته للأسوأ.

ردت عليها الممرضة:

- قالت هو بخير لا تقلقي دمك الذي اعطيتيه انقذه بفضل الله تعالى، كانت فصيلته نادره وتبرعتي له بالكثير لكنك حامل، ولم يكن عليك ذلك، حفظك الله يا ابنتي لكن هناك الطبيب باسم بالخارج يريد الاطمئنان عليك.

تهللت اساريرها وتنفست الصعداء قائلة:
- الحمد لله كادوا يخسرون حياتهم بسببي، اللهم لك الحمد، إذا سأعدل ملابسي لأخرج اليوم إن شاء الله، من فضلك لا تخبري أحد أني حامل، سأذهب مع عائلة زوجي لمنزلهم حالما يأتون إن شاء الله.

ابتسمت لها الممرضة وقالت:

- وأنا لن اخبر أحد بحملك يا ابنتي،
سأدعك ترتبين نفسك الآن.

خرجت الممرضة واثناء خروجها قابلت
"باسم" فوجه لها سؤالاً:

- كيف هي الآن؟

ردت قائلة:

- إنها بخير حال، بفضل الله وتستعد
للخروج مع عائلتها.

شخص عينيه واردف قائلاً:

- أي عائلة، هي ليس لها أحد.

- اعلم لكن عائلة زوجها هنا واخته أخبرت

إدارة المشفى أنها ستصطحبها لمنزلهم فور

تعافيا.

- اخت زوجها إذا.

وكور قبضة يده في غضب ثم قال أريد

رؤيتها من فضلك أخبرها.

- أمرك يا دكتور باسم سأخبرها ولكنها

تتجهز أمهلي عشر دقائق من الآن ثم

سأدخل لها.

اثناء رحيل الممرضة قابلتها أية فطلبت

منها الدخول إلى كنده فأذنت لها الممرضة

بعدها علمت انها اخت زوجها، كان باسم

يراقب الوضع في صمت لكنه بداخله

غضب كبير، دخلت اطمأنت عليها،

استأذنت للخروج لأن أحمد اتصل عليها

رفضت مكالمته ثم خرجت تستجمع قواها
وعاودت الاتصال به.

* * *

في استقبال المشفى يقف شاب طويل
عريض المنكبين ذو نظرة ثاقبة يبدو عليه
القلق في انتظار رد من موظف الاستقبال
بدا هادئاً لكنه كان كبركان سينفجر إن
أشعل أحدهم الشرارة التي بداخله.

قال للموظف:

- أوجدت شيء عن أمي من فضلك،
اخبرتك اسمها وكل شيء أردته كيف لا
تجد رقم غرفتها حتى الآن.

رن هاتف الشاب فرد مسرعاً:

- أين أنتم يا "آية" قلتِ سأقابلك في
المشفى ولكني هنا ولم اجدك ولا أجد
غرفة أمي حتى.

بدا صوتها حزيناَ جدا قائلة:

- أين أنت يا أخي سأتي إليك؟

- انا في الاستقبال لم يعطوني اي
معلومات، اسرعي من فضلك.

* * *

خرجت من الغرفة وجدت أمامها باسم
سائلاً:

- كيف حالك اليوم يا كنده؟

ردت عليه:

- بخير الحمد لله، البقاء لله علمت بوفاة والدتك، أسأل الله أن يرحمها ويغفر لها.
رد عليها باسم:

- آمين، سمعت انك ستذهبين للعيش مع أهل زوجك.

- قالت نعم، إن شاء الله سأذهب مع أخته اليوم.

- لكن هناك شيء يجب عليك معرفته عن عائلتك، "نادر" يكون أخيك.

وقفت في ذهول واردفت:

- كيف علمت ذلك وما الاثبات؟.

قال:

- عندما تبرعتي له بدمك اجريت فحص DNA ومنه علمت أنكم إخوة فقد نادر أخته الصغرى وهي بعمر عامين فقط أثناء وفاة أمه بحادث سير.

- وهل يتم تحديد الحمض النووي بسرعه هكذا؟ هل هو يعلم ذلك ايضاً؟

قال لها باسم :

- حين يتحسن سوف ابلغه بذلك، بالنسبة لتحليل الحمض النووي يخرج بسرعة إن طلبت ذلك بحكم عملي كطبيب شرعي، ثم إنك تبرعتي له بالدم منذ الصباح الباكر ونحن الآن اقترينا على منتصف الليل.

دمعت عيناها وهي تمنعهم من البكاء
 أمامه ولكن جفونها أبت تحمل تلك
 الدموع ففتحت لها السبيل لتسيل على
 وجنتيها، فجلست على كرسي كان بجوار
 الباب ووضعت كفيها على وجهها وظلت
 تبكي وتنتحب حزناً على ما يحدث لها
 ولأخيها الآن بسببها.

أعطاها "باسم" منديل قائلاً:

- لا تحزني والله هو يتحسن و ابنته خرجت
 مع امها بفضل الله لا تهلكي نفسك عبثاً.
- هل يمكنني رؤيته من فضلك، دعني أراه.
- لا يمكن الآن غدا بإذن الله سترينه عندما
 يحين موعد الزيارة.

- ولكن لما شككت أني احد اقاربه من
الاساس.

- بسبب "رفيق" قال إن هناك شخص قام
بعمل سحر أسود لك وجدنا دليل ذلك في
منزلك ومحمود رحمه الله، كل من يقرب
لك من يتقرب منك يموت ميتة بشعة.

ازدردت ريقها بصعوبة بالغة وقالت:

- لكني لم أؤدي أحد مطلقاً لما يفعل لي
شخص ذلك.

قال:

- لا اعلم، قد يكون بسبب زواجك من
"محمود" حدث كل شيء، ستقابلين
"رفيق" سيخبرك بكل شيء، لكن من

فضلك لا تركيني وتذهبي لعائلة زوجك
أنت في أمان معي.

شردت قليلاً ولم تجيبه على ما قال حتى
وجدت أمامها شئ مهيب أفزعها،
فصرخت بصوت عالٍ واجتمع البعض
حولها من شدة صوتها.

* * *

وصلت آية إلى أخيها "أحمد" حمداً لله
أنك اتيت يا أخي.

وألقيت نفسها داخل حضنه باكية.

- ماذا يحدث لما تبكي، أسف على تحدثي
بقسوة لكني قلق على أمي لا تجيب

واخبرتني نجية أنها مريضة بالمشفى، ثم

أين هي "ملك" ألم تأتي معك.

- بلى، هي هنا لكنها في غرفة الرعاية المركزة
يا اخي.

صدم عندما سمع وقال:

- لذا تأخرت في المجيء إلي، هيا خذيني حتماً
أمي هناك أمام الغرفة.

ازدادت حيرة "آية" كيف ستخبره بوفاة
أمهما التي لم يكف عن البحث عنها منذ
مجيئه، أمسكت يده وذهبا معاً متوجهين
إلى غرفة الرعاية المركزة، وأثناء سيرهم
سمعا صرخ فتاة فهرعوا ناحية الصوت،
فأرت "آية" صديقتها المقربة تصرخ وهي
جاثية على الأرض و"باسم" معلق في الهواء

بطريقة غريبة فضلت تردد القرآن بصوت عالٍ حتى ذهبت واحتضنت "كندة" ومازالت تردد حتى سقط أرضاً، وأحمد لازال يقف جامداً لا يدري كيف حدث ذلك.

"أحمد"، كررتها مرتين حتى انتبه فقالت:

- تعالِ هذه زوجة محمود رحمه الله.

ذهب إلى "باسم" وأسنده ليجعله يجلس وقام بطرد التجمهر الذي حوله في غلظه:

- هيا اذهبوا من هنا، ونظر إليه قائلاً ساعدني لتجلس على الكرسي هيا بنا،

لكن من أنت؟ وكيف حدث ذلك؟

تحدث باسم إليه بصعوبة بالغة قائلاً:

- أنا باسم الطبيب الشرعي الذي
تحدثت معك عبر الهاتف قبل دفن اخيك.
شعر احمد بالغضب منه لما فعل فلكمه
لكمة قوية اردته أرضا قائلا:

- كيف تجرؤ على المجيء هنا أمامي ومع
زوجة اخي بعدما اغلقت بوجهي الهاتف
ولم تخبرني عنوانك لأخذها من عندك،
كيف تجرؤ على ذلك؟

- من فضلك لا تؤذيه يا سيد أحمد كفى ما
حدث اليوم بسببي لهم جميعا توفت أمه
بسببي من فضلك كفى ارجوك. كانت
تحدثه باكية.

التفت لها في جم غضبه لكن قبل أن

يتحدث أوقفته آية قائلة:

- من فضلك اهدأ نحتاجك معنا هادئاً.

حاول احمد استجماع غضبه قائلاً:

- إذا أنت زوجة أخي التي حقد عليها خالتي

وبناتها، اردف قائلاً كيف حالك الآن يا

زوجة أخي؟ وكيف حال طفلك؟.

قالت:

- الحمد لله بخير لكنني فقدت طفلي

للأسف.

تحدث بأسى قائلاً:

- الحمد لله أقدار الله خير، ستأتي معنا

لتقيمي في غرفة زوجك، إن شاء الله

سترتاحين معنا.

اعتدل "باسم":

- لن تذهب معكم ستأتي معي.

رفع "أحمد" حاجبيه قائلاً:

- ومن أنت لتحدد أين تذهب نحن لن نترك

زوجة أخي لدى شخص لا نعرفه التزم

حدودك واعلم مع من تتحدث مسبقاً.

- من قال أنني لست قريبها أنا ابن خالتها.

هنا ذهلت "كنده" وقالت:

- كيف نكون اقرباء؟

- أنا اكون ابن خالة "نادر" اخيك، وأكون

لك نفس الشيء.

- لكنك لم تخبرني منذ قليل، لماذا؟
 - هل تظني أن ما يحدث لنا جميعاً بسبب
 ما حدث معك ونحن لسنا اقاربك!،
 اخبرني "رفيق" إن كل من يقرب لك أو منك
 سيؤذى أو يقتل، لذلك لا أريدك أن تذهبي
 معهم.

تهمد تهيدة قوية ثم قال:

- من فضلك لا تتحدث مع زوجة أخي حتى
 أتأكد مما تقول أيها الطبيب.

ثم قال:

- هل تأكدت انها اخت صديقك، وتذكر أن
 لها أخ يحميها من تلك اللحظة.

ثم التفت برأسه إلى أخته، زوجة أخيه ثم
قال بحزم:

- هيا تحركن أمامي لنطمئن على "ملك"
وأمي.

فتحركتا بسرعة وشعرت "كنده" بقبضة
في قلبها يبدو انها خافت منه، لاحظت "آية"
ذلك فطمأنتها قائلة:

- لا تخافي هو فعل ذلك ليوقفه عند حده
فقط .

- كيف تعلمين كل ذلك يا آية؟

سألته كنده في حيرة.

- انا تحدثت مسبقاً مع الضابط رامز بكل

ما حدث معك منذ وفاة محمود وعدم
موافقة أمي أخذك للعيش معنا واخبرت
كل شيء لأحمد، المهم الآن يا "كندة" أنك
ستعيشين معنا وستكونين بأمان وكذلك
ابن أخي.

همست "كندة" لها:

- اصمتي يا "آية" لا نريد أن يعلم أي
شخص اني لازلت حامل من فضلك.

- سيعلم الجميع حينما تلدي طفلك في
مواعده وسيظهر حملك قريباً إن شاء الله،
ربي يحفظكم جميعاً، لما نخفي شيء
سيعيد لنا فرحة فقدناها.

* * *

- أرجوك ارحمني أنا رجل عجوز و والد
زوجتك أيضا.

- الآن تقول ارحمني سأريك نتائج كل ما
فعلت بنا يا "فرج" بن أرحمك ابدا وإن
ظللت تنتحب أبد الدهر سأجعلك تتمنى
الموت ولن تلقاه إلا إن شاء ربك.

ظل "فرج" يصرخ بأعلى صوت ولكن لا
يسمعه أحد فهو في مكان يبدو مهجورا لا
يوجد فيه ضوء كأنه تحت الأرض أو
متعفن في جدار ما، حاول الفرار بكل ما
أوتي من قوة لكنه لم يستطع.

هنا قهقه "سعد" بقوة حتى تطايرت
شذرات نيران من فمه المشتعل كسائر

جسده المشتعل، وقال:

- لن تستطيع الفرار اليوم أجلك أيها
المشعوذ الحقير تسمي نفسك "معاون"
وشيخ وانت لا تعلم شئ عن الشيوخ من
الأصل، سأجعلك تندم على كل ما فعلت
بي أنسيت كل ما أنا عليه بسببك أنت،
سترى الآن إلى ماذا حولتني وإلى ما تحولت
بفضلك أنت، كيف تشعر يا فرج وقد
ماتت ابنتك وحفيدتك بسببك وتحول
زوجها لمسخ محترق لا تنظفيء النيران
غالباً في جسدي، كيف سحرتني هكذا يا
فرج؟

نظر إليه "فرج" بخوف شديد وقال:

- لن تستطيع أن تنقذ تلك المرأة "كنده"
فما فعلته لها لن يموت معي بل سيظل
يتجدد حتى تموت وكل نسلها وكل من
كانت له صلة بها.

- سأريك يا "شيخ معاون" ماذا سأفعل
بك؟ ثم لتقرر انت هل ستوقف ما يحدث
لها أم لا؟

اقترب منه ووضع يده المشتعلة على
جبينه فصرخ عاليا ولم يتركه حتى احمر
وجهه كالجمر المشتعل، ظل يتأوه فرج
كثيرا ويبكي.

- صدقني لم أقصد ما حدث لك ولا بنتي يا
"سعد" ارحمني.

- الآن تقول لم أقصد، عندما يحين وقت موتك ستموت وإما أن تنهي ما يحدث مع تلك المسكينة أو أنهيك هنا ولن يجد أثرك أي شخص ولن يتم دفنك ايضاً، كما فعلت بأبي.

رد عليه فرج منتحبا :

- ولكن أنت فعلت نفس الشيء بابنتي ولم تدفن حتى الآن يا "سعد".

- بلى دفنتها، وابنتي دفنت في حضنها، لكني لن أخبرك بمكانها وإن مت أمامي.

ظل ينتحب "فرج" ويبكي حتى قهقهه "سعد" ثانية وقال له:

- ولن ينفعك من تخدمهم ويخدمونك الآن
لتتذكر ذلك، في هذه الأرض أنا الأقوى.

* * *

وصلوا إلى غرفة الرعاية وكان الطبيب
بالداخل فأخبرهم "احمد" أن تجلسا حتى
يخرج الطبيب ويتحدث معه ففعلتا ما
قال، وكانت "كنده" تنظر له بتوجس
وغرابة شديدة، حتى هو لاحظ ذلك تلك
المرّة، لكنه لم يحدثها.

خرج الطبيب فذهب له "أحمد" موجهًا
سؤاله:

- كيف هي ملك؟

فنظر إليه الطبيب بدهشه وقال:

- ومن أنت!.

فقال:

- عفوا نسيت أن أقدم لك نفسي، أنا
أحمد الشناوي، أخ المريضة.

- بعذر على عدم معرفتي بك، فلم تكن
معها منذ أمس غير أختها أنسة "آية"، أنا
"صديق" المسؤول عن المريضة.

- مرحبا بك يا دكتور، كيف حالها؟

- هي في تحسن بفضل الله، لكن من
الأفضل أن تظل تحت المراقبة بضعة
أيام.

- هل يمكنني نقلها لمشفى اكبر؟

- لا أظن انهم سيفعلون شيئاً أكثر مما
نفعله لها، يا فندم و سيكون خطر على
حالتها.

- متى يمكنني رؤيتها، والتحدث معها؟.

- يمكنك الآن إن أردت، فقط سيتم
تعقيمك قبل الدخول.

- لا بأس بالتعقيم، لكني اريد الاطمئنان
عليها.

ذهب ليتجهز مع الممرضة ليدخل يرى
"ملك" واثناء ذلك قالت تلك الممرضة
الواقفة لتساعده للتعقيم:

- مسكينة تلك الفتاة لم تتحمل الصدمة
فتعب قلبها بشدة.

تعجب قليلا ثم اردف:

- صدمة ماذا حدث لها؟ اخبريني.

- لا شيء، عندما علمت بوفاة أمها،

سقطت مغشي عليها من هول الصدمة

ليس إلا.

صمت "أحمد" برهة، ثم قال بعصبية

شديدة:

- أجننتي يا امرأة عن أي شيء تتحدثين هيا

قولي بسرعة وإلا دفنتك في مكانك الآن.

ارتعبت وقالت:

- السيدة "نبيلة" ماتت في حادث، واتصلنا

بمنزلكم ثم جاءت المريضة ومعها الأنسة

"آية".

ثم انكمشت على نفسها خوفاً من ردة فعله.

تركها وذهب يصرخ على "آية":

- أين أمك قلتِ أنها بخير؟ اخبريني أين هي الآن؟

وهو يقبض على ذراعها بكلتا يديه وهي تبكي وتنتحب حزناً على ما حدث.

قامت "كندة" ردت عليه:

- لقد ماتت في حادث اليوم.

فقال:

- كيف حدث ذلك ولما لم تخبروني؟

- لا اعلم، شيء عما حدث، من فضلك
دعها لا تخيفها هكذا ألا ترى حالتها تلك.

- هل تملي علي ما أفعل الآن؟

عادت "كندة" خطوتين للوراء خوفا من
غضبه فنظرت ل "آية" فأشارت لها
بالجلوس وعيناها مليئة بالدموع، فعادت
لمقعدها في صمت.

- يا أخي خفت أن أخبرك وأنت عائد من
دفن محمود في الصباح فيحدث لك
شيء، اكتفيت بمرض "ملك" ولم استطع
فعل شيء غير إخبار خالتي "نجية" وهي
الآن بالمنزل تنتظرنا مع بناتها وتهتم بالمنزل
حتى نعود جميعاً، والله خشيت أن

أخسرك مثلها.

تركها وذهب بعيداً مستنداً على الحائط
المقابل لغرفة الرعاية باكياً أمه.

وضعت اخته يديها على كتفيه وقالت:

- هذا قدر الله، هي مازالت هنا لم استطع
دفنها من دونك يا أخي؟

- ونعم بالله، لكنها كانت اخبرتني امس انها
ستصلح كل شيء وعدتني، لكنها لم تفي
بوعدها وماتت ماذا افعل الآن؟.

- ارجوك اهدأ "ملك" تحتاجك وأنا ايضا
وزوجة اخيك وطفله كلنا نحتاجك معنا.

- صدقيني، لم أعد احتمل ما يحدث

مات ابي ثم اخي والآن امي ثم من عليه
الدور تلك المرة، تعبت من تحمل كل ذلك
وحدي لقد دفنت كل من احب بيدي
هاتين.

صمتت لبرهة ثم قالت:

- نعم دفنت من تحب بيديك العاريتين
لكن سيولد على يدك طفل جديد في تلك
العائلة، لا تيأس يا أخي لا تقنط من رحمة
الله.

- كيف وقد فقدته يا آية؟

- لا لقد قالت ذلك فقط خوفا على حياته
لا علم لي بالسبب بعد لكنها لم تفقده.

* * *

تعيش نجية في القصر الذي كانت تتمنى
العيش فيه ليوم واحد فقط بحجة وفاة
ابن اختها واختها ايضاً ويبدو أنها ستبقى
هنا للأبد.

قالت هناء متوجسة:

- ألن يعود أولاد خالتي اليوم يا أمي.
- لا اعلم يا ابنتي احاول التحدث إلى
"احمد" لكن هاتفه مغلق وكذلك "آية"،
ثم ما شأنك أنت؟.
- لا شيء، اريد الاطمئنان عليهم فقط.
- عليهم جميعاً، تظنين أمك غبية أنت
تريدي الاطمئنان على حبيب قلبك.

سمعتا صوت سيارة خارج القصر فهروا
 جميعاً للخارج، فتهدت هناء عندما رآته
 ينزل من سيارته تهيدة قوية وظلت تنظر
 إليه نظرات غريبة، وعندما نظر هو إلى
 باب القصر ووجدهم امتعض وجهه ونظر
 بقسوة تجاههم، توجه أحمد إلى آية وكنده
 قائلاً:

- هيا اخرجن من السيارة واصعدن إلى
 غرفكم بسرعه من فضلكم، لا أريد منكم
 الاختلاط بتلك الحية الواقفة هناك.

ترجلتا من السيارة مسرعين منفذين ما
 قال دون التفوه بكلمة، فتعجب لفعالته
 ولحق بهما بعد أن اغلق سيارته الحمراء

الجازبة للعيون، ومر من امام تلك
العجوز وابنتها اللاتي لا يرتاح لهن ولم
يقل حتى مساء الخير.

قالت "نجية":

- انظرن كيف يعاملنا لم يلقى حتى السلام
سأريه كيف يعاملنا فأنا هنا الآن عندما
يجيب الشيخ "معاون" سأجعله يركع
تحت اقدامنا.

ثم دخلوا فوجدوا "كنده" تجلس على
الأريكة التي تتوسط الجهو الكبير كانت
تنتظر حتى تتجهز الغرفة التي ستقيم فيها
كما اخبرتها "آية"، كانت تجلس في رهبة
منتظرة من يتحدث إليها في هذا القصر

المهيب داخله اكثر من خارجه، جلوسها
على تلك الأريكة المريحة جعلها تشعر
براحة ثم شعرت بالنعاس فاستندت جيداً
وحاولت ان تحد من توترها فغالباً ستظل
هنا لفترة طويلة، فاقتربت منها العجوز
والفتاتين فأوجست في نفسها خيفة
واستعازت بالله بدت تلك العجوز المريبة
في الستينات من عمرها، فقد أكل الزمن
من جلدها الكثير بدا ذلك في كسرات
وثنيات وجهها ، وجهت المرأة نظرها إليها.

قائلة بسخرية:

- إذا أنت كندة المتسببة فيما يحدث لأسرة
أختي المرحومه!

- انا هي، لكن لا يجوز قول مرحومة فنحن
لا نعلم الغيب ولكن يجب ان نسأل لها
الرحمة بقول رحمها الله، كيف حالك يا
هنا؟ افتقدتك كثيراً.

ردت نجية:

- هل ستعلميني ما اقول ايتها الحمقاء، لا
تظني أنك ستكونين هنا سيدة مجتمع،
انت هنا لخدمتنا فقط حتى تموتي ولن
تطولي قرش من مال اختي ابدا مادمت
على قيد الحياة، ضعي كلامي حلقة في
اذنك يا جميلة الوجه.

ردت عليها هنا محرجة من كلام امها:

- كيف حالك يا كنده ماذا حدث لك تلك
الفترة الماضية.

سمعت صوت اقدم آتیه باتجاههما
فنظرت مسرعه فإذا به احمد كان
شخصاً مهيباً يفرض على من يراه احترامه
فوراً، ما أن رآته العجوز ارتسمت على
وجهها ابتسامة عريضة قائلة:

- حمدا لله على سلامتك يا ابني الغالي.

- لست ابنك يا نجية، ولن تكوني أما لي
ابداً، لا تكرري تلك الكلمات مرة أخرى لا
أحب تكرار نفس الجملة أكثر من مرة.

اخذت صفة قوية على وجهها اثر وقع
كلماته عليها فاندھشت وصمتت لم تنبث

بينت شفه، توجه إلى كنده بوجه بشوش
قائلا:

- اهلا بك في منزلك يا زوجة اخي، حدثني
عنك "آية" كثيراً، اعتذر لأننا لم نأخذك
من البداية كنت على سفر، أتيت حين
علمت بأمر محمود، اتمنى ألا توأخذينا.

تنفست الصعداء ثم اردفت:

- أنا بخير الحمد لله جزاكم الله عني خيراً،
لكن معاملتك تغيرت انت في المشفى كنت
قاسياً علينا.

- لا توأخذيني حدث كل شيء متتالياً
ومازلت متوتراً، المهم لماذا لم تصعدي إلى
غرفتك؟

- اخبرتني "آية" أن انتظر قليلاً هنا ففعلت.

هز رأسه، أظنها تجهز الغرفة لكِ.

فقالت:

- نعم هي تفعل ذلك.

نظرت العجوز شزراً لكلاهما، ثم همهمت

يبدو أن مهمتي هنا ستطول كثيراً

وابتسمت بسخريه واردفت سنرى من

يضحك بالآخر.

ثم حدثها بحزم قائلاً:

- هيا يا خالة "نجية" لا تطيل السهر

اصعدي مع بناتك لغرفكم فأمامنا غداً

يوم طويل وشاق، لا أريد أن يتخلف

أحدكم عن الجنازة غدا بإذن الله، وانت يا زوجة اخي تعالِ لأريك الغرفة واجلسي هناك حتى ينتهوا من الترتيبات.

فصعدت وجلست مع "آية" والخادمة وكانوا يتساعدن حتى انتهوا وذهبت الخادمة وتبعتها "آية"، ثم عادت بعد برهة ووجدت "كنده" تجلس على السرير فذهبت إليها بملابس جديدة واخبرتها أن تأخذ حماما وتستعد لتناول وجبة العشاء.

فقامت ثم طلبت من "آية" البقاء معها في تلك الغرفة الليلة لأنها خائفة، ابتسمت صديقتها آية وقالت:

- لك ذلك لكن لا تعتادي على ذلك
"أحمد" فهو يحب النظام.

دق باب الغرفة فكان من يتحدثون عنه هو
الطارق فقالت احدهما يا لطيف، فرجع
حاجبيه قائلاً:

- هل رأيتم عفريت لما تأخرتم.
قالت "كندة":

- نحن انهيينا الغرفة وكنا..
قاطعها:

- كنتم ماذا، تتحدثون طبعاً ونسيتم أن
هناك من ينتظركم لنحاول تناول شيئاً من
الطعام أعلم أنكم لم تأكلوا شيئاً منذ

الصباح.

فذهبت كنده إلى الحمام مسرعة تعجب
من تصرفها قائلاً:

- لم ذهبت مسرعة هكذا هي خفيفة جدا؟
- هي كذلك يا أخي منذ الجامعة، كانت
دموعها قريبة ولم يكن "محمود" يترك
أحد يؤذي مشاعرها.

دمعت عيناه حينما ذكرت اخيه وقال:

- رحمه الله كان يظنونه اكبر مني دائماً لكبر
عقله وسعة صدره اعدك يا أخي سأحسن
تربية طفلك إن شاء الله لن اتركه ابدا
وحده، كما لم تتركني أمك حينما أصبحت
يتيم الأم.

* * *

اتصل رفيق بباسم طلب منه انتظاره في
المشفى لأمر هام بخصوص كنده وأمه وما
حدث في منزلهم:

- لقد علمت أمر هام يجب إخبارك به.
أجابه باسم:

- سأنتظرك يا رفيق فأنا لن أرحل إلا حين
استطيع استلام جسد أمي سنخرج أنا
وقاسم من المشفى صباحاً لدفنها بإذن الله
تعالى، إن أتيت ستجدني هنا في
الاستقبال.

يتمشى باسم في المشفى ذهاباً وإياباً ثم
فجأة يجد طفلة صغيرة تبكي في ركن بجوار

كراسي الاستراحة فيذهب إليها ليواسيها
 مدام يحب الاطفال وقد خسر طفل له
 مسبقاً كما أخبرته طليقته "منار" تلك
 التي ظل يبغض النساء بسببها كدرت
 عيشه وبدلته من شخص محب للحياة إلى
 شخص منطوي منغلق على نفسه وأمه
 وأخيه وعمله، تنهد ثم ذهب فقال:

- ما بك يا حبيبتى لما تبكي وتجلسين هنا!

ردت عليه بعدما نظرت إليه ببراءة:

- أنا ضائعة لا أعلم اين ذهبت امي.

تحدث إليها بطيبة:

- إذا تعالٍ معي كي نبحث عنها سوياً.

قامت وامسكت يده فقال:

- انت دافئة جدا يجب عرضك على
الطبيب.

- قالت لا أريد أمي فحسب، ارجوك اريد
امي.

فدمعت عيناها، مسح باسم دموعها
قائلا:

- لا تبكي، اخبريني من أين ذهبت أمك يا
صغيرتي؟ أتعلمين!

ردت عليه الصغيرة:

- أجل اعلم ذهبت من هذا الإتجاه.
واشارت ناحية ثلاجة الموتى.

اندهش "باسم" وقال:

- هل مات لديكم أحد لذا ذهبت هناك.
 - لا اعلم، قالت لي انتظري هنا، ولم تعد.
 أخذها من يدها ولكن كانت سخونة
 جسدها تزداد وهو في خوف مريب وصل
 إلى ثلاجة الموتى وفتح الباب لم يجد أحد
 وتحولت الفتاة إلى شيء مخيف وأحكمت
 غلق الباب ورفعت "باسم" عالياً قائلة:
 - كنت تحمي تلك الفتاة "كنده" مني انا
 اليوم سأقتلك كما قتلت أمك بيدي يا
 طبيب.

وقهقتها بسخرية، ظل يستعيد ولكن ذاك
 الشيء ألجم لسانه ومنعه من الحديث لم

يكن فتاه بل كان يخدع "باسم" لكي
يستدرجه إلى حيث يريد.

- انت لا تعلم ماذا فعلت سعاد بك
مسبقاً، حرمتك من سعادتك لتسعد هي،
دائماً كنت مجني عليك بسببها يا باسم أنا
أرسلتني اليوم صديقة لأمك فقبل وفاتها
طلبت منها ذلك، أتعلم كم تمنيت أن أتيك
لأؤذيك بسبب كل ما تفعله مع تلك
الكنده، ترى يا طيب هل ذكرتك بزوجتك
السابقة "منار" لا أعلم ماذا أقول لكن
أمك الشمطاء من جعلت حياتك جحيماً
من قبل و جعلت زوجتك تهرب لتنفد من
ذاك الجحيم وكذبت عليك أنها فقدت

الجنين كما كذبت عليك كندتك اليوم.
وتبسم ساخرا، كان باسم يحاول التحدث
لكنه لم يستطع لكنه علم كل الحقيقة من
ذاك الشيء الذي أمامه علم حقيقة أمه،
حقيقة أن لديه طفل على قيد الحياة
تخفيه أمه خوفاً عليه من جدته ترى كيف
سيعيش مع كل تلك الحقائق التي علمها
عن أمه الآن، هل سيستطيع إخراج نفسه
من هذا المأذق الآن، اشعل ذلك الشيء
النار في ثلاثة الموتى وظل و اقفاً ليراه حتى
يموت ويتعذب اثناء ذلك وضع يديه التي
تشبه الجمر حول عينيه كان باسم يتأوه
بشده، سمعه صديق وهو يمر من أمام

المشرحة حاول فتح الباب لكنه لم يستطع
فقام بالاتصال بالأمن، فنظر ذاك الشيء
من زجاج الباب بمنظره القبيح وأشار إليه
بإصبعه المتقد كالجمر فأسقطه أرضاً،
كان صديق بالخارج يحاول فتح الباب بعد
سقوطه أرضاً فدخل مسرعاً بعد أن
فتحه قام بجرباسم إلى الخارج وكالعادة
لم تكن النيران إلا تخيلاً أمام كلاهما فقد
كانت الغرفة مثالية كأن لم يحدث شيئاً
بها، وهو يجرباسم لاحظ حرق كبير حول
عينيه وجبينه تركه على الأرض محاولاً
احضار كرسي متنقل ثم أخذه مسرعاً وهو
يرقية بالقرآن، قابلته ممرضه اثناء سيره

فطلب منها التحدث إلى طبيب العيون
ليأتي بسرعه إلى غرفة العمليات.

* * *

تتحدث "كنده" مع صديقتها في غرفتها عن
الاشباح وخوارق الطبيعة وما حدث اليوم
امامهم في المشفى، قالت:

- هل تؤمني بوجود تلك الاشياء يا "آيه"؟

قالت:

- ذكرهم الله عز وجل في كتابه كيف لا

نؤمن بوجودهم؟

- هل رأيت منهم مسبقاً؟

- لا، هل فعلت أنت؟

- اجل، وحينما قرأت علمت انهم قد يكونوا اشباح عالقين بسبب طريقة موتهم التي يظنون انها خاطئة، ويريدون إصلاح ما حدث.

ضحكت آية وقالت:

- اعتقد ان هذا غير صحيح، كيف ذلك هيا إلى النوم فأنا خفيفة جداً.

ابتسمت وقالت:

- هيا قولي اذكار النوم واخلمي لنوم هنيء بإذن الله، تصبحين على خير.

ونامت الفتاتين في سرير واحد فجأة حدث شيء لأحدهما، تسارعت ضربات قلبها من شدة المنظر الذي بدا أمامها، واجهت

صعوبة في التنفس حاولت الحراك ولم
تستطع التحدث فلا يخرج لها صوت حتى،
رددت بقلبيها آية الكرسي حتى ذهب ما
كانت تراه، هرولت إلى خارج الغرفة وظلت
تنزل الدرج الكبير وتنادي على من بالقصر
ولكن بلا جدوى لم تجد أحد وعندما
وصلت إلى باب القصر كي تخرج منعها تلك
العجوز الخبيثة بقوة كبيرة وعندما رفعت
يديها طارت في الهواء واشتعلت عيناها ولما
تحدثت بدا شرر يخرج من فمها، صرخت
كنده بصوت عال جدا يارب ساعدني،
وظلت تكررهما حتى استيقظت فزعة من
نومها ولم تجد شيء في غرفتها فقامت

بقراءة القرآن وأمسكت هاتفها وقامت
بتشغيل القرآن حتى تسكن وتنام ثانية.

* * *

جاء قاسم مهرولاً بعدما ارسل له صديق
ممرضة لتخبره بما حدث، طلب رؤية
أخيه لكنه لم يستطع كان طبيب العيون
معه في غرفة العمليات يحاول مساعدته
بشتى الطرق التي يعلمها، ظلوا منتظرين
أمام الغرفة لمدة ساعة وأكثر فلما خرج
الطبيب أوقفه قاسم و صديق سائلين
إياه:

- كيف حالته من فضلك هل هو بخير؟

رد بحزن شديد:

- لقد فعلت ما بوسعي لكن يبدو أن عينيه
 تعرضت لحرق شديد أجرينا بعض
 الفحوصات والأشعة للعينين و بدا أن
 عينيه بخير لكنه لن يستطيع الرؤية تلك
 الفترة لأن عدسة عينيه معتمه لا نعلم
 سبب ذلك.

ربت الطبيب على كتف قاسم قائلاً:

- يحتاجك أخيك متماسكاً لا تضعف
 أمامه، سيظل باسم في العناية المركزة
 حتى يفيق وحتى اطمئن أنه يستطيع
 التحرك والخروج منها لن يدخل عليه أحد
 سأحاول حتى ذلك الوقت التحدث إلى
 صديقة لي في ألمانيا متخصصة في مثل

حالته سأعلم منها متى تستطيع المجيء
 واخبرك حينها بإذن الله، ثم إنه في غيبوبة
 تامة سيتم تعليقه على الأجهزة وقد طلبت
 طبيب غيرك يا قاسم ليهتم به لا أريدك أن
 تحزن او تضعف كلما دخلت عليه، عن
 إذنكم الآن.

بكي "قاسم" كالطفل مرتميا بين يدي
 صديق طفولته "صديق" ربت "رفيق" على
 كتفيه قائلاً:

- لقد علمت ما حدث يا "قاسم" انا معك
 إن احتجت لشيء تعلم أنه اخي قبل أن
 يكن صديقي.

- رأيت كل ما نحن فيه بسببها هي يا

رفيق من تحاول مساعدتها أنت ايضاً.

رد رفيق عليه:

- من فضلك يا قاسم لقد تحدثت مع أهل
زوجها هي ذهبت معهم بالفعل ولن
تختلط بكم ثانية أعدك وسيأتي اليوم أخ
زوجها لكي يعلم منا ما يحدث لكي يأخذ
حذره مما قد يؤدي إلى هلاك عائلته
جميعاً، سأرحل الآن يا قاسم لكن إن
احتجت شيء لا تتردد في الاتصال بي
أعدك سيكون بخير إن شاء الله، تفائل
وادع الله له، سأتي معك غدا لدفن خالتي
سعاد بإذن الله، لكنني مضطر للذهاب إلى
الضابط رامز فقد طلبني بخصوص تلك

القضية.

- معك الله يا رفيق لكن لدي سؤال .

- تفضل يا قاسم.

- هل ما يحدث لباسم بسبب سحر، ما

رأيت أنا وصديق بسبب ذلك؟

- يا أخي الصغير، المهم في كل هذا قربنا من

الله عزوجل، لن نستطيع أن يضرنا احد

إلا بإذن الله، لكن ما فيه باسم للأسف

يبدو أن السحر الذي حللناه منذ طلاقه

من زوجته يتجدد لذلك أنتم رأيتم ما

يحدث.

قال صديق:

- لكن كيف نرى والسحر الذي تحدث عنه مختص بشخص معين وهو باسم؟.

رد رفيق عليهم:

- في البداية ظننت أن باسم يسكنه جن لكن بعد كل ما رأيت، علمت أن ذلك غير صحيح، فقد قمت برقيته بعد وفاة الخالة سعاد مباشرة قبل ذهابي للمديرية المرة السابقة لم يظهر عليه أي اعراض للتلبس، كذلك كنده ليست ملبوسه، وقد طلبت منها بعدما استقرت حالتها عدم إخبار باسم بحملها لسبب في نفسي.

تمهد قاسم بصوت عال متوجهاً إليه:

- لكن أمي توفيت بسبب تلك المرأة التي

ذَكَرْتُ.

- لیس بسببها هي لقد قمت برؤية وجهها يا قاسم بعد وفاتها مع باسم لأنه طلب مني ذلك وكان الأمر لا يحتمل، بدت خالة سعاد بوجه قبيح شديد السواد عكس طبيعتها بيننا.

- توقف يا رفيق ماذا تقول الآن؟ قالها قاسم بتعجب كبير.

- لا تقاطعني يا قاسم، لكن ظني أنها فعلت سحر وانقلب عليها أو شيء من هذا القبيل.

فغر قاسم فاهه وتبعه صديق سائلين:

- وهل ينقلب العمل على من فعله يا

رفيق؟ هل يقتله أيضا؟.

- نعم يحدث ذلك إذا لم يتم بطريقته
الصحيحة أو إذا ما حله شخص ما وذلك
ما يبدو لي أن هناك من حاول حله فانقلب
على أمك.

- لا أستطيع تصديق ذلك عن أمي يا رفيق،
لقد كانت طيبة جدا، انت تعلم كيف كانت
تعاملك.

- الأمر صعب لكن أتذكر عندما اخبرت
باسم أنها سترسل من يؤدي الفتاة يوم
طردتها من المنزل.

- نعم اتذكر ذلك، انا من اخبرت باسم
بذلك.

- اعلم يا قاسم انك فعلت، المهم كنت و
باسم قد قيدنا "منة" في سريرها وبعد
مكالمتك بساعات معدودة وجدناها في
منزلكم، حينما تحدثت معها قالت لي لقد
أخذت عقابها على ما فعلت من سحر.

لم يستطع قاسم التصديق ومعه كل
الحق فلن يصدق أحد أن أمه قد تفعل
ذلك فقط لكي تبعد فتاة غير مرغوب بها
عن ابنها، دخل قاسم ثلاجة الموتى مهرولاً
ليرى وجهها فقد منعه باسم من ذلك
مسبقاً فدخل وفتح على موضع وجهها
فراها مسودة الوجه قبيحة المنظر، فبكى
وانتحب، غطى صديق وجهها كما كان

ودعا لها بالرحمة والمغفرة محاولاً تهدئة
 قاسم فجأة إذا بشيء عظيم السواد له
 اظافر طويلة بدت كحوافر يدخل ثلاجة
 الموتى أمامهم فبدأوا بالتعود وصرخوا
 مهرولين للخارج سمع ذلك رفيق فذهب
 فإذا بذاك الشيء يحدثه بأنه سيفعل ما
 يريد ويرحل دون أذيته إن تركه وذهب،
 ابتسم له رفيق وبدأ بقراءة القرآن وآيات
 العذاب والآخري تألم ويتوعد له:

- لن أتركك يا رفيق سأقتلك يوماً. فرحل
 هارباً، توجه رفيق إلى قاسم قائلاً:

- يجب عليك دفنها الآن يا أخي كي لا يؤذيها
 أحد.

- كما تريد يا رفيق لكن نحن في الليل وهي
كانت تخشى الظلام.

- اعلم يا قاسم ولكن كل ذلك لا يبشر بخير
أبدا علينا دفنها بسرعة.

- سأظل هنا أقرأ القرآن حتى تشرق
الشمس وندفنها سويا يا رفيق.

كان قاسم يبكي كالأطفال اثناء حديثه،
فأخبره رفيق أن يقوم بتشغيل الرقية
الشرعية وسورة البقرة تحديداً في ثلاجة
الموتى كي لا يأتي ذلك الشيء ثانية، ثم رحل
رفيق تاركاً وراءه صديق وقاسم.

* * *

سعد يتحدث إلى فرج بغضب شديد:

- يا فرج هل أنا حي أم ميت، هل يمكن أن
أعود كما كنت؟ تحدث وإلا قتلتك الآن.

فرج متلعثما:

- علمي علمك يا بني أنا معرفش حاجه.
- يبدو أنك تريد الموت يا فرج على يدي.
- لا يا سعد أنت ابني وما فعلت ذلك إلا
لمصلحتك و انت تعلم.

- هل جعلي مسخ لمصلحتي، تسكن روح
تلك الساحر بجسدي وتقول لمصلحتي يا
فرج سأذيقك من نفس الكأس.

فرج:

- انظر إلى أنت يسكنك جن عظيم الشأن

في السحر لذلك تستطيع فعل كل تهذا
امتلاكك لتلك القوة التي بداخلك يجعلك
تشعر كأنك ملكت العالم، لماذا تريد أن
تكون كما كنت ضعيف مهان.

- لم أكن مهان يا فرج، كنت إنسان سويًا لا
أضر أحد.

- أنت تفعل ذلك الآن، لكن بقوته هو.
قالها فرج متفاخرًا.

- لا أريد ذاك الشيء داخلي، نعم تحكمت
به بعد كل تلك السنوات لكني لا أريده
أخرجه مني يا فرج لأعود كما كنت.

- لا أستطيع يا سعد لقد أصبحت أقوى
بكتير من ما سبق، ليس بيدي ذلك.

- ليس بيدك إذا ستموت يا فرج، هو قوي
 لكني اتحكم به بعض الوقت خصوصا
 حينما أغضب وانت اغضبتني يا فرج.
 وقهقهه سعد عاليا واتقدت عيناه كالجمر
 من جديد.

يقود رفيق سيارته ليذهب إلى المديرية
 للقاء رامز فيرى سيدة عجوز أمامه
 فيوقف السيارة، وجدها لا تقوى على
 الحراك، ركن سيارته وذهب ليقوم
 بمساعدتها في عبور الطريق، أمسك يدها
 فلم تتركها وتحولت للشيء الذي رآه في
 ثلاجة الموتى، منع رفيق من الحركة ثم

صدم رأسه بقوة في الرصيف حتى نذف
كثيراً، ثم اشعل النيران في سيارته واحلاً.

وحي القلم

ليس كل ما يحدث لنا حقيقة
قد يكون من نسج خيالنا فقط
لا تستسلموا للأمر وأعلموا أنكم قادرين
على حماية أنفسكم بالتحصن بكتاب الله
وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
السحري خيل إلينا فقط انتهوا لذلك.

ترى هل تنقسم الشرارات في البشر؟

هل هناك شرارة خير في أحدهم؟

أم هناك شرارة شر في قلوبهم؟

قد تظن دائمًا أن الشر ينتصر

لكن إن كان مقدر لك خير

حتمًا ستراه أمامك

فلن يضرك إلا ما كتب لك

الفصل السادس

شَرَرُ

استيقظ من نومه فتحسس عينيه وكانت
عليهما ضمادة فتوجس خيفة، حاول
التحرك من مكانه فسقط أرضًا، أتت
ممرضة مهرولة إليه:

- دعني أساعدك دكتور "باسم"

رد مسرعًا رجاءً:

- لا تلمسيني فقط أخبريني أين أنا، وماذا
حدث لي من فضلك.

حزنت لسماعها ذلك لأنه لا يتذكر ما
حدث له، أردفت قائلة:

- أنت في المشفى الذي يعمل فيه

أخوك الدكتور "قاسم".

تبسم قائلاً:

- الحمد لله، إذا أخبرني أخي أنني أريده.

- كما تريد لكن من فضلك لا تتحرك من

السرير كي لا تسقط ثانية حتى أعود.

هز رأسه لها بنعم، جلس على السرير

يتحسس عينيه ولا يشعر بأي شيء من

حوله فردد الاستغفار حتى يأتيه أخوه

ليطمئن منه على حالته.

* * *

كانت تسير في الحديقة منتظرة أخيها كي

يصطحبها للمنزل كما أخبروها اليوم لكنه
تأخر كثيرًا ظنت أن لديه الكثير من العمل
لذلك تأخر عليها وهي ليست معتادة على
ذلك، أثناء سيرها اصطدم بها طبيب
ضخم البنية مما جعلها تسقط في الحال،
أسرع ليساعدها فصرخت به:

- لا تلمسني، انظر إلى أين تتجه قبل أن
تسقط الناس أرضًا.

- أعتذر، لم أراكِ سامحيني.

- أسامحك، لماذا؟ أنت أوقعتني وجعلتني
أتسخ كليًا وأنا منتظرة الخروج من هنا،
أي نوع من الأطباء يوظفونهم هنا،
سأحرص على رفدك من تلك المشفى

سترى.

امتعض وجهه، قطب حاجبيه قائلًا:

- لا بأس افعلي ما تشائين لست مهتمًا.

رحل وتركها غاضبة محمرة الوجه

متجهمة تتوعده بالطرد من عمله.

قالت له:

- كيف تتركني وترحل انتظرهنا ما اسمك،

لن أدعك تتركني دون معرفة اسمك.

هرولت خلفه لترى إلى أين يذهب بتلك

السرعة، ظلت تسير خلفه، يتابعها أحمد

من شباك غرفة الدكتور صديق، يتبادلان

الضحكات عليها يقسم له أخوها أنها لن

تتركه دون الانقضاض عليه باللعنات والتوعيدات وانها ستتسبب في طرده لأنه أوقعها أرضًا، استأذن "أحمد" من الطبيب ليذهب خلفها كي لا تسبب مشكلات ورحل خلفها، ما إن وصلت خلف قاسم وجدته دخل غرفة لمريض يبدو عليه مهتم لأمره بشدة، ظلت خلف الباب تستمع لما يحدث ثم أنبت نفسها لما فعلت معه، قائلة:

- لهذا السبب لم يرَ أمامه، يبدو أنني أخطأت في حقه، ترى من هذا المريض هل يقربه؟

- كيف حالك يا "باسم" اليوم حمدًا لله

على سلامتک يا أخي العزيز.

رد باسم فرحًا:

- قاسم أنت هنا، الحمد لله بخير مادمتم

أنتم بخير، ماذا حدث لي يا أخي؟

نظر "قاسم" إلى الممرضة فعلم أنها لم

تخبره شيء.

- لقد تعرضت لحادث يا أخي هذا كل ما

حدث.

- توقعت هذا، هل أمي بخير؟

ترغرت عيناه بالدموع قائلاً:

- نعم هي بخير، لكنها لا تعلم أنك في المشفى

لم أخبرها بالحادث كي لا تقلق.

- خير ما فعلت يا "قاسم" أصبحت
تستطيع التصرف بدوني أخيراً يا أخي، متى
سنزيل تلك الضمادة عن عيني؟

- قريباً بإذن الله ننتظر طبيبة قادمة من
ألمانيا كي نطمئن على عينيك بإذن الله
متوقع وصولها غداً أو بعد غد.

- خيراً بإذن الله يا أخي، فضلاً لا تتركني، متى
تكون فارغاً تعال إلي، إن أمكن دع ممرض
يهتم بي وليس ممرضة.

- كما تريد يا أخي، لا بأس سأتركك الآن
لأمر على المرضى ثم أعود حالما أنتهي إن
شاء الله.

* * *

فتح باب الغرفة تفاعلاً بها و اقفة تحاول
التنصت، لكنها سرعان ما اعتدلت في
وقفها، قائلة:

- أسفة لما بدر مني منذ قليل لم أقصد
الإساءة إليك.

نظر إليها بغضب قائلاً:

- لا يهمني أسفك.

ورحل عنها، تصرفه جعلها تستشيط
غضباً قائلة:

- كيف يفعل معي هكذا كان يجب أن
ألقنه درساً في كيفية التعامل مع النساء.

وضع يده على كتفها قائلاً:

- لا بأس دعيه الآن وسوف يعتذر لاحقًا.

التفتت في غضب فوجدت عينيها في عيني
أخيها، تنهدت بضيق وقالت:

- كنت سأبرح من وضع يده عليّ ضربًا، لقد
تأخرت عليّ جدًا مما اضطرني لمواجهة
ذاك المتعجرف.

- لكنه ليس كذلك، رأيت ما حدث بينكم
في الحديقة، أنت مخطئة لم تقبلي
اعتذاره لأنه كان ذاهب لأخيه.

- إذاً هو أخوه لذلك تصرف معي بحماقة،
فهمت الأمر.

- من الجيد أنك فهمتِ، هيا لنذهب إلى

المنزل الجميع ينتظرك هناك، حتى
"ريتا" في انتظارك.

- حقًا، هي أمت من ألمانيا من أجلي، من
الطبيعي أن يكون الكل في انتظاري فأنا
"ملك الشناوي".

ضحك على كلامها وقال:

- طبعًا ومن يستطيع ألا ينتظر ملكتي
الصغيرة، هيا بنا الآن ليس هناك وقت
للحديث الطويل الذي ستحدثيه

- قل أنك لا تريد الاستماع إلي، لهذا تجرني
من يدي، تظن أنني ثرثرة إذا.

- سأستمع لكل ما تريدين أعدك، لكن في
المنزل.

ظل يسحبها حتى وضعها في السيارة.

* * *

تحاول آية إيقاظ كنده من نومها لكنها غارقة في نوم عميق ولا تجيبها البتة يبدو أنها لم تنم براحة منذ مدة، ذهبت فتحت نافذة الغرفة فتسللت أشعة الشمس على صفحة وجهها فأقلقتها وما إن فتحت عينيها ونهضت جالسة على السرير حتى أصدرت صرخة مدوية باكية لهول ما تراه أمامها عند الحائط المقابل للسرير، ذهبت إليها آية واحتضنتها محاولة تهدئتها لكنها عجزت فقامت بقراءة الرقية على رأسها حتى سكنت، العجيب أنها لم ترَ ما

تراه فقط وجدت بقع دماء متناثرة على
الحائط والأرض، نادى على الخادمة كي
تنظف المكان فجاءت ونظفت بسرعة
وهرولت للخارج وهي تستعيز بالله من
الشیطان الرجيم، خرجت "نجية" من
غرفتها تنادي على الخادمة وتحدث
ضحيجا عالياً:

- أنت يا خادمة هل كل شيء هنا يجب أن
أصححه بنفسی أين الفطور لما تأخر حتى
الآن؟ يبدو أنهم موظفين خادمة صماء.

- نعم يا سيدتي، أتيت بم تأمرين؟

- أين الفطور يا نائمة؟

- طلب مني السيد "أحمد" الانتظار

حتى عودته والآنسة "ملك".

- ذهب ليحضرها إذا، حسنًا، أعدي
التجهيزات اللازمة لاستقبال السيدات

لعزاء سيدتك "نبيلة" اليوم.

- لكن يا سيدتي "نجية" لن يكون هناك
عزاء أو حضور دفنها للنساء.

- كيف تجرؤين على التحدث هكذا
أمامي؟

- لا أجرؤ يا سيدتي لكنها أوامر "أحمد" بيه
لا أستطيع مخالفتها تعلمين غضبه إن لم
أنفذ ما يأمر به.

- كيف يستطيع أن يفعل ذلك، كل هذا

الحقد لأنها ليست أمه، سأعاقبه وألقنه
درسًا لن ينساه أبدًا.

ردت بغضب شديد أثناء جلوسها على
ذاك الكرسي الذهبي اللافت للانتباه
قائلة:

- ومن أنت لتلقي "أحمد الشناوي" درسًا؟
نظرت بغضب شديد للمتحدثة، فإذا
بفتاة جميلة يبدو عليها الغنى الشديد،
فتراجعت عن نظرة الغضب ووجهت لها
حديثها:

- ومن أنت لتحدثي معي هكذا؟

- أمامك الطيبة "ريتاچ" خطيبة أحمد

الشناوي، من تريدن تلقينه درسًا لن
ينساه.

صعقت لوهلة من سماعها ذلك ثم
استقبلت الخبر بصدور حب قائلة:

- لا أعلم هل أهنئك أم أقوم بتعزيتك،
ليتنا تقابلنا في ظروف أفضل من تلك،
فضلاً عن عدم معرفتي بأن لديه خطيبة
فسامحيني عن كلامي هذا.

ضحكت بجانب فمها رافعة إحدى
حاجبيها ثم أردفت:

- لقد علمت الآن أن لديه خطيبة فلا
تحدثني عنه أمامي ثانية هكذا وإلا لن
يعجبك ما أفعل.

- للتوضيح يا "ريتاج" أكون خالته، لا أحد يملئ عليّ ما أفعله حتى أحمد نفسه.

- هكذا إذاً، حينما يعلم ما قلتِ لن يحدث شيء لا بأس سأخبره حالما يعود، بالمناسبة لقد قام بدفن أمه قبل ذهابه لإحضار "ملك"، لذلك لا تستطيع الخادمة فعل شيء إلا إن طلب منها هو.

أشارت ريتاج للخادمة بالرحيل فذهبت مسرعة، اشتعلت "نجية" غضبًا:

- كيف يجرؤ على ذلك كيف؟

جلست واضعة إحدى ساقيها على الأخرى
قائلة:

- ذلك كي لا تنتكس صحة "ملك" ثانية ثم هي أمه قبل أن تكون أختك له حق التصرف.

- ليست أمه ولم تكن يوماً كذلك، يبدو أنك لا تعلمين الكثير.

- أعلم أنها ربته مثل أمه و أفضل وكانت خير من حمل أمانة تربيته حتى أصبح ما هو عليه.

تسمرت نجية باحتقان شديد برهة، ثم أردفت:

- وها هو يرد جميل تربيتها له بعدم أخذ عزائها، صرخت: أين الفطور يا "أم سيد" اجلبيه في غرفتي فهمتي لن أنتظر عودة

أحد أسرعي.

نظرت لها ريتاچ بغرابة كأنها انتصرت
عليها قائلة:

- يا أم سيد من فضلك أخبري زوجك أن
يحضر حقيبتى إلى الغرفة المجاورة لغرفة
أحمد أريد أن أرتاح قليلاً حتى يعود.

- لكن يا سيدتى تلك الغرفة التي كنت
ترتاحين بها ليست فارغة الآن؟

- لماذا ألم يخبركم أنى قادمة لتقوموا
بتجهيزها؟

- نعم أخبرنا، لكن تعلمين تلك غرفة
"المهندس محمود" رحمه الله وتقيم فيها
زوجته منذ أن جاءت بالأمس.

- من الجيد سماع ذلك متى وجدها، كان
يبحث عنها منذ مدة إن كانت مستيقظة
أخبرها أني أريد الاطمئنان عليها.

- أمرك سأخبرها برغبتك، حتى ذلك
الوقت سنأخذ حقيبتك للغرفة المجاورة
للآنسة "ملك" هذا أمر "أحمد" بيه.

- حسنًا يا أم سيد افعلي ما قاله سيدك لا
بأس.

كانت نجية تستمع إلى حديثهم وهي مختبئة
خلف باب غرفتها، بعدما انتهوا من
الحديث توجهت للمقعد الذي في غرفتها
وجلست مستشيطة غضبًا قائلة:

- كل واحدة لها غرفة وأنا وبناتي نقيم في

الدور السفلي مثل الضيوف، سأريك يا
أحمد قلة اهتمامك بنا ماذا ستجلب لك.

* * *

استيقظت "هنا" على صوت أختها أثناء
نومها، حاولت إيقاظها واضعة يديها عليها
فاحترقت يدها من لمس أختها مما جعلها
تصرخ وتعود للوراء جالسة على سريرها
المجاور لـ "أمل" أختها الصغرى، تبكي وتقرأ
المعوذتين، استيقظت "أمل" شاخصة
عينها الداميتين متوجهه لهنا بالحديث
بصوت يرعب من يسمعه مركزة ناظرها
لها بشكل مخيف قائلة:

- توقي عن القراءة يا هنا أفضل لك،

لقد نبهتكَ مسبقًا ألا تفعلني أمامي هذا.

رددت هناء:

- أسفة لقد نسيت أسفة، هل تريدني شيئًا؟

أمل تحدثها مستنكرة:

- لم تنظرين إلي هكذا تكلمي!

- لا شيء، شعرك، وجهك وملابسك عليها
دماء لا أعلم من أين أتت، هل أنت بخير؟

- أجل، بخير في أحسن حال تتخيلينه.

- حسنًا حبيبتي الصغيرة، مادمت بخير،

سأجلب لك الفطور الذي تحبين.

- هيا اذهبي بسرعة، اجعلي أمي تأتي

أريدها في أمر هام ولا تعودي اجعلها هي
تحضري الفطور.

- حسناً يا "أمل" كما تشائين.

تحركت "هناء" مهرولة فسقطت قبل أن
تفتح باب الغرفة لكن سرعان ما اعتدلت
وخرجت من أمامها.

- لدي أخت بلهاء تريد أن يحبها أحمد
الشخص الذي لا يحب الأغبياء فضلاً عن
عدم حبه لنا جميعاً، عليّ أن أفعل كل
شيء بنفسي لأجلها تلك الغبية التي لا
تحسن فعل شيء، وأنت يا معاون مهما
استدعيتني لن آتيك أبداً سأدعك تتعفن
مع الرجل الذي جعلته يعاني مسبقاً، لن

تستطيع إيدائي تلك المرة أنا أفعل كل ما
بدأته أنت بدونك وعلى وجه أكمل مما
كنت تفعله.

وضحكت بسخرية عاليًا قائلة:

- لأنظف نفسي الآن كي أرى تلك الفتاة
الجديدة "ريتا" يبدو أن كل شيء يزداد
غموضًا وتعقيدًا لكني أحببت الأمور
الصعبة التي تمر علي في ذاك القصر.

قامت نظرت في المرأة فإذا شعرها مغبر
عليه دماء، عينيها وأنفها تقطر دمًا
وملابسها بها بقع دماء متناثرة في كل مكان،
قالت:

- من أين أتت تلك الدماء يبدو أن ما

بداخلي خرج بي اليوم أثناء نومي لكني لا
أذكر ما حدث إذاً ذكرني عندما تعود
للحديث معي كما كنت سابقاً.

* * *

ظلت تتمتم بالحديث أثناء قيادته السيارة
حتى اشتد غضبه عليها قائلاً:

- ملك اصمتي كفى كلاماً ألا تستطيعين
البقاء صامته حتى نصل للمنزل، كان الله
في عون من سيتزوجك يوماً.

- ماذا؟ كان الله في عونه، يا بني سيكون
يوم ساعده وهناه من يرتبط بي صدقني.

ابتسم موجهًا لها بصره:

- إذا أردتِ ألا أخبر أحد بأنك ثرثارة اصمتي حتى نصل.

ضيقت عينيها ونظرت له بغيظ قائلة:

- لقد خاصمتك وسأخبر أختي وخطيبتك بذلك كي يخاصموك مثلي يا متعجرف.

وأدارت وجهها عنه، هز رأسه ضاحكًا عليها، التفت لطريقه في هدوء أخيرًا ما إن وصلا إلى المنزل حتى خرجت من السيارة وأغلقت بابها بشدة كي تنبهه بأنها غاضبة ودلفت إلى المنزل، نظر إليها ضاحكًا ثم أعطى المفاتيح للحارس قائلاً:

- أدخل السيارة الجراج.

توجه إلى الداخل فوجد ريتاج جالسة

في اليهود قال:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حمدًا
لله على سلامتك.

- سلمك الله من كل سوء، البقاء لله كيف
حالك الآن؟

- بخير الحمد لله، كيف حالك أنت؟ آسف
اضطرت للسفر وتركت وحدك هناك،
سامحيني يا ريتاچ.

ردت عليه بإبتسامة:

- تعلم أني مسامحة، كما قلت أنك
اضطرت لا بأس، لماذا أغضبت ملك؟
دخلت مسرعة حتى أنها لم تلق السلام.

- يا الله، تعلمين كم هي ثرثرة طلبت منها أن
تصمت فقط.

ضحكت حتى بدت تلك الغمازتين
الساحرتين في خديها، نظر إليهما مبتسمًا
فكم يحبها ويريد أن يجتمع بها زوجة له
قريبًا، لكن كل الظروف المحيطة ضد
زواجهما الآن، استأذن منها كي يغير
ملابسه ويذهب لمصالحة أحدهم.

- صحيح يا أحمد قابلت خالتك اليوم
وكانت غاضبة لدفنك والدتك بدون
علمها.

هز رأسه قائلاً:

- لا تعيرها اهتمامًا لا شأن لها بما يحدث

هنا، عن إذنك الآن، يجب عليك أن ترتاحي
أيضًا.

- أنا منتظرة آية وزوجة أخيك كي أطمئن
عليهم ثم أصعد غرفتي.

- حسنًا، سأذهب الآن لنا حديث مطول
أثناء تناول الطعام إن شاء الله.

- إن شاء الله، سأنتظرك حتى تنتهي من
أعمالك.

ظلت عينيها متعلقة به وهو يصعد الدرج
إلى أن اختفى عن ناظرها، جلست
مستريحة جدًا على صفحة وجهها ابتسامة
صافية تعبر عن فرحتها لرؤيته.

* * *

- كندة هل أنت بخير الآن يا حبيبتي؟
 نظرت إليها شاخصة عينيها وقالت:
 - نعم بخير بفضل الله، هيا لننزل إلى
 الأسفل.

- ألن تغيري ملابسك حبيبتي!
 - أنا خائفة من دخول ذاك المكان هناك
 كيف سأغير ملابسني؟
 - لا تخافي، سأحضر لك ما تريدين من
 ملابس فقط أخبريني.

- أي شيء تختارينه سأرتديه يا آية.
 - حسنا، لكن ماذا رأيت هناك؟
 - رأيت؟ آه لا شيء مهم، هل "أحمد" هنا؟

- نعم، أحضر ملك وجاء منذ قليل، لما تسألين؟

- لا شيء، فقط أطمئن أن جميعكم بخير. ابتسمت لها، وأعطتها فستان جميل لونه أرجواني يجذب الأنظار معه حجاب أبيض به وردات أرجوانية بلون فاتح صغيرة جدًا، أخذت ملابسها منها ثم ارتدتها خلف ركن مخصص لتغيير الملابس وحينما رأتها آية سحرت بها في الحال كأن ذاك الوجه خلقه الله ليسحر العالم بجماله وبراءته، قالت آية:

- تبارك الله تبدين جميلة ماشاء الله.

خجلت من كلامها مردفة:

- لا تقولي هذا أنت الأجل حبيبي.

- لا أجاملك، حقًا أعلم كم كان يحبك أخي
وتمناك رغم عدم موافقة أمي حينها،
عمومًا ليس هذا وقتًا للحديث تنتظرنا
"ريتا" بالأسفل.

- عفواً من ريتا تلك؟

- خطيبة أحمد قادمة من ألمانيا وتنتظرنا.
تجهم وجهها المبتسم لوهلة فلاحظت آية
ذلك، لكن سرعان ما عادت لوجهها
المبتسم قائلة:

- هيا كي لا ندعها تنتظر أكثر من ذلك.

* * *

- هيا فرج أخبرني كيف تريد الموت اليوم؟
وقهقهه عاليًا جدًا:

- لكن قبل ذلك عليك إخباري ببعض
الاشياء، أولًا كيف استطعت إحضار جثة
ابنتك أمامهم؟ ثانيًا من هو الشخص
الذي يكمل ما كنت تفعله قبل إمساكي
بك؟

ضحك فرج بخبث وقال:

- لن تستطيع أن تفعل شيء في ذاك الأمر،
ستموت تلك المرأة والطفل الذي ببطنها
قريبًا سواء عشت أو مت لن يفرق الأمر مع
من يفعل عملي بالخارج.

- هكذا إذا، ستتعذب أكثر مما سبق حتى

تجيب على أسئلتى كلها.

قام بوضع إصبعه المشتعل في إحدى
عينيه فصرخ فرج طالبًا العفو والرحمة
منه لكن بلا جدوى فلن يرحمه أبدًا قبل
أن يجيبه.

- أجبني حينها أرحمك من عذابك و أقتلك
أو أخبر من يعمل لديك أن يشفي عينك
التي خسرتها للتو.

وضحك عليه بسخرية ثم أردف:

- المرة القادمة سأقطع ساقيك إن لم
تجب

ثم اختفى من أمامه.

- أين أنت يا "أمل"؟ أقسم لن أرحمك إن لم تساعدني على الخروج، غبية لا تعرف ما يقبع بداخلها، لا تعلم كيف تتحكم به وتظن نفسها قادرة عليه بدوني.

* * *

- سلام عليكم ورحمة الله وبركاته كيف حالكم يا فتيات اليوم هل نمتن جيدًا؟
 - نعم يا أخي، نحن بخير، كيف كان يومك؟
 - اه يا آية مر كل شيء بسلام الحمد لله، عدت بـ"ملك" وذهبت لترتاح منذ قليل.
 - أعلم يا أخي فقد اطمأننا عليها سويًا قبل نزولنا إليكم.

- زوجة أخي لقد اطمأنتت على أخيك
"نادر" اليوم وقابلته يبدو أنه شخص
جيد، لكنه يريد رؤيتك قريبًا.

- حقًا هو بخير، اللهم لك الحمد جزاك الله
خيرًا على القيام بذلك من أجلي.

- لا تقلقي، سأكون خلفك دائمًا كما كان
أخي، أفعل من أجلك أي شيء.

خجلت فازدادت وجنتها حمرة ووضعت
ناظرها موضع قدميها، كان هناك من
يراقب الوضع في صمت بدت عيناه
تقدحان بالشرر قائلاً:

- سأريك كيف تكون خلفها دائمًا، ستراني
أمامك أينما كنت يا "أحمد".

تلك اللحظات التي ردد فيها أحمد تلك
الكلمات التي سمعتها خطيبته اثناء
قدومها للطعام معهم جعلتها تعيد النظر
في علاقتهما، عادت لغرفتها لم تذهب
لتناول الطعام معهم، بل أخبرت الخادمة
أنها تريد أن ترتاح قليلاً لأنها ذاهبة إلى
المشفى حاملاً تستيقظ إن شاء الله، لكنها
لم تجد راحة ظلت تقلب كلماته تلك في
رأسها ترى ماذا يقصد بها هل وقع في حبها
أم يشفق عليها فقط، لم تعد تعلم
مقصده من كلامه لكن نظراته المشتاقة
لها جعلتها تناسي كل ما سمعت حينما
تذكرت لحظة دخوله القصر لحظة وقوع

عيناه عليها تلك البسمة التي عهدتها منه
حين رؤيتها تجعل حبه مشتعلًا في قلبها.

رددت ريتاچ:

- يارب لا تحرمني منه أبدًا ولا تجمعه
بزوجة غيري لن أتحمل ذلك.

ثم خلدت لنوم عميق.

- هيا يا زوجة أخي تأخرنا أسرعي من
فضلك مواعيد الزيارة محددة في تلك
المشفى.

- آتية لحظة واحدة.

نزلت وجدته هو ينتظرها وحده فقالت:

- ألن تأتي معنا آية.

- لِمَ تأتي هي معنا؟

رد عليها مستنكرًا.

- أقصد، هل تأكدت أنه يمكنني زيارته

أثناء شهور العدة؟ هل سنذهب سويًا

فقط؟

- لا ستأتي "ريتاچ" و"ملك" ستذهبان

للتسوق بعد إيصالي لك، لا تقلقي لن

تركبي السيارة معي فقط، نعم سألت شيخ

ثقة قال مدام هناك أمر ضروري يمكنك

الذهاب والعودة بسرعة.

تهدت "كندة" قائلة:

- لم أقصد ذلك فقط كنت أظن أن ريتاچ

ذاهبة إلى المشفى كما قالت الخادمة أثناء
تناول الطعام أمس.

- حسنًا، لم أسألك عن ظنونك الآن هيا
اركبي السيارة من فضلك.

نظرت إليه بغيظ وهي تدخل سيارته قائلة
في نفسها من يظن نفسه ليتحدث معي
هكذا، مرات يكون شخص جيد ومرات
يكون كلامه قاسٍ جدا تُرى ماذا تخفي
بداخلك القسوة أم الطيبة، عمومًا
سنعرف كل ذلك قريبًا بإذن الله، بعد برهة
خرجت "ريتاچ" تبعتها "ملك" فتهلل وجهه
لرؤيتها ثم صعد سيارته وركبت الفتاتين
معهما وانطلق بهم مسرعًا.

- أحمد من فضلك سأمر على المشفى أولاً
قبل الذهاب مع ملك.

- كما تشائين "ريتاج" لا بأس لن تتذمر
ملك خصوصاً أننا سنمر على المشفى أولاً
من أجل زيارة كنده لأخيها.

* * *

دخل رامز المشفى فذهب إلى الاستقبال
قائلاً:

- من فضلك أريد رؤية العقيد "نادر"
والاطمئنان على حالته الصحية.

- أهلاً وسهلاً بك يا "رامز" باشا، يجب أن
يسمح الطبيب المسئول عنه بذلك أولاً،
بعذر منك يا فندم.

- لا بأس أرسل له خبرًا أني هنا لأراه.
 - هو الآن يمر على المرضى فأمهلي دقائق
 كي أتأكد أنه انتهى من عمله.
 - حسنا سأنتظر هنا حتى تخبرني أنه انتهى.
 جلس "رامز" على كرسي الاستراحة
 الموجودة باستقبال المشفى على مضض،
 بعد قليل جاءته موظفة الاستقبال
 وأخبرته أن الطبيب انتهى من مروره
 وينتظره في مكتبه، قام مهرولاً لمقابلته كي
 يرى "نادر" لفهم القضية، دق الباب
 فدخل عليه قائلاً:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته دكتور
 "قاسم" كيف حالكم؟

- الحمد لله بخير بفضل الله، كيف حالكم أنت يا فندم؟.

- الحمد لله، كيف هو باسم؟ هل هو بخير؟
- نعم الحمد لله أفضل بكثير.

تهند مطولاً وقال:

- الحمد لله هل يمكنني رؤية "نادر"
و"باسم"؟

- لكن حالة "نادر" ليست مستقرة بعد،
كذلك باسم لن يفيدك بشيء الآن.

- لا أستطيع الانتظار الوضع كارثي يجب
أن أفهم منه شيء متعلق بالقضية، ماذا
تعني بأن باسم لن يفيدني بشيء.

- حسنًا، لكن لا يجب أن تجعل نادر يتحدث كثيرًا، أما باسم هو فاقد للذاكرة في الوقت الحالي.

لم ينتبه لكلام قاسم كله فرد عليه مسرعًا:

- لا تقلق لن أجعل نادر يتحدث كثيرًا، لحظة من فضلك ماذا حدث فقد باسم ذاكرته؟

ذهبا سويًا إلى غرفة "نادر" فوجد زوجته هيام جالسة أمام الغرفة كي تطمئن عليه كعادتها منذ دخوله المشفى فأوقفت قاسم قائلة:

- كيف حال باسم اليوم؟ والبقاء لله يا

قاسم.

- الحمد لله هو بخير، لكنه فقد بصره
وذاكرته أيضًا يا "هيام".

- يا الله، كيف حدث له ذلك، شفاه الله
وعافاه ربط الله على قلبك يا قاسم.

- سامحيني يا هيام سنتحدث لاحقًا. قالها
قاسم متعجلًا، تحدثت هيام لنفسها بعد
دخولهم:

- ترى هل يجب علي أن أخبر منار بما حدث
له؟

دخل رامز فجلس بجوار نادر قائلاً:

- من فضلك أجبني، من أين أبدأ في تلك

القضية الغريبة؟

كان يتحدث بصعوبة بالغة وصوته مجهود
جداً وهو يخبره:

- ابدأ من حيث توقفت ستجد كل شيء في
الملف الأحمر الموجود بدرج مكتبي خذ
المفاتيح من زوجتي لأريك مفتاح ذاك
الدرج.

خرج رامز من غرفته متحدثاً لزوجته نادر
يطلب منها المفاتيح فأعطتها له، عاد ثانية
إليه فسأله:

- أي مفتاح يا صديقي، أخبرني لا أريد أن
أشق عليك وأنت بتلك الحالة.

- ذاك المائل للإصفرار صغير الحجم عن

البقية، خذه لا تنسى فرج يجب أن يتحدث
هو يعلم لكنه ينكر الأمر برمته.

- لكنه هرب من السجن، لم نجده حتى
الآن.

- هرب كنت متوقع ذلك عمومًا، إن رأيت
ما رأيت ستعلم كيف تجده.

- لما الألبازيا نادر من فضلك أخبرني كل
شيء.

- ستجد كل شيء بالملف، اتبع قلبك
وحدسك.

بدأ نفسه يضيق فطلبت الممرضة من رامز
الخروج لأنه لن يستطع التحدث أكثر، لبي
رامز ما قالت الممرضة، لكنه لم يستطع أن

يفهم وظل يتمتم:

- كيف أتبع قلبي وحدسي أثناء القضية،
يارب كل ما حدث منذ أتيت كثير لم أعده
مسبقًا فأعني على حل كل الأمر وتحديد
الجاني.

أثناء خروجه من المشفى رأى "أحمد" معه
كنده وفتاتين أخريتين لكنه لم يعيرهم
اهتمامًا ركب سيارته متجهًا إلى المديرية
فصعد إلى مكتب العقيد نادر ليبحت عن
الملف الذي ذكره له، بعد وصوله للمكتب
طلب فنجان من القهوة ليرتشفها أثناء
قراءته للملف، فتح درج المكتب فوجد
الملف وقد كتب عليه بخط عريض اسم

شهادة، بداخله كانت هناك ورقة مدون عليها ملاحظة هامة "لمن يكمل تلك القضية بعدي اتبع إرشادات "رفيق" فهو يعلم جيدًا كيفية التعامل مع الأمر لن يستطيع أحد مساعدتك مثله"، ودون رقم هاتف "رفيق" وعنوانه نظر رامز إلى التوقيع أسفل الملاحظة كان توقيع "نادر".

دق الباب فدخل الحارس ومعه فنجان القهوة ترك الصينية وخرج كما أعتاد، شخص عينيه مفرغًا فاهمه من هول ما يراه أمامه حاول القيام لكن ذاك الشيء كان قابض على يديه بقوة استعاذ بالله من الشيطان الرجيم فتركت يده فانتفض

ملتصقًا بالحائط، اقتربت منه قائلة:

- لن أتركك حتى تجد من قتلني وعائلتي يا
رامز.

كانت تتحدث بصوت له صدى غريب
جدًا، أربعه وجعله يجثوا على الأرض من
شدة خوفه حينما اختفت قام من مكانه
ممسكًا فنجان القهوة ليكملها قائلاً في
نفسه:

- يبدو أنني أتخيل أشياء لأنني لم أنم جيداً
منذ ثلاثة أيام".

لكنها عادت من جديد أمامه قائلة:

- لكنك لا تتخيل الآن انظر ستجدني
هناك.

وهي تشير إلى الحمام الذي يصدر منه أصوات صراخ أكثر من شخص ونحيب طفلة تتوسل كي لا تقتل، فزع رامز حاول الخروج من الغرفة لكنه لم يستطع اقتربت منه ممسكة يديه تاركة عليها آثار حروق ليتأكد من كونها حقيقة واختفت فجأة، قام رامز لينظر إلى الحمام لكنه لم يجد شيئاً سوى قطرات دماء متناثرة على الأرض، استدعى الحارس بصوت عال دخل الآخر مهرولاً طلب منه تنظيف الحمام بسرعة وإحضار حقيبة الإسعافات الأولية المتوفرة في المكتب، تعجب الحارس مما رآه في الحمام، لكنه

قال:

- ها قد بدأنا تلك القضية من جديد يا ستيريارب.

- ماذا تقول يا عسكري ارفع صوتك؟

- لا شيء يا باشا.

نظر له رامز بغيظ وقال:

- انطق يا عسكري.

- أبدًا يا باشا، تلك القضية يحدث فيها أشياء غريبة آخرها ما حدث للعقيد "نادر" وابنته "منة".

- هل رأيت شيء غير ما تنظفه الآن؟

- نعم، الكثير يا باشا، ربنا يسترنا جميعا.

- أريدك ان تحضرلي رفيق.
- أمرك يا فندم، سأذهب لإحضاره.
- أنت تعرف عنوانه إذا.
- نعم، فقد أحضرته أكثر من مرة للباشا
ربنا يشفيه.
- أمين، لتذهب مسرعًا تخبره أنني أريده في
أمرهام.
- تمام يا فندم.

* * *

- دخلت كنده لأخيها فأمسكت يده قائلة:
- حمدا لله على سلامتك، كل ذلك بسببي.

أزال ماسك الأكسجين من على وجهه
ونظر إليها قائلاً:

- لا تقولي ذلك، بل هذا قدر الله و أقداره
كلها خير، لولا ذلك ما علمت كونك اختي
التي فقدتها منذ سنوات طويلة.
دمعت عيناها الرمادية مردفة:
- بلى أنت محق.

- تعلمين شيئاً انت تشبهين أمنا كثيراً حتى
أنك ورثت عينيها الرماديتين.

- كيف هي أمي أهنالك صورة لها عندك؟
- بلى، إن شاء الله أخرج من هنا وأخذك
لتري كل ذكرياتنا معها.

ابتسمت له وربتت على يده قائلة:

- إن شاء الله ستخرج بخير حال من هنا
عاجلاً لتريني كل شيء.

دخلت الممرضة معلنة انتهاء مدة الزيارة
كي لا يتعب نفسه أكثر في الحديث معها،
قبلت كنده رأس أخيها ثم غادرت الغرفة
ذاهبة إلى من يقف منتظرًا لها فسألته:

- أين ملك وريتاج هل رحلوا؟

- لا، ذهبنا لتطمئنا على باسم، لم تعرفي
ريتاج بعد هي طبيبة عيون متميزة في ألمانيا
قد تستطيع معالجته بإذن الله.

جلست متوجسة خيفة تزدد ريقها كأن

هناك غصة في حلقها تمنعها من الكلام،
أردفت بخوف:

- لكن ما به باسم؟

- يا الله نسيت اخبارك سامحيني، لكن
قاسم طلب مني ذلك ألا أخبرك لأن باسم
لا يذكر ولا يعلم شيء مما حدث، منذ
ثلاثة أيام تقريبًا فقد بصره وجزء من
ذاكرته.

سالت الدموع من عينيها، جلست على
أقرب مقعد لها مؤنبة نفسها:

- كل ذلك بسببي يا الله الطف به واشفيه.
- من فضلك لا تبكي الآن، لا يجب أن يعلم
أي شخص أنك تعرفين، "قاسم" يحاول

حمايته مما يحدث، ثم إني أريدك في
موضوع هام.

- أي موضوع ذاك أهم من باسم الذي كان
يحميني من كل شيء بدون مقابل دون
معرفة منه أني قريبتة.

- ستسافرين لتلدي خارج مصر ذاك أمر
مجبرة عليه.

- من سيجبرني على السفر، وماذا عن
شهور العدة هل يجوز السفر قبل
انقضائها.

- أنا أجبرك، بصفتي عم ابنتك الذي يحاول
حمايته إياك أن تعترضني.

* * *

- مساء الخير، كيف حالك يا دكتور باسم
معك الطيبة "ريتاج" جئت لفحص
عينيك من فضلك دعني أساعدك.

كانت "ملك" جالسة على مقعد داخل
الغرفة تتابع ما يحدث في صمت مطبق، رد
باسم:

- أهلا وسهلا بك لكن أين أخي؟ وكيف
دخلت وحدك؟

- معي الممرضة لست وحدي، من فضلك
هيا لنذهب لغرفة فحص العيون
بالمشفى.

- كيف سأذهب معكم دون وجود
"قاسم"؟

- لا تقلق، سنساعدك نحن.

- لا يمكن أن أسمح لكُن بإمساك يدي أريد رجلاً او أخي.

صمتت ريتاج لبرهة فأخبرت الممرضة الذهاب إلى "قاسم" كي يساعد أخاه على الذهاب للفحص، ذهبت إليه الممرضة، فجاء لكنه وجد "ملك" بالداخل فاستشاط غضباً لجلوسها في غرفة أخيه.

- أنت لم تجلسين هنا! لما تحاولين مضايقتي ألم أخبرك مسبقاً ألا تتدخلني بشؤوني.

ردت عليه مقطبة حاجبها:

- وما شأنني بك، أتيت مع "ريتاج" طبيبة

العيون الواقفة أمامك سلها عن ذلك.

ردت ريتاج:

- نعم هي معي يا دكتور قاسم أولاً كيف حالك، تشرفت بمعرفتك؟ ثانياً أود فحصه لكنه رفض الذهاب بدونك، ثالثاً كيف تعرفون بعضكم البعض؟.

رد قاسم بغير اهتمام:

- لا شيء يذكر اصطدمت بها أمس وانتهالت علي بلسانها المتسلط.

ضحكت ريتاج عندما رأت "ملك" عيناها ممتلئة بالشر ووجهها أصابته حمرة من شدة غيظها، لكنها هدأت الوضع.

- اعذرها يا دكتور قاسم هي طائشة قليلاً،
الآن من فضلك هيا لأفحص عينيه.

- هيا لنذهب يا باسم، لكن من فضلك
أخبري أهلها تعليمها كبح غضبها أولاً.

كانت سترد عليه وهي غاضبة لكن منعته
ريتا عن ذلك فظلت غاضبة تكتم غيظها
داخلها يبدو انها ستنفجر في أي لحظة،
أنهت ريتا فحص باسم قائلة:

- بإذن الله تعالى سنجري له عملية
جراحية بسيطة ليعود بصره من جديد إن
شاء الله.

تمللت اسارير قاسم قائلاً:

- أحقا ما تقولين.

- نعم، إن شاء الله، لكن سيتطلب منك إجراء بعض الفحوصات قبل العملية بإذن الله حالما تنتهي منها تتصل بي لنحدد موعد الجراحة.

- إن شاء الله سأفعل، جزاك الله خيرا.
- وإياكم عن إذنتكم يا دكتور، حفظكم الله.

قال قاسم:

- عفوا يا دكتورة ريتاچ لحظة واحدة، أين الأنسة التي كانت معك؟

- تقصد "ملك".

أجابته متعجبة.

- اسمها "ملك" لا ينطبق عليها، عمومًا أود
الإعتذار منها فقط.

ابتسمت قائلة:

- لن تقبل اعتذارك صدقني هي غاضبة
منك جدا خاصة أني منعتهما ترد عليك حين
أغضبتها منذ قليل.

- بالطبع تعرفينها أكثر مني لكني سأحاول
فقد كنت فظًا معها.

- عمومًا هي بالخارج في السيارة يمكنك
المجيء معي بعد إدخال دكتور باسم
غرفته.

- حسنا أمهليني دقائق.

- سأنتظر في الاستقبال إذا.

رحلت عنهم ذاهبة إلى استقبال المشفى،
كان أحمد مازال هناك يتحدث مع زوجة
أخيه، رأتهم ريتاج فتوارة عن أنظارهم كي
تستمع لحديثهم.

- لا تستطيع جعلي أسافر معك لن اترك
أخي وابن عمي بتلك الحالة لأسافر وشهور
العدة تمنعني أيضًا.

- أخبرتك أنك مجبرة لم تصعبين الأمر، ثم
إن ذلك ما طلبه رفيق أيضًا كي نستطيع
حمايتك.

- هل السفر معك يجعلني محمية؟

- أنت عنيدة جدًا يبدو أنني يجب ألا

أعاملك إلا بقسوة كي تطيعي الأوامر.

رفعت كنده حاجبها:

- تعاملني بقسوة؟ أنت بالفعل تقوم بذلك

ألا ترى نفسك.

تهمد "أحمد" وقال:

- لا طاقة لي بالجدال مع النساء أصلاً لا

يوجد أحد يفهمني غير ريتاچ.

- حقاً؟ إذا أجبرها هي على السفر معك

وحدكم طالما أنها من يفهمك فقط.

نظر لها بغرابة كأنها قالت شيء جعله

يشعر بشيء غريب جداً لم يشعر به مع

أحد مطلقاً، لم يتحدث معها ثانية لكنه

رحل إلى السيارة فوجد ملك جالسة هناك
 باكية، مما جعله يشتد غضبًا على قاسم
 ظنًا منه أنه من جعلها تبكي عاد إلى المشفى
 يتأجج غضبًا ليجد قاسم واقفًا أمامه
 فأمسك به بين يديه موجهًا له كلامه:

- من أنت لتجعل أختي تبكي أجبني من
 أنت؟

صدم قاسم لما يقول لكنه رد عليه قائلاً:
 - لم أقصد إيذاءها حتى صدقني، ظننت
 أنها جاءت اليوم لتضايقني فقط والله لم
 أفعل لها شيء كنت قادمًا لأعتذر منها رغم
 ذلك.

هدأ "أحمد" وقال:

- إذا لما تعتذر إن لم تفعل؟

قال قاسم:

- لأنني تسببت بغضبها دون قصد مني.

- هيا تعال معي لتعتذر منها.

ذهبا سوياً إلى السيارة فوجدوا "ملك"
 تحاول فتح بابها بلا جدوى، هرولاً إليها
 ليحاولوا إخراجها سالمة لكن منعهم شيء
 عجيب لا يكن وصفه من شدة قبحه تسمر
 قاسم و اقفاً أمامه فقد رأى ذاك القبيح
 تلك الليلة التي قتل فيها "محمود" لكنه
 سرعان ما بدأ بالإستعاذة وقراءة الآيات
 التي أخبره "رفيق" أنها صارفة له لكن ذاك
 القبيح ابتسم له قائلاً:

- أتريد أن أفعل بك كأخيك وأمك التي
توسلت لي أن أتركها بسلام.

غضب قاسم وظل يردد القرآن حتى رفعه
ذاك القبيح عاليًا، كان يحاول الفرار لكنه
لم يستطع إكمال القرآن لأنه ملجم
اللسان، "أحمد" كان يحاول فتح الباب
وإخراج أخته الصغرى التي من شدة
خوفها فقدت الوعي، التفت إليه ذاك
قبيح الوجه فأبعده عن باب السيارة
مخبرًا إياه أنه سيقتلهم جميعًا عما قريب،
لكن كانت المفاجأة التي لم يتوقعها ذاك
القبيح وجود الشخص الناري "سعد"
واقفًا أمامه يتحداه مخبرًا إياه:

- لن تجرؤ على أذية أحدهم مادمت أنا
أمامك يا خادم فرج.

- من تظن نفسك سأقضي عليك بلا
شفقة ولا رحمة يا "سعد" كما قتلت
عائلتك أنسيت ما حدث.

- لم ولن انسى فأنا أبحث عنك من حين
لآخر لكنك جبان تهرب دائماً لما تخاف
مواجهتي.

- لست جبان يا "سعد" تعلم من أكون،
إلزم حدك وإلا سحقتك.

يستفزه "سعد" قائلاً:

- يا خادم فرج لا تستطيع فعل شيء بدونه

أوبدون من تخدمه الآن أنت نكرة يحركك
أسيادك فقط.

غضب قبيح المنظر فترك ما بيديه وانقض
على سعد فاخترها سويًا، ذهب "أحمد"
و"قاسم" مسرعين فتح باب السيارة حمل
أخته وأخذها إلى المشفى، حاول قاسم
إفافتها وأتم المهمة بفضل الله وجلبا لها
عصير ليمون كي تهدأ وشكره أحمد، اعتذر
قاسم لها على ما بدر منه حين رآها بغرفة
"باسم" ورحل بعد الاطمئنان عليها،
دخلت كنده وريتاج الغرفة للإطمئنان
على ملك، وجدوها جالسة يسقيها أخوها
العصير راقيا إياها بالرقية الشرعية كي

يطمئن قلبها، نظرت إليه كنده دامعة
العينين تذكرت كيف كان يرقبها "محمود"
حينما تتعب او تخشى شيئاً، ظلت ريتاج
تراقبها بغيرة شديدة بدأت تضممر ناراً
بداخلها هل تلك المرأة ستأخذ منها حبيبها
التي انتظرتة مطولاً ليعبر لها عما في قلبه
على ما يبدو أنها لن تسمح بذلك.

* * *

دق باب المكتب فأذن رامز لمن يدق
بالدخول، إذا به العسكري الذي طلب
منه احضار رفيق لكنه يقف أمامه وحده،
قال رامز:

- أين هورفيق لماذا لم تحضره معك؟

- ذهبت إلى منزله لم أجده، علمت أنه لم
يعد منذ أمس من أحد الجيران على غير
عادته.

رامزيتمتم:

- ترى أين قد يكون ذهب ذاك الرجل، لم
أطمئن لحديثه في المشفى ظننته مخبولاً،
لكن نادر يثق به علي إيجاده لحل تلك
القضية، يا عسكري اجلب لي قهوتي الآن،
اذهب.

أمسك رامز هاتفه ليتصل برفيق لكنه
أجاب بعد عدة محاولات:

- السلام عليكم يا أستاذ رفيق، كيف
حالك؟

ردت عليه امرأة السلام قائلة:

- إن صاحب هذا الهاتف في المشفى منذ
أمس بعدما تعرض لحادث، هل أنت أحد
أقربائه.

رد رامز متهدداً:

- تعرض لحادث، نعم أنا صديقه فحسب.
- هل يمكنك المجيء يا سيدي إلينا.
- نعم سأتي يا سيدتي، أعطني العنوان،
من فضلك أخبريني كيف وضعه الآن؟
أغلق رامز الهاتف بعدما اطمأن أن حالته
مستقرة عازماً على الذهاب إلى تلك
المشفى التي بها رفيق.

- تلك القضية الغريبة تزداد تعقيدًا فكل
من له علاقة بها يحدث له شيء، ترى متى
سيأتي دوري؟

قال رامز تلك الكلمات بصوت عال.
بعدها رأى رجل مشتعل أمامه مباشرة
يقول له:

- كل تلك الحقائق لدى فرج يا رامز.
ازدرد رامز ريقه بصعوبة بالغة مردفًا:
- بسم الله الرحمن الرحيم، من أنت؟
رد عليه:

- أنا سعد لست شبحًا لا تخاف.
- لكنك تحترق أمامي الآن كيف ذلك.

- ذلك نتيجة لسحر ما أحاول معالجته،
المهم أعرف مكان فرج، سأحضره لك لكن
تعدني أنك لن تتركه يرحل دون الاعتراف
بكل شيء.

- تعرف مكان فرج كيف ذلك؟ لكن ما
علاقتك بالأمر؟

دخل العسكري حاملاً القهوة فرأى سعد
فسقطت الصينية من يديه مستعيذاً
بالله، طلب منه رامز الانتظار بالخارج فرد
عليه:

- لكن هذا قتل المهندس محمود يا سيدي.
رد سعد:

- لا لم أفعل والله فقط أبعدته فسقط

على رأسه لم أكن أقصد ثم إنه قتل في
المشفى لم أكن أنا الفاعل لقد حاولت
حمايته، صدقني.

رامز متخوفًا:

- أصدقك يا سعد لكن كيف ستحضر لي
فرج.

- عدني أولًا وسأفعل كل ما تريد.

- أعدك أنني لن أتركه قبل أن يتحدث.

رد سعد عليه:

- أولًا لقد قمت بوضع رفيق في المشفى التي

بها أمي من فضلك اهتم بها أيضًا.

- هل أنت فعلت ذلك برفيق؟

- لا لقد حاولت حمايته ممن أراد قتله ثم
وضعته بالمشفى فقط.

زادت حيرة رامز من تلك القضية التي تزداد
غموضًا، لا يعلم كيفية التعامل مع كل
تلك الأشياء الغريبة.

* * *

"أمل" ترتجف واقعة على الأرض كأن
عظامها منكسرة معوجة بشكل غريب
مخيف تخرج سائلًا ذا لون أبيض من
فمها، عيناها بيضاوين كليًا، دخلت
"نجية" وجدت ابنتها في ذلك الوضع
صرخت صرخة مدوية دخلت إثرها آية
التي وقفت في ذهول صامتة، لحقت بها

هنا من تعرف الوضع كله منذ بدايته
فبدأت بقراءة المعوذتين، آية الكرسي،
وأخر سورة البقرة وهي تمسح على رأسها
بيديها التي بدا أنها تحترق لكنها كانت
تحاول إنقاذ ما تبقى من روح أختها
العالقة بين عالمين.

آية تصرخ:

- انتبهي يا "هنا" أصبحت عيناها تقطر
دموع لونها غريب.

هزت هنا رأسها موحية لها أنها ستكون
بخير.

"نجية":

- يارب اشفها لا أعلم ماذا أفعل يارب

أعدك لن أعصيك ثانية لكن اشفها لا
تعاقبها بذنبي.

حينما سكن جسد "أمل" توقفت "هناء"
عن القراءة معلنة انتهاء رقيتها لأختها
موبخة أمها:

- الآن يا أمي تدع ربك ليشفيها وأنت من
تسبب بذلك لتلك المسكينة، ماذا ظننتِ
أنك ستمتلكين القصر؟ ماذا بعدها
العالم؟ لم أكن أعلم أنك أنانية لذاك
الحد يا أمي من الآن لن أعتبرك أمًا لي إن
أمي ماتت.

- لا تقولي ذلك يا "هناء" أكيد خالتي لم
تقصد إيذاءها، اصبري لنفهم ما يحدث.

- ما يحدث كثيرا ابنة خالتي موت أبيك،
 أخيك، أمك وكل من يقترب من كنده هي
 السبب الرئيسي فيه أنت لا تعرفين شيئاً،
 حاولت خالتك حل السحر الذي فعلته
 بعد موت "محمود" لكن مع اختفاء
 الشيخ معاون الذي تعتقد أنه سيحله كما
 فعله لم تستطع وتلك المسكينة يحدث لها
 كل ليلة أشياء مرعبة أراها بعيني لوجودي
 في نفس الغرفة أخشى أن يصيبني ما
 أصابها يوماً من تحت رأس أمي الجالسة
 كأن لا ذنب لها بل وتدعو الله أيضاً بكل
 وقاحة.

شخصت آية عينيها التي أعلنت عن تفجر

دموعها على وجنتيها من هول ما سمعت
من ابنة خالتها، خرجت مسرعة من
الغرفة إلى الحديقة الأمامية للقصر لا
تعلم ماذا تفعل كيف تخبر إخوتها بما
سمعت كيف وكيف بل كيف تستطيع
خالتها التي اعتبرتها أمًا لها فعل ذلك بهم
كيف هانوا عليها؟ كيف كانت السبب في
معاناتهم من كل ذلك، دخل أحمد
بسيارته إلى القصر ونزلوا جميعًا، أثناء
دخولهم سمعوا نحيب "آية" فذهبوا إليها
في الحديقة؛ انهارت أكثر حينما رأتهم
أمامها ثم قالت لأخيها بعدما ارتمت بين
يديه:

- أرجوك يا أخي لنسافر كما قلت لي من فضلك لن أتحمل صدمات ثانية يكفي ما رأيت حتى الآن.

- ماذا بكِ آيتي الجميلة؟ أخبريني لا تخافي أنا معكِ.

- أخاف عليك مما سأخبرك به يا أخي.

- لا تخافي معكِ أخيك الكبير الذي سيحاول حمايتكم مهما كانت الظروف المحيطة بكم.

- لا يا حبيبي لن أفعل، فقط اجعلنا نترك ذاك القصر وتلك البلدة بأجمعها لأي مكان تختاره من العالم، لنرحل فقط.

- كما تشائين، لكن لتعلمي فقط أن

الأقدار لا يغيرها إلا الدعاء وما اصابنا لم
 يكن ليخطئنا بل هو محض قدر الله عز
 وجل وإرادته تعلمين ذلك جيداً، صحيح
 أرجوك لا تبكي على ما فات أبداً آتي
 حبيبتي.

ابتسمت له وربتت على يديه مردفة:

- أعلم يا أخي لكني تعبت فقط.

قالت لها كنده بعد أن رسمت على وجهها

ابتسامة مطمئنة لها:

- سنسافر جميعاً معاً كما أخبرك "أحمد"

سنكون معاً سعداء للأبد بإذن الله فقط

لا تيأسي فالخير موجود والشرك ذلك ولن

يؤذينا أحد إلا بشيء قد كتبه الله لنا فقط

اعلمي ذلك جيداً لكي نعيش حياتنا
بسعادة ونرضى بأقدارنا بحلوها ومرها.

نظر "أحمد" لها مستغرباً كلماتها فهي من
رفضت السفر معه منذ قليل في المشفى
وكانت تعانده بحجة شهور العدة وما إلى
ذلك، لكن هناك من كان يراقب الوضع
في صمت مكشراً عن انيابه بشكله القبيح
دون أن يراه أو يشعر به أحد متوعداً
بهلاكهم جميعاً على يديه

* * *

هيام تتحدث في الهاتف:

- يا حبيبتي يجب عليك أن تعلمي أن أم
باسم ماتت، و باسم في المشفى لا يتذكر

شيء علمت أنه فقد ذاكرته، فقد بصره،
 أعلم أنك لازلت تخفين حبه في قلبك لكن
 هو يحتاجك الآن وقد يكون بخير أكثر إن
 علم بوجود طفله على قيد الحياة.

- لكني لازلت خائفة من الاقتراب منه يا
 هيام خاصة إن علم بوجود ابنه لا أظن
 أنني أستطيع خسارتهما معاً تلك المرة، لن
 أتحمل فقد عوضني "معاذ" عن وجود
 باسم في حياتي لكن ليس هناك من
 يعوضني عن ابني أرجوك يا هيام لا تخبريه
 بشيء، سأستخير أولاً قبل أي قرار أتخذه.

ردت عليها هيام بصوت حزين:

- ليتك تريه يا منار كيف هي حالته حتمًا

ستغيرين رأيك.

- إن شاء الله أستخير أولًا ثم أقرر، كيف حالك ومنة اليوم وما أخبار صحة نادر.

- جميعنا بخير الحمد لله لكن نادر مازال في الرعاية ادع له يا منار لعل الله يستجيب لك.

* * *

دخل أحمد وأخواته إلى القصر فسمعوا صوت هناء تصرخ بألم شديد، ذهبوا جميعًا إلى الغرفة وجدوا "نجية" تنتحب ممسكة سكين كبيرة بيدها هناء ملقاة على الأرض بجوار أختها الصغيرة غارقة بالدماء فصرخت آية وكنده وهرولت ملك

إلى الخارج فهي لا تتحمل الدماء.

* * *

قاسم جالس في مكتبه جاءته مكالمة هاتفية من شخص أخبره أنه يريد رؤية باسم لكن يود معرفة أشياء مهمة قبل ذلك، ووافق قاسم على كل ما طلب منه في تلك المكالمة الهاتفية، وكان مستبشراً خيراً من ذلك اللقاء، أثناء خروجه لرؤية باسم رأى ذاك الرجل الذي أخبره أن أمه ستتحسن كزوجته لكنه بدا حزيناً للغاية تلك المرة، جلس قاسم بجواره قائلاً:

- كيف حالك يا عم وكيف هي زوجتك؟

رد عليه بحزن شديد:

- يبدو أنها لن تعيش طويلاً فهي مريضة
للغاية منذ فترة لم تتحسن.

قال قاسم متفائلاً:

- لا تحزن إن شاء الله ستتحسن يا عمي
فقط تحلى بالصبر.

- والله لست حزيناً عليها يا بني الآن، فهي
ستلحق بي قريباً وكنت أتمنى لقاءها منذ
مدة، لكني لازلت أجهل أين ابني.

شخص قاسم عينية لوهلة يفكر فيما
سمع، ترى ماذا يعني الرجل بأنها ستلحق
به هل هو ميت، أسرع قاسم مهرولاً إلى
مكتبه مرة أخرى متعجباً مما يحدث،
لكنه وجد الرجل جاء خلفه ثانية يقول:

- ماذا حدث لما هربت مني يا بني؟

تسمر قاسم مكانه صامتًا لا ينطق بكلمة
واحدة مفرغًا فاهه يحاول فهم ما يحدث.

* * *

عادت هيام لمنزل والدتها بعدما اطمأنت
تمامًا على نادر، فوجدت امرأة مغبرة
الثياب، ثيابها بها آثار بعض الحروق،
واقفة على الباب تدق ولا يريد أن يفتح لها
أحد، ما إن التفتت إلى هيام، عادت للوراء
بضع خطوات حتى التصقت بالباب
المقابل لمنزل والدتها في ذهول تام، هي
تسمع صراخ والدتها وطفلتها بالداخل ولا
تعلم ماذا تفعل، كيف تتصرف؟

تذكروا فقط أن الدعاء يرد البلاء فادعوا
الله كثيرًا حتمًا سيستجيب.

الخير موجود، السحر موجود، والشر
موجود لكن لن يضرنا إلا ما كتب الله لنا
اعلموا أن الشر بداخلنا جميعًا إن أطلقنا
له العنان لن يرحم أحد.

الخير فينا دومًا نراه فحاولوا أن تكون
شرارة الخيرية دومًا داخل قلوبكم.

لا تتعجب إن رأيت أمًّا تؤذي أبناءها.

لا تحزن إن رأيتها تقسوا وتبث غضبها.

لا تتعجب من شيء تفعله تلك أبدًا.

فهي لا تستحق أن تكون أمًّا أبدًا.

الفصل السابع

حلم أم حقيقة

تصرخ نجية:

- ابنتي أنقذوا ابنتي، لماذا تقف هكذا يا أحمد أرجوك بسرعة من فضلك.

هناء:

- أنت المتسببة بذلك يا أمي لما تصرخين الآن؟ هل تظنين أنه يمكننا مساعدتها؟ لقد قطعت سرايين يديها، ماذا قلت لها حتى فعلت ذلك هيا تحدثي.

- اصمتي يا هناء الآن يجب أن ننقذ أختك أسرعوا هيا.

ظلوا جميعًا في صمت كأنهم لا يرون أي
شيء من أثر تلك الصدمة عليهم حتى
صرخت هناء بأعلى صوت قائلة:

- أرجوك يا أحمد تحرك لا تقف ساكنًا
هكذا، أرجوك.

- لا تقلقي يا هناء اصبري، ريتاج اتصلت
بالإسعاف وهم في طريقهم الآن يجب أن
نترك ريتاج تحاول إيقاف الدم من فضلك
اتركي أمل الآن.

تبكي هناء بحرقة تقول:

- لا أستطيع يا آية لقد وعدتها أن أكون
معها دائمًا، علمت أن ذلك سيحدث لماذا
وعدتها بوعده لم أستطع إيفاءه يا آية

دعيني أحتضنها فقط لن أفعل شيء آخر
سأبقيها بحضني كما كنت أفعل معها وهي
صغيرة جدًا، كنت أحميها دائمًا لكنني
أخطأت وظننت أن أمي أمانًا لنا جميعًا.

- لا تقولي هذا يا هناء قد تكون خالتي
أخطأت لكن الله عز وجل يغفر الذنوب
ووجب علينا أن نسامح أيضًا كي يغفر لنا.
- أنت لا تعلمين شيئًا يا آية، حقًا أنت طيبة
جدًا كما كان والدك رحمه الله، تعلمين
أنها من قتلته تلك المرأة التي تقولي عنها
خالتيك.

تسمرت آية لوهلة قائلة:

- لكنه قدره مجرد سبب فقط.

خرجت آية تجر أذيال الخزي والحزن على
أبيها، أخيها، وأمها أسندتها كنده حتى
أوصلتها إلى غرفتها محاولة مواساتها.

- آية حبيبتى صديقتى كنت دائماً تواسينى
حينما أحزن، ظللت معى دائماً لتجعلينى
ابتسم، من فضلك لا تبكى الآن، تلك المرأة
مريبة مخيفة لا أعلم حقاً كيف تكون
خالتك؟ كيف تؤذى ابنتها هكذا؟
ليسامحها الله على ما فعلت.

- يسامحها، بل ينتقم الله منها بسبب
فعلها.

* * *

هيام و اقفة في زهول تام تستمع

لصرخات أمها وطفلتها بالداخل ولازلت لا
تعلم ماذا تفعل، تلك المرأة مغبرة الثياب
التي تقف أمامها تقدمت منها على وجل
فقالت:

- من أنت يا سيدة؟ وماذا تريدين؟

التفتت لها المرأة فصعقت هيام مدوية
صرخة عالية جدًا، ارتعشت وهي تحدثها
قائلة:

- أنت على قيد الحياة يا سعدية، لكن
كيف ذلك؟ أين كنت؟

- لا أعلم أين كنت يا سيدتي لكن كان
المكان يشتعل لمجرد دخول رجل مشتعل
كان يحاول حمايتي من شيء لم أستطع

رؤيته حتى تلك اللحظة لقد أحضرني إلى
هنا ثم رحل.

أصبحت هيام في حيرة من أمرها لم تكن
تعلم ماذا تفعل فقامت بالاتصال على
"قاسم"، فأجابها ثم طلبت منه إرسال
الإسعاف لأن سعدية خادمتها عادت من
حيث لا تعلم، ظلت جالسه بجوار سعدية
على الباب حتى مجيء الإسعاف، طمأنت
هيام أمها وطلبت منها عدم فتح الباب
حتى يأتي الإسعاف.

* * *

حمل أحمد ابنة خالته أمل ذاهبًا بها إلى
سيارته لينقلها إلى أقرب مشفى بعدما

قامت ريتاج بوقف نزيف يدها وربطها
حتى يتم اسعافها في المشفى، وضعتها على
المقاعد الخلفية في السيارة، ركب ليقود
فوجد نجية قادمة لتذهب معه فمنعها
قائلًا:

- اذهبي من فضلك لا تطيلي الأمر لن
أخذك معي أبدًا بعدما سمعت من ابنتك
بالداخل.

ردت عليه:

- لكنها ابنتي الصغرى يا بني.

رد ساخرًا منها:

- لكن أنت من فعلت بها ذلك ثم لا تقولي

لي بني لست ابنك ولن أكون كذلك، لا
تنسي ذلك.

- لما تفعل ذلك معي ماذا فعلت لك يا
أحمد أنا خالتك.

رد متعجبًا:

- خالتي إذاً، من فضلك ليس لدي وقت
ادخلي من حيث أتيت.

دخلت نجية في حالة صدمة كبيرة لما
يعاملها الكل هكذا هل لأنها كانت تحلم
بالقصر والأموال، أم لفعلها ذلك بابنتها
الصغرى كانت تؤنب نفسها بصوت
خفيض جدًا:

- لم أطلب من معاون أن يجعل هذا بك يا

ابنتي، لكنه حدث و حاول إخراجك منك
 ولم يستطع بحجة أنه لن يبقى في جسدك
 دائماً، أعلم أنني أخطأت كثيراً لكني لا
 أستحق تلك المعاملة هم من أوصلوني
 لتلك الأمور، هم كانوا يستحقون المعاناة
 كما عانيت.

- لا أحد يستحق أن يعاني يا أمي، أنت من
 تسببت بكل ما حدث لا تلومين إلا نفسك
 الآن، وإن حدث شيء لأختي سأرفع قضية
 ضدك لتسجني ما تبقى من عمرك لن
 أتركك تعيشين بيدك المتلطخة بدماء كل
 من تسببت بموته.

صفعتها نجية صفعه قوية على وجهها

وقالت:

- اصمتي يا هناء وإلا قتلتك الآن بيدي
الملتطخة بالدماء كما تقولين اصمتي الآن
لا أستطيع التفكير.

- تريدين التفكير بشيء جديد، ترى هل
تتصلين بالشيخ معاون ليساعدك الآن يا
أمي هل يستطيع إنقاذ حياة ابنتك التي
يئست من حياتها وحاولت الانتحار.

جلست نجية على أقرب مقعد بالغرفة
تفكر ماذا تفعل فالشيخ معاون لا يجيب
عليها منذ مدة كيف تتصرف الآن ابنتها في
خطر، فجأة قامت وأمسكت بهاتفها
تحدث نفسها بصوت عال:

- سأستشير سعاد ماذا أفعل، قد تستطيع مساعدتي.

اتصلت بها عدة مرات ولم تجب ثم رد عليها قاسم يحاول معرفة من المتصل فالرقم ليس مسجل على الهاتف رد عليها سائلاً:

- السلام عليكم من أنت؟

ردت نجية:

- أريد التحدث إلى سعاد من فضلك.

حزن قاسم مخبراً إياها:

- أعتذر لن تستطيعي التحدث إليها.

- هل هي مشغولة بشيء؟ أنت ابنها أليس

كذلك!

- هي ليست مشغولة، لكنها توفيت منذ
عدة أيام.

اتسعت حدقتا عينيها سائلة إياه:

- كيف توفيت أمك يا بني؟ حدثتني منذ
أيام.

- توفيت في حادث يا خالة، أعتذر منك
لكن لدي عمل ولا أستطيع التحدث الآن.

- لحظة واحدة فقط أخبرني من أنت باسم
أم قاسم.

- معك قاسم يا خالة، ما اسمك؟

- أنا خالتك نجية صديقة سعاد الله
يرحمها، لكن كيف حال باسم، هل هو

بخير؟

تردد قاسم قبل أن يردف كلامه ثم أخبرها:

- هو في المشفى يا خالة نجية، إدع له أن

يشفيه الله، لكن لماذا تسألين عنه؟

- شفاه الله وعافاه يا بني، ليكون الله في

عونك، فقط أطمئن عليه يا بني.

أغلقت نجية الهاتف في ذهول تام تتمتم

بكلمات لم تفهم هناء معظمها لكنها فهمت

القليل أن صديقتها توفيت و ابنها تعرض

لحادث وهي تحدثت إليها قبل وفاتها

وطلبت منها شيء، شعرت هناء بالوهن

فكل من تعرفه أمها ويطلب منها شيء يقتل

ترى ما الرابط بين تلك الأمور هل هو

معاون؟

* * *

وصل أحمد إلى المشفى وطلب أحد من الطوارئ كي يساعدونه في نقل أمل لكنه لم يجد لانشغالهم بحالة أرى فانتظر حتى انتهوا وأخذ اثنين معه وأحضرت نقالة لكن المفاجأة التي لم يتوقعها أحمد حدثت و تفاجئ الجميع؛ وجد سيارته مفتوحة وأمل ليست بالداخل ظل يبحث عنها وطلب منهم ذلك لكنهم لم يصدقونه أنه كان معه أحد من الأصل، اتصل بأية وأخبرها بما حدث علم منها انها ليست بالبيت أيضاً:

- كيف يحدث ذلك؟ اين ذهبت تلك الفتاة
حياتها في خطر، لكن كيف تحركت لقد
كانت فاقدة للوعي تمامًا.

ظل أحمد يبحث في الأماكن المحيطة
بالمشفى لكنه لم يجدها بل عثر على
حذاءها في أحد الشوارع بجوار المشفى
فدخل ذاك الشارع، وجدها ملقاة على
الأرض بجوار أحد صناديق القمامة
الكبيرة حاول أن يساعدها على القيام
لكنها أخبرته أن يرحل و يتركها قبل أن
يعود إليها.

ذهل أحمد وقال:

- من الذي سيعود إليك مما تخافين يا

أمل أخبريني؟

- من ذاك القابع خلفك الآن.

وبكت بهيسترية طالبة منه أن يرحل فهو لا يريد أحد غيرها هي.

- لن أرحل يا أمل سأخذك معي الآن لقد وعدت أختك أنك ستكونين بخير.

- سيقتلك يا أحمد أنت رجل جيد من القلائل الذين رأيتهم، دائماً كانت هناء تقول عنك ذلك.

- لا تخافي يا أمل هيا قومي معي لا يوجد أحد هنا.

- لن تراه أبداً يا أحمد فقط أراه وحدي

حينما يأتي إلي ثم تروني مختلفة بعدها،
فقط أرحل.

أمسك أحمد يدها يحثها على النهوض معه
لكن فجأة سقطت على الأرض تصرخ
قائلة:

- أخبرتك أن ترحل لما أنت عنيد لهذا الحد
هل تود الموت كأملك أقصد خالتك نبيلة،
أو تموت كأخيك الصغير يا أحمد.

وقف أحمد في ذهول تام يحاول أن يفهم
ما يحدث كيف تحول شكلها لذاك القبح
فجأة إلى أن تذكر حديثه مع رفيق قبل أن
يأخذ زوجة أخيه من المشفى حين أخبره
أن هناك من يقوم بالسحر لعائلته وعليه

مساعدتهم حتى لا تتم أذيتهم من أقرب
الأشخاص إليهم، تذكر الآيات التي قال له
أن يقرأها حينما يرى شيئاً كهذا فبدأ
بترديدها مراراً وتكراراً حتى سقطت أمل
على الأرض عائدة لشكلها الطبيعي ثانية،
حملها ذاهباً بها إلى المشفى، ما إن دخل بها
وجد أمامه الضابط رامز يبحث عن رفيق،
قام بوضع أمل على النقالة التي
أحضروها وطلب منهم إسعافها بسرعة
فدخلوا بها إلى غرفة العمليات مهرولين
لأنها فقدت الكثير من الدم.

- مساء الخير يا سيد "رامز" كيف حالك؟
هل هناك شيء؟

- الحمد لله بخير يا سيد "أحمد" لكن
"رفيق" هنا و أتيت لأطمئن عليه، لأنه مهم
في التحقيقات التي نجرها في القضية.

- رفيق هنا لماذا؟ هل هو بخير؟

- لا أعلم، أنتظر الطبيب كي يخبرني بحالته
ثم أذهب لأراه.

- ماذا حدث له يا فندم؟

- لقد تعرض لحادث بالأمس يا "أحمد"،
هل أنتم جميعا بخير؟ أقصد عائلتك كان
رفيق أخبرني بأشياء لم أصدقها مسبقًا،
لكن الآن بعد أن رأيت بعضها صدقت.

- نحن بخير، لكن ابنة خالتي الصغرى

يحدث لها أشياء غريبة لا أعلم كنهها، حتى
خطيبتني قالت أن لديها انفصام في
الشخصية لكني غير مقتنع بذلك.

هزرا مزرأسه مرددًا:

- أشياء غريبة مثل ماذا؟

- مثل التحدث بصوت خشن وهي تعتبر
طفلة فلم تكمل السادسة عشر من
عمرها، التحرك بطريقة غريبة جدًا، حتى
أن وجهها يتغير لشكل قبيح جدًا.

ازدرد رامزريقه فأردف:

- إذا لنتظرفيق لنرى ماذا يقول في ذلك
الأمر؟

* * *

هنا تَؤنّب أمها بعد تلك المكالمة:

- هل تسببت بموت أحد آخريا أمي، أم أنت بريئة كعادتك.

- لم أفعل لهم شيء هي من فعلت بنفسها
حتمًا لأن معاون لا يجيب على الهاتف
كيف لي أن أفعل شيئًا لها ولإبنها إذا؟

- ألم تجعلي أمل تفعل نيابة عن معاون يا أمي؟

- لا والله لم أفعل يا هنا صدقيني.

- لم أعد أستطيع تصديقك يا أمي
سامحيني.

* * *

- يا آية لا تحزني كان دائماً محمود رحمه
الله يحذرني منهم لكني لم أكن أطيعه
لمعرفتي المسبقة بهناء فهي ليست كأمرها
أبدًا.

- أعلم أنها ليست كأمرها لكنك لا تعلمين أن
هناء من كانت تنقل جميع أخبارك لأمرها
وبدأ كل ذلك في الحدوث بعدما فعلت يا
كندة، نحن نعيش في غابة كبيرة يملؤها
الحقد والغل، لا أعلم لماذا فعلت ذلك؟
إن كان لأجل المال كانت تستطيع أن تطلب
من أمي فقد كانت تعطيها ما تشاء من مال
بدون أن تبرر ما سبب طلبها.

- أعتقد انها كانت تريد شيئاً غير المال، هي
 حقاً مخيفة بعض الشيء لم أتعامل معها
 كثيراً لكن ذلك ما بدا لي بعد ما يحدث منذ
 مجيئي إلى القصر، شعرت أنها تحب
 السلطة تأمر الكل وعليهم أن يطيعوا،
 ذلك ما رأيت في تلك الفترة.

- ليكن الله في عون هناء يا كندة هي حقاً
 تتحمل فوق طاقتها الكثير.

- كان الله في عونها يا آية لقد انفطر قلبي
 على حزنها الشديد على أمل إن شاء الله
 تعالى تكون بخير وتعود كما كانت.

* * *

قاسم يجلس شاردًا يفكر؛ من ذاك الرجل

الذي يراه في كل مشكلة تحدث له، ما
معنى كلامه بأنه سعيد لأن زوجته ستلحق
به قريبًا أهو ميت لكن كيف لي أن أراه،
دخل صديق عليه فألقى السلام لكن لم
يجب عليه قاسم فربت على كتفه بخفة
قائلًا:

- فيما يفكر صديقي الصدوق، هل تلك
الفتاة المزعجة مرة أخرى؟

- من تلك المزعجة التي تتحدث عنها يا
صديق، أنا أفكر بشيء آخر أراه منذ ليلة
وفاة أمي واكتشفت أنه ميت.

ارتعب صديق ثم قال:

- هل ذلك الرجل الذي أخبرني عنه يوم

الحادث؟

رد قاسم:

- نعم، هو ذلك الرجل لقد حدثني أمس
وجدته يجلس بدا حزينًا لكنه قال إنه
سعيد لأن زوجته ستلحق به قريبًا.

ابتلع صديق ريقه بصعوبة وقال:

- هل تقول الصدق يا قاسم؟ هذا حدث
حقًا.

- هل تراني أكذب الآن؟ ثم انتظر لما تظن
أني أفكر في تلك المزعجة؟

- لا شيء فقط لم أجدك مسبقًا تعتذر

لفتاة وهكذا ظننت أنك قد تكون معجب

بها، قد تكون ليس إلا.

- هل تظن ذلك أثناء حدوث كل تلك

المشكلات فوق رأسي، أجننت يا صديق.

ولكمه لكمة في كتفه الأيسر، ضحك

صديق عليه فهرب من أمامه مسرعًا.

- أعلم أنك معجب بها يا فتى لا يخيب ظني

أبدًا صدقني.

وهرول خارجًا.

* * *

جاء الطبيب المسؤول عن حالة رفيق إلى

رامز متوجهًا إليه بالحديث:

- سيد رامز تفضل إن السيد رفيق في

انتظارك يمكنه الخروج معك اليوم فهو
بخير الحمد لله.

تنفس رامز الصعداء قائلاً:

- الحمد لله على سلامته، عن إذنك يا
سيد "أحمد".

- تفضل، لكن من فضلك أخبره سلامي.

ذهب رامز كي يرى رفيق، وذهب أحمد
ليطمئن على أمل إن كانت بخير فافترق
الاثنان في طريقين مختلفين.

وصل أحمد فسأل الطبيب عنها:

- كيف هي الآن من فضلك؟

رد عليه:

- هي بخير لكن درجة حرارة جسدها لازالت مرتفعة أعطيناها دواء منوم لتنام لأن جسدها متعب يبدو أنها لم تنم جيدًا بسبب الأرق، هي تعاني من اكتئاب حاد هذا ما قاله الطبيب النفسي، الآن هي نائمة نتمنى أن تنخفض حرارتها بعد الخافض الذي تم حقنها به، و أتمنى ألا يحدث شيء للجنين.

تعجب أحمد:

- عن أي جنين تتحدث أيها الطبيب.

- عفوًا نسيت إخبارك أن زوجتك حامل في أول الشهر الثالث يبدو أنها لم تخبرك من قبل، عمومًا بارك الله في حملها، عن إذتك.

جلس أحمد على المقعد مفكرًا كيف تكون
حامل متى حدث ذلك، ثم تحدث بصوت
خفيض:

- سأنتقم منك يا نجية حتمًا، لا بد أنها
حاولت الانتحار لذلك السبب.

* * *

وصلت الإسعاف إلى منزل والدة هيام
فوجدوها تجلس بالخارج ومعها سعدية
فأخذوها إلى سيارة الإسعاف ليطمئنوا
عليها لأنها بدت بخير فقاموا بفحصها
واطمأنوا عليها وأخبروا هيام بأنها بخير،
تنفست هيام الصعداء قائلة:

- الحمد لله كنت قلقة بعض الشيء لأنها

اختفت منذ مدة ليست قليلة أثناء احتراق منزلنا لكن الحمد لله، شكرًا لكم جدًا، اشكروا لي الطبيب قاسم لأنه أرسلكم بسرعة.

رد عليها احدهم قائلاً:

- لكن لم يرسلنا أحد.

ونظر إليها بغرابة كانت عيناه حمراوين كالجمر، ارتعبت هيام فصرخت لكن تلك المرة لم تصدر صوتًا لم يسمعها أحد حاولت الفرار لكنها لم تستطع فاستسلمت استسلام تام، نظرت خلفها فلم تجد سعدية مكانها، اختفت تمامًا ثم اختفت هيام وتلك السيارة التي كانت

قابعة تحت المنزل.

* * *

سعد متحدثًا:

- اليوم يوم سعدك يا فرج سأقتلك أو
أسلمك بنفسي للسيد رامز ليفعل بك ما
يشاء، أخبرني ما شعورك يا فرج.

ابتسم له فرج مجيبًا عليه:

- أخرجني فقط من هنا، وأعدك سأفعل
ما تشاء.

- ليس فقط ما أشاء ستعدم على كل
أفعالك الحقيرة يا فرج، خصوصًا على ما
فعلته بتلك المسكينة أمل، لن أدعك

تؤدي أحد آخر بعد الآن.

- ماذا فعلت لأمل؟ ذلك كان بطلب أمها فقط.

- ليس مقصدي طلب أمها يا فرج تعلم عما أتحدث جيدًا.

- ماذا حدث أنا لم أفعل شيء آخر لها.

- بل فعلت يا فرج تلك الفتاة التي لا تتعدى السادسة عشر عامًا حاولت الانتحار اليوم لاكتشافها أنها حامل، هل تظن أنني لم أشك بك، لتتعفن في الجحيم يا فاجر.

* * *

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حبيبتي من فضلك أريد زيارة الطبيب
باسم.

ردت الموظفة على المرأة:

- تحت أمرك لكن يجب أن أخبر الطبيب
قاسم أولاً لأنه لا يسمح لأحد برؤيته إلا
لضرورة.

- لا بأس أخبريه أنني أريد رؤيته من فضلك،
أين يمكنني الإنتظار؟

- هناك في مقاعد الإستقبال يمكنك
الانتظار حتى أخبره، لكن ما اسمك؟

- أخبريه أن منار تريد رؤية باسم فقط هو
يعرفني؟

ذهبت الموظفة إلى قاسم فأخبرته بما
 قالت لها منار فذهب مسرعًا إليها
 مستبشراً خيراً، ما إن وصل إليها مبتسماً
 وجد معها صبي صغير فجثى على ركبتيه
 بعد أن ألقى السلام محدثاً الصغير:

- ما اسمك يا صديقي الصغير؟

رد الصبي:

- اسمي معاذ باسم.

فرح قاسم وحمد الله على ذلك ثم سأل
 الصبي:

- هل تعلم من أكون يا معاذ؟

- لا أعلم من أنت؟.

- أنا أكون عمك وسأخذك الآن إلى والدك
باسم.

نظر الصغير إلى أمه خائفاً فقالت:

- لا بأس يا معاذ هذا عمك قاسم،
سيأخذنا إلى والدك لتراه لقد عاد من
سفره منذ فترة كما أخبرتك بالأمس.

* * *

سمع أحمد صوت صراخ أمل وهو جالس
أمام الغرفة التي بداخلها تقول:
- اتركني اتركني..

وتطلب النجدة لكن لم يستطع أحد
إنقاذها فقد قتلت نفسها تلك المرة أمام

الجميع، دخل أحمد الغرفة فوجد رأسها على صدرها بطريقة غريبة استعاذ بصوت عال ثم خرج باكياً، وجده رفيق يبكي فقال:

- ماذا حدث يا أحمد؟

قال:

- حمدًا لله على سلامتك يا رفيق، لقد

قتلت أمل نفسها منذ دقائق.

- من هي أمل يا أحمد؟

- ابنة خالتي الصغرى، في تلك الغرفة انظر

هناك.

دخل رفيق الغرفة فإذا هي فارغة لا أحد

ففيها لكن هناك آثار دماء على السرير، علم
أن هناك شيء ما حدث هنا وشعر بذلك
فتوجه لأحمد محدثاً إياه:

- الغرفة فارغة يا أحمد ليس هناك شيء
أو أحد ميت.

شخص أحمد عينيه وقال:

- لكني رأيتها الآن والله رأيتها.

- أعلم، اطمئن سنحاول فهم ما يحدث لا
تقلق أنا معكم.

* * *

- ماذا تريد مني لماذا أخذتني من المشفى
أرجوك دعني أذهب؟

- أنت ملكي فقط يا أمل ستظلمين معي ذلك
أمر لا مفر منه.

- لكني لا أريد ذلك.

- إذا سأقتلك يا أمل!.

- اقتلني أنا لا أريدك ولا أريد شيء اقتلني
كي أرتاح.

سقطت أمل مغشياً عليها فلما استيقظت
وجدت نفسها في مكان مظلم مخيف
يحيط بها العديد من الأشخاص غربي
الهيئة أشكالهم قبيحة فصرخت لكن
أحدهم أخبرها أن تصمت وإلا غضب
عليها سيدهم وعذبها عذاباً أليماً، ظلت
أمل تبكي لكن بلا جدوى لن ينقذها أحد.

* * *

- كيف هربت يا رفيق، لقد أعطاهما
الطبيب منوم ورأيتهما بعيني مقتولة هنا.

- لم أقل أنها هربت يا أحمد، لقد رأيت
مثل ما رأيت أنت منذ فترة طويلة لكن لم
تكن الفتاة هاربة لقد اختطفت.

- من يجرؤ على ذلك، ولماذا؟

- من فضلك يا أحمد أخبرني ما يحدث مع
الفتاة منذ البداية.

طلب أحمد من الأمن أن يبحثوا في
كاميرات المراقبة كي يعلم أين اتجهت، ثم
جلس مع رفيق ليقص عليه ما حدث منذ
البداية، أخبره رفيق:

- أنها ليست مريضة نفسية، إنها ملبوسة
يا أحمد، هل يمكنني مقابلة أمها لمعرفة ما
حدث كله بالتفصيل؟.

- نعم سأخذك لتسألها عما تريد لكن هل
يمكن أن تعود أمل؟

- لا أعلم لكن أتمنى أن تعود إليكم بأسرع
وقت.

ذهب أحمد ورفيق إلى خارج المشفى بعدما
اتفق مع رامز أنه سيأتي إليه بعدما يطمئن
عليهم، فطلب منه رامز ألا يتأخر عليه
فهناك الكثير من الغموض في تلك
القضية ولا يستطيع فهم شيء مما يحدث
بدونه، فأكد رفيق عليه أنه سيأتي بإذن

الله، أثناء خروجهم أوقفهم الأمن ليخبر
أحمد أن الفتاة خرجت وحدها من نافذة
الغرفة، فذهب معهم ليرى ذلك، كان
يصعب عليهم تصديق ما يرونه في
الكاميرات كيف نزلت من الدور الرابع
على قدميها وعينيها مغمضتين ذلك ليس
حقيقة.

* * *

- هل سترتاحين يا أمي إن ماتت أمل؟
ستكفين عن أذى الناس حينها؟
وجهت هناء كلامها الموجه لأمها منتحبة
على أختها الصغرى.
- يا ابنتي لم أكن لأوذيكم، لم أقصد أن

يحدث ذلك أقسم لك.

- لماذا لم تنقذها إذا؟ ألم أخبرك أن معاون
ذاك نظراته مريبة لم أرتح له يومًا لماذا
أخذتها معك؟

- يا ابنتي كان هي أن تتزوجوا أبناء
خالتكم فقط، ثم حدث كل شيء موالياً.

- ماذا ستخبرين أخي سليم حين عودته من
سفره حينما يسأل عن أمل؟

- لا أعلم ماذا أفعل إن حدث لها شيء لن
أسامح نفسي أبدًا.

- لا تلومي إلا نفسك فيما حدث لها يا أمي.
نزلت كنده ودقت الباب فأذنت لها هناء

بالدخول فسألت:

- كيف حالكم الآن؟ إن شاء الله ستكون
أمل بخير لا تقلقوا.

نظرت لها نجية بغضب واضح مردفة:

- أنت سبب ما نحن فيه الآن كل ذلك من
تحت رأسك أنت لم يكذب معاون أبدًا أنت
لست سهلة.

- اصمتي يا أمي من فضلك، أخبرتك ألا
تلومي إلا نفسك فاصمتي الآن.

قالتها هناء بحزم شديد.

- لا تقولي هذا يا هناء فهي أمك ربما لم
تقصد ذلك، ثم إنني لست غاضبة منها

فأنتم أعصابكم تالفة بسبب ما حدث
لأمل!.

- نحن بخير يا كنده اذهبي إلى الخارج قبل
أن تفعل تلك المشؤومة لك شيئاً فهي من
كانت تأمر أمل بكل شيء تفعله.

شخصت كنده عينيها سائلة:

- هل كانت تعلم ماذا يحدث لأختك؟

ردت نجية ببجاجة:

- نعم كنت أعلم كل شيء، اذهبي كي لا
أقوم بقتلك الآن.

دخلت ريتاج قائلة:

- لا تتجرأين وتتجاوزين حدودك يا نجية

أنا هنا مكان أحمد حتى يعود خرافاتك
تلك لن تنطلي علي سمعتي.

وأخذت كنده من ذراعها إلى خارج الغرفة.

سألت كنده:

- لماذا سحبتني هكذا كنت أطمئن على
هنا؟

ردت ريتاج بغرابة:

- ألم تلاحظي نظرات أمها لك؟ من الممكن
أن تقتلك حتمًا ستفعل إن علمت
بحملك.

- تعلمين أنني حامل!، كيف ذلك طلبت
منهم ألا يخبروا أحد؟

- لكني خطيبة أحمد هو لا يخفي عني شيء
أبدًا، لا تقلقي لن أخبر أحد.
خافت كنده كثيرًا ثم قالت:

- لست قلقة على نفسي بل عليكم جميعًا.
نزلت ملك من غرفتها محاولة تهدئة الجو
بالضحك قائلة وهي مضيقة عينها
متحدثة بغلظة:

- أنتم تتحدثون عني لذلك صوتكم
خفيض.

ابتسمت لها ريتاچ مردفة:

- لماذا نتحدث عنك؟ لا لم نفعّل ثم لست
أنت محور الحديث هنا!.

- كيف تجرؤين على التحدث معي هكذا يا
ريتاچ ستصيبك اللعنة جراء أفعالك
الشنعاء تلك.

ابتسمت كنده وريتاچ على كلامها
فابتسمت هي الأخرى قائلة:

- كنت أعلم أني سأضحككم بكلمة
واحدة، ثم يا ريتاچ اسألي خطيبك من
محور الحديث في الأرجاء سيخبرك حتمًا
أنني ذاك المحور.

- إذا يا ملك أنت قادمة لتقومي بالفكاهة
فقط.

سألها ريتاچ رافعة حاجبها بضيق.
ردت ملك:

- طبعا تعلمين أن لدي قرون استشعار
فعلت أنكم تشعرون بالأسى تجاه أمل
لذلك قررت إسعادكم وتنازلت وأتيت
إليكم.

- حقًا؟ خيرًا فعلت يا ملكة القصر، لكن
هل ذهبت لآية لأنها كانت تبكي؟

- نعم ذهبت، لكنها لم تضحك من قلبها،
ابتسمت لي وأخبرتني أن أخرج.

ابتسمت ريتاچ قائلة:

- ليس كل وقت مناسب للمزاح يا ملك
حتى وإن كان نيتك إسعاد الآخرين، أحياناً
تثقلنا الهموم لدرجة ألا نتحمل أحد.

نظرت كنده إلى ريتاچ اثناء حديثها ثم

قالت:

- لقد ذكرتني بمحمود رحمه الله كان دومًا
يخبرني بذلك إن حاولت جعله يبتسم وهو
مهموم.

دمعت عيني ملك ثم قالت:

- منذ أن تزوجتم كان يحاول أن ينال رضا
أمي عنك، لا أعلم لماذا رفضتك حتى الآن
يا كنده لكني أسألك مسامحتها فقط من
فضلك.

- لا تقلقي يا ملك لم أعتد ألا أسامح، لقد
سامحتها حقًا من كل قلبي، يكفي أنها
دفنت ابنها وعاشت حزينه عليه فترة.

* * *

هيام تحاول الفرار ممن اختطفوها لكنها لم تستطع إلا أن تضغط على زر الهاتف لتتصل برامز فتح المكالمة فاستمع لصراخها ولم يصدر صوتًا ليحاول أن يفهم شيء لكن الصوت الصادر كان مبهمة لم يستطع التوضيح فقام بتسجيل المكالمة حتى انقطع الاتصال، خرج رامز مسرعًا، ركب سيارته ذاهبًا إلى منزل والدة هيام، ما إن وصل نظر إلى المكان جيدًا فوجد حقيبتها ملقاة على الأرض تلفت جيدًا في الأرجاء وجد كاميرات مراقبة على واجهة المباني المجاورة، صعد للإطمئنان على من في المنزل، دق الباب فنظرت أم

هنا ولم تستطع التعرف عليه ظلت
تسأله حتى تيقنت أنه ضابط في الشرطة
ففتحت الباب مسرعة فسألها ماذا حدث
فأخبرته بكل شيء فانتفض قائلاً:

- هل رأيت سعدية بعينيك سيدتي؟
ردت عليه:

- نعم رأيتها لذلك لم أفتح الباب خفت
على أحفادي لعلمي أنكم لم تجدوا جثتها
في الحريق الذي شب في منزل ابنتي.
حاول رامز ربط الأمور ببعضها لكنه
تشتت فاتصل على رفيق ليخبره بما حدث
كي يفهم شيئاً، لكن رفيق لم يجب على
اتصاله لإنشغاله مع أحمد.

* * *

دخلت منار ومعاذ مع قاسم إلى باسم
فأرأته جالسًا بجوار النافذة يستمع إلى
القرآن فقالت:

- السلام عليكم يا باسم كيف حالك؟
اندهش لسماع صوتها الذي لم ينسه
يومًا، ابتسم قائلاً:

- هل أنت هنا أم أتخيل صوتك الآن؟
- لا، أنا هنا ومعى شيء منك.

- أولًا أهلا بك، ثانيًا لماذا أنت صامت يا
قاسم إنى أشتم رائحة عطرك؟

- أنا أقوم باللعب مع ابن أخى ونحن

صامتان.

ارتفع صوت تنفس باسم كأنه لا يصدق ما
يسمع ثم قال:

- هل قلت ابن أخيك؟

- نعم معي معاذ ابن أخي، ابنك انت يا
باسم.

- أرني إياه دعني أتحسس وجهه تعال إلي يا
معاذ.

ذهب الولد إليه فتحسس باسم وجهه
الصغير قائلاً:

- تبدو وسيماً يا معاذ هل تعرف من أكون؟

- نعم أعرف أنت أبي لدي صورتك أراها

عندما أشتاق إليك.

التفت باسم ناحية منار قائلاً:

- لديه صورة لماذا لم تخبريني عنه؟

- كنت خائفة عليه من والدتك، فلما

توفيت وعلمت بأنك في المشفى أتيت.

- لحظة لحظة من توفيت؟ أمي أنا؟ متى؟

قاسم أجب أين امي يا أخي أخبرني هيا؟

تلعثم قاسم قائلاً:

- يوم الحادث الذي تعرضت له يا باسم

كان اليوم الثاني لوفاتها ولما استيقظت

من غيبوبتك بعد خمسة أيام كنت فاقداً

للذاكرة، فخفت إخبارك بذلك.

- أخفيت عني موت أمي، تركتني في الظلام
وحددي لا أعلم ما بها يا قاسم كيف
استطعت فعل ذلك؟

- آسف يا أخي، سل رفيق ستعلم منه ما
حدث أو ربما تتذكر وحدك إن شاء الله،
الآن عليك أن تسعد بوجود ابنك الذي لم
تكن تعلم بوجوده أستأذنكم سأذهب
لعملي.

خرج قاسم تاركًا وراءه باب الغرفة
مفتوحًا وبدأ باسم يتحدث مع منارومعاذ
ليعلم كيف حالهم ولماذا فعلت
ذلك به.

* * *

وصل أحمد ورفيق إلى المنزل فدخلا من
 البوابة الرئيسية للقصر الكبير ما إن
 وصلا إلى الباب سمعا صوت بكاء يشبه
 بكاء طفل صغير في الحديقة لكنه لم يكن
 طفلاً أبداً كان شيء آخر مرعب جداً بدت
 كأنها امرأة حامل تخرج شيئاً من بطنها
 وقف رفيق يقرأ القرآن فاخفى ذاك
 الشيء من أمامهم، لما رحل دخلا إلى
 القصر ثم نادى أحمد على نجية وهناء
 وأخبرهم بما حدث مع أمل كله وأنها كانت
 حامل ثم اختفت تماماً، هنا صرخت هناء
 وظلت تنتحب ممسكة بيدها رقبة أمها
 تردد:

- سأقتلك إن لم تظهر أختي يا نجية لن أرحمك.

حاول أحمد جعلها تترك أمها لكنها كانت متعلقة في عنقها بشدة بدأت نجية تستسلم للإختناق تخرج سائلاً يشبه المياه من فمها، فضرب أحمد هاء على وجهها فتركها بسرعة.

- هل ستدخلين السجن في تلك؟ أجننت يا هناء؟ إنها لا تستحق أن يضيع مستقبلك بسببها.

ردت هناء باكية:

- أنت محق لكنها ضيعت أختي يا أحمد كيف ستعود أختي إلي الآن؟

توجه رفيق إليها بالحديث:

- يجب أن نفهم ما حدث لعله يفيدنا
ونستطيع إعادتها.

- هيا قومي يا نجية أخبرينا بما كان يحدث
مع ابنتك.

أمرها أحمد بحزم شديد ثم أردف:

- هل يعلم سليم بما يحدث؟

ردت هناء عليه:

- لا يعلم سليم شيء هو مسافر منذ مدة.

بدأت هناء بقص كل ما كان يحدث لأمل

أثناء نومها معها في نفس الغرفة ففهم أنها

متلبسة بجان، فسألها:

- هل ظهر أي دماء أو شيء غريب عليها،
فأخبرته أن ذلك حدث منذ دخولهم
القصر هنا بدأت تراها تتحرك ليلاً كثيراً
وتنام طيلة النهار وإن استيقظت تكون
عينها متلونة بلون الدم وأوقات كان
يوجد عليها قطرات دماء.

- من فضلك يا سيدة نجية أخبرينا ما كان
يحدث عند ذاك الدجال الذي ذهبت
عنده بالظبط؟

ردت بحماقة:

- أنا لا أذهب لدجال إنه شيخ كبير، ربما
أخطأ لكنه فعل خير كثير لبعض الناس.

أحمد بغضب:

- هل تدافعين عنه؟ ابنتك حامل هل كان
ذاك الحقير يجلس معها بدونك؟ أخبريني
دمائي تغلي يا نجية منذ علمي بحملها.

- لا كنت معها دومًا يا بني، لكن أوقات
كنت أستيقظ من النوم ليلاً ولا أجدها
كانت تعود بعد طلوع الشمس.

حزن رفيق لما يسمع من تلك الأم الجاهلة،
كيف استطاعت فعل ذلك بابنتها
الصغرى، لماذا تفعل؟ هل لأجل المال
والسلطة؟ لقد حكمت على ابنتها بالموت
وهي على قيد الحياة كيف لأم أن تكون
قاسية القلب هكذا؟

خرج رفيق من الغرفة فاتبعه أحمد سائلًا:

- هل تستطيع مساعدتها؟ أقصد أمل.
 - لا أعلم، لكن يبدو أن الجن من اختطفها
 فما رأيناه في كاميرا المراقبة يجعلني أتيقن
 من ذلك وكلام أمها أيضًا.

- ماذا ستفعل إذا كيف ستعيدها؟
 سأله أحمد متخوفًا.

- لا أعلم صدقًا يا أحمد، لكنني سأحاول أن
 أساعد بإذن الله، لكن ما رأيناه سويًا في
 الحديقة يدل على وجود سحر هنا في
 منزلكم يا أحمد، سحرقوي جدا.

- ما العمل كيف ستحل ذلك السحر؟
 - لا تقلق يا أحمد هذا يسير بإذن الله لكن

ما يحيرني أين قد نجد أمل؟ إجابة كل ذلك
عند نجية ليس أحد آخر.

- أعلم يا رفيق هي رأس الحية التي تفعل
الفعلة وتتصنع البراءة، لينتقم الله منها.

- حتمًا سيحدث لها شيء إن تم حل ذلك
السحر الذي في منزلكم لأن ذلك النوع من
السحر يتطلب أشياء معينة ومن يقوم به
يعلم أنه ستتم أذيته إن تم فك السحر فإن
كان لها علاقة بالأمر سنعلم ذلك إن شاء
الله.

- ماذا سيحدث الآن يا رفيق؟ هل سنأخذ
احتياط من أي شيء؟

رد عليه رفيق:

- نعم سنحصن المنزل جيدًا ومن فيه
جميعًا كي لا يحدث شيء آخر والباقي
سأفعله أنا بإذن الله.

- جزاك الله خيرًا يا رفيق، حفظك الله من
كل سوء.

- وإياكم يا أحمد، أتعلم؟ مسبقًا حدث لي
مثل ذلك منذ أكثر من خمس سنوات
قتلت زوجتي نفسها بعد أن قتلت ابنتنا،
كان ذلك بفعل الجن منذ ذلك الوقت
أحاول مساعدة كل من يتسلط عليه جان.
اغرورقت عيناه بالدموع أثناء تحدثه
عنهم.

صعق أحمد لما يسمع فسأله:

- هل يمكن أن يحدث ذلك بسببهم؟
رحمهم الله رحمة واسعة.

- نعم، هم يجعلوننا نقتل أنفسنا أو
يتلبسوا بشخص يجعلونه يقتلنا لكنهم لا
يستطيعون قتلنا بأنفسهم هم ضعفاء
أمام البشر عمومًا، لا يدخلون إلا جسد
شخص ضعيف الإيمان.

- فهمت ما ترمي إليه يا رفيق، لكن كيف
نعلم قوة الإيمان من ضعفها؟

- المهم في ذلك أن تكون على يقين

بأن لن يستطيع أن يضرك أحد إلا بإذن
الله تعالى، ثم المحافظة على الأذكار
والصلاة على وقتها كل ذلك يجعلك

محفوظًا منهم بإذن الله.

- نعم، اللهم ارزقنا قوة الإيمان واحفظنا
من السحر والسحرة.

أمن رفيق على دعاء أحمد قائلًا:

- سأبدأ بتحسين المنزل الآن وأنت اجعل
كل من في المنزل من نساء يرقى نفسه
بالرقية الشرعية.

- حسنًا يا رفيق سأجعلهم يفعلون ما قلت
سأذهب لإخبارهم عن إذتك.

دخل أحمد يبحث عن البنات فلم يجدهم
في الدور الأول صعد ل يبحث عنهم وجد
الغرف كلها فارغة وسمع صوت نجية
قريب من غرفة آية فهربول مسرعًا،

وجدها تحمل سكينًا في يدها تريد قتل
 كنده لأنها المتسببة في كل ما يحدث وكانت
 كنده بين يديها تضع على رقبتها السكين،
 أشار للبقية بعدم الحديث كي لا تفهم
 نجية أنه خلفها، كانت كنده تبكي خائفة
 لم تكن تتحرك، كانت هناء على مقربة من
 أمها تأمرها بترك كنده كي لا تتورط بشيء
 آخر لكنها أبت، بدأت الفتيات يشتون
 انتباه نجية كي يستطيع أحمد إنقاذ كنده
 منها وقد حانت اللحظة أمسك أحمد يد
 نجية التي تحمل بها السكينة فأسقط
 السكين أرضًا جعلها تترك كنده فهرولت
 كنده إلى جانب الفتيات، احتضنتها آية

وملك محاولتين تهدئتها، أخرج أحمد نجية
من الغرفة قائلاً لها:

- إن حدث لها مكروه سأقتلك بيدي تلك
يا نجية لن تؤذي أحد منهم بعد الآن
وستغادرين القصر اليوم، الآن تذهبين
تجمعين أغراضك اللعينة من المنزل ولن
تعودي هنا مرة أخرى أسمعكِ ما قلت الآن
لن تعودي، إن أذيتي أحد منهم لن أرحمك
هيا اغربي عن وجهي.

كانت ريتاج تنصت إلى كلامه مندهشة
تسأل نفسها لما يخاف عليها هكذا ألم أعد
في قلبه هل سيتركني لأجلها، أعلم أنني لا
أتغير كما يريد لكنه يحبني ولن يتركني أعلم

ذلك من أعماق قلبي، قالت محدثه
نفسها:

- هل جننت أنا أتحدث وأجيب على نفسي
داخل عقلي، الفتاة لا تفكر فيه أصلا
كيف أظن ذلك لن أفكر في ذاك الأمر
ثانية.

* * *

لازالت أمل تصرخ لا تعلم أين هي خائفة
مما يحدث حولها أصوات مخيفة لكن بدا
هناك صوت قطار بجوار ذلك المنزل التي
تجلس فيه مكتوفة الأيدي فجأة دخل
إليها قبيح الوجه قائلاً:

- كيف حالك اليوم هل ستصرخين حينما

انزع الرباط عن فمك أيضًا كما تصرخين
الآن بصوت خافت.

أشارت برأسها أنها لن تصرخ فبدأ بفك
الرباط عن فمها فسألته:

- ماذا تريد مني أنا لم أفعل شيئًا لما
اختطفتني؟

- لم أختطفك، أنت لي وهم يريدون أن
يبعدوك عني فأخذتك إلى جوارى فقط،
ولا تقلقي ستلدي في أفضل مشفى وتقومي
بتربية طفلك جيدًا.

- أخبرني كيف أصبحت حامل في طفل؟

- كان معاون يقدم لكم مشروبًا به مخدر
فتنامون ويحدث كل شيء.

- هل كانت أمي تعلم بكل ما يحدث أم لا؟
- أمك كانت لتفعل كل ما يريد معاون من أجل حصولها على المال، تعلمين ذلك.
- إذا كنت تريدني أن أبقى هنا معك، لي عندك طلب أخير.
- تأمرين يا أمل ماذا تريدن مني؟
- أريدك أن تقتل أمي أو تأخذني كي أقتلها بنفسني.
- هذا ما تريدن؟ الأمر سهل لا يحتاج لوجودك سأجعلها تقتل نفسها بيديها.
- لكنني أريد قتلها بيدي أرجوك ذاك آخر طلب لي ولن أفعل شيء يضايقك ثانية

أعدك.

- لن تحاولي قتل نفسك يا أمل فهمتي.

- نعم لن أحاول أعدك بذلك صدقني،

أريد الانتقام منها ورؤية أختي للمرة الاخيرة

من فضلك وبعدها سأظل هنا كما تشاء.

- إن عصيتني يا أمل لن أرحمك فهمتي،

سأريك غضبي حينها كيف يكون.

سمعت صوت صراخ بالخارج فسألته:

- من يصرخ هكذا هل هناك امرأة هنا

غيري؟.

- نعم تلك زوجة وكيل النيابة الذي أحرقنا

منزله سوياً، تذكرين.

- لا أعلم شيئًا حقًا لكن لماذا هي هنا؟
 - الضابط الجديد يحاول الوصول
 للحقيقة فأخذناها كي نجعله يبتعد قليلًا
 ونعقد له الأمور.

- خذني لأقتل أمي من فضلك، هيا الآن.
 - أتريدن قتلها في القصر؟ لأنها سترحل
 رأيها توضع حقيبتها، ابن خالتك طردها
 بعد اختفائك، ذاك الرجل القوي يبدو
 أنني لن أستطيع التغلب عليه طالما مهتم
 بما يحصنه مني.

- خذني لأقتلها هناك.
 ظلت تفكر ما الذي يفعله أحمد هو لا يقدر
 عليه، يا ربي أنا لا أتذكر شيء من القرآن،

ذكرني يارب لأخرج من هنا، أثناء خروجها
 رأَت هيام مكتوفة الأيدي مغلقة العينين
 وكذلك يوجد رباط على فمها كي لا
 تتحدث، طلبت من قبيح الوجة إخراجها
 من هنا وجعلها تعود لأهلها لكنه رفض،
 ثم تلبس بأمل ليخرج بجسدها إلى خارج
 ذلك المنزل المهجور حينما تلبس بجسدها
 ذكرت أمل الله في نفسها وطلبت من الله أن
 يعينها فقامت بإخراج هيام من تلك
 الغرفة المظلمة لكن هيام زادت خوفاً
 عندما رأتها بعينين سوداوين وشعر أسود
 يتطاير حولها بدأت هيام تقرأ القرآن
 فأخبرتها أن تصمت وتخرج في هدوء خلفها

إن أرادت النجاة ففعلت خرجتا سوياً من
 المنزل المهجور، عادت هيام إلى منزل أمها
 مرتعبة بشدة دخلت مباشرة لغرفتها
 وقامت بتشغيل القرآن الكريم وتدثرت
 بغطائها وغطت في نوم عميق، أما أمل
 ذهبت إلى القصر، وما إن وصلت حتى
 دخلت غرفة نجية من النافذة المفتوحة
 على مصرعيها رأت أمها ترتب حقيبتها
 لترحل من القصر فسألتها:

- إلى أين يا نجية؟ هل تهربين مني الآن يا
 أمي؟

ابتسمت نجية قائلة:

- كنت أعلم أنك ستأتين إلي هيا خذي حق

أمك من أحمد ذاك، أهانني كثيرًا.

- حسنًا سأنتقم لك منهم جميعًا إن شئت،

أين هم الآن؟

- هم بالأعلى يا أمل هيا لنصعد إليهم سويًا

كي تعلموا قدرتنا على أذيتهم دون أن

يفعلوا لنا شيء.

بدأت نجية بصعود السلم لكن أمل لم

تجعلها تكمل رفعها للأعلى وأسقطتها

أرضًا أمام الغرفة التي يجتمعون بها،

فكانت السقطة قوية جعلتهم يخرجون

من الغرفة جميعًا ماعدا ملك وكندة

أمرهم أحمد بالبقاء بالداخل، لما خرجوا

وجدوا أمل واقفة ونجية على الأرض

فرحت هناء لوجود أختها أمامها حاولت
الاقتراب، منعها أحمد من ذلك.

قالت لهم أمل:

- اليوم ستشهدون نهاية نجية التي فعلت
بكم كل تلك الأشياء فلا تخافوا على
أنفسكم مني ان أفعل لكم شيئًا، لكني
سأخذها أو أقتلها أمامكم هنا.

سألها أحمد:

- هل أنت أمل؟

ردت عليه بسخرية:

- هل تظنني شيء آخر يا أحمد، لم أستطع
أن أؤذيك يومًا أنت قوي جدًا.

- ولن تستطيعي فعل أي شيء لأحد ما
دمت أنا هنا.

- أخبر رفيق أني هنا هيا وقوفه للتحصين
من الخارج لن يفيد لأنني بالداخل.

ورفعت حاجبها كي يغضب أحمد،
وأردفت:

- نجية لي سأريحكم منها اليوم كما سأفعل
بمعاون يومًا ما قريبًا.

- لن تجرؤ على فعل شيء بها.

بدا أحمد حازمًا في حديثه لكنه يعلم أن
نجية لا تفرق معه.

- لماذا لا تحاول مساعدتها إذا يا أحمد،

أعلم يقينًا كرهك لتلك المرأة اللعينة التي
 ساعدت على قتل أبيك، أخيك، وأمك بل
 وحاولت اليوم قتل زوجة أخيك امامكم
 هل تفرق معكم؟ لا أعتقد ذلك.

أخذت السكين الموجود على الأرض يبدو
 أنهم نسوا أن يخرجوه للمطبخ بعد إنقاذ
 كنده بدأت أمل بطعن نجية في جسدها
 أمامهم طعنات متتالية في أماكن غير
 مميتة كي تتعذب ظلت هكذا تفعل بها
 وهم يخفون وجوههم كانت آية تنتحب هي
 وهناء لكن بدا أحمد غير مباليًا بما يحدث
 لها كانت تنظر إليه ريتاج بغرابة كان دومًا
 يساعد من يحتاج المساعدة لماذا لا

يساعدها، حاولت التقدم لمساعدتها
فحذرتها أمل من الاقتراب لكنها أبت
فقدفتها بعيدًا بإشارة من يديها، وسقطت
أرضًا فذهبوا جميعًا كي يرونها بعد
وقوعها ساعدتها هناء وآية على النهوض،
كانت أمل قتلت نجية معلنة انتهاء الظلم
الذي كانت تفعله حتى أنها أخرجت
أحشائها من بطنها كما رأى أحمد ورفيق
في الحديقة انتهت حياة نجية بلا رحمة كما
كانت لا ترحم أحد، نظرت إليهم أمل كانت
غارقة بدماء أمها قالت لهم:

- الآن انتهى الظلم، انتهت نجية،
سامحوني.

- أين تذهبين يا أمل أرجوك ابقني معي لن
أعيش بدونك.

قالتها هناء ودموعها تنساب بغزارة.

- لا أعلم لكنه مكان قريب منه قطار قديم
ذلك ما رأيت فقط أعلم أنكم ستجدونني
يومًا.

ثم رحلت واختفت تمامًا كأنها لم تكن هنا
وبقيت جثة نجية فقط.

* * *

- هل ستعترف بما فعلت يا فرج؟

قالها سعد وهو يشتعل غضبًا.

- أين هي تلك الفتاة الصغيرة؟ أين خباها

مساعدك إن لم تخبرني سأقتلك؟

ضحك فرج عاليًا وقال:

- تلك الفتاة الصغيرة هي ملك لمساعدتي
لن تستطيع إيجادها أبدًا دون مساعدتي
على الأقل.

- سأبحث عنها مع رفيق يا فرج وسننقذها
مما هي فيه أما أنت ستموت بلا رحمة كما
فعلت بالأبرياء من قبل.

- حسنا لا تقتلني ستعترف لك بكل شيء،
أولهم اسأل شهدة حينما تأتي ستخبرك
بكل شيء.

وضحك ساخرًا.

اغتاظ سعد بشدة قائلاً له:

- لن تعترف يا فرج مهما حدث سأقتلك
حتمًا بيدي المملوطة بدماء العديد من
الناس بسببك.

قام سعد بقتل فرج بطريقة بشعة ثم ألقى
جسده أمام المديرية كي يعلم الجميع أن
فرج هو معاون وأنه قد قتل وانتهى كل ما
يفعله بالناس بموته لكن تلك كانت فقط
البداية فقد كان هناك من يكمل أعمال
معاون دون علم سعد، لم يستطع سعد
فك السحر الذي به وظل مختبئًا يذهب
إلى رفيق كل فترة محاولين فك السحر لكن
بلا جدوى فاستسلم للأمر واخفى ثانية.

* * *

خرج نادر من المشفى أخيراً بعد علاج طال
 عدة شهور ذهب إلى منزله مع زوجته
 وأبنائه وكان في استقباله كنده وأحمد
 وكل العائلة كانوا سعداء بخروجه على
 خير.

* * *

بعد مرور عام ونصف كانت قد أنجبت
 كنده طفلها كان ولد جميل يشبه أبيه
 قامت بتسميته محمود على اسم أبيه،
 تزوج أحمد من ريتاج وكانت حامل في
 طفلة، كانوا ذاهبين جميعاً إلى عقيقة ابن
 باسم من زوجته منار الذي قاموا بتسميته

رفيق على اسم صديقه، أثناء الحفل قام الجميع بعد تناول العقيقة كل ذهب ليجلس بمكان ما، كان الجميع سعداء.

- مساء الخير لم أكن أعلم أنك ستكونين هنا اليوم.

قالها قاسم لملك على استحياء.

رفعت ملك حاجبها قائلة:

- حقا، لقد علمت الآن ماذا تريد لما تحدثني؟

- لا شيء أنا فقط أطمئن عليك، كنت أريد الاعتذار عما حدث قبل ذلك.

- لقد اعتذرت مسبقًا نسيت.

- هل أنت دائماً هكذا، فظة في التعامل مع
الآخرين؟

اشتد غضبها قائلة:

- من تنعت بالفظة انطق هيا اعد كلامك
ثانية؟

- أتحدث عنك كلما حاولت التحدث معك
تتحدثين بتكبر ألا ترين نفسك!

- إن لم تغرب عن وجهي الآن سألقنك
درساً لن تنساه يا دكتور قاسم.

ابتعد قاسم عنها قائلاً:

- سامحك الله يا صديق تلك الفتاة لا
تطاق كيف ملأت رأسي بها.

- إذا سمعتك تقول هذا ستلقنك درسًا
صدقني.

التفت قاسم للصوت فإذا هو أحمد
فتلعثم قائلاً:

- أنا فقط كنت، ماذا سمعت أنت؟

- سمعتك تقول أنها لا تطاق، لا تنس أنها
أختي يمكنني إخبارها.

- لا من فضلك لا تفعل أنا أريد خطبتها
منك.

صعق أحمد:

- خطبة هكذا بسرعة لن توافق هي
أعرفها عنيدة لن تقبل بك.

- لماذا لم تقبل هل أنا سيئ لتلك الدرجة.
 - لا أنت جيد بالنسبة لي لكنك تضايقها
 دومًا وهي تكره ذلك، تلك تحب التدليل
 فقط.

لكمه احمد بخفة على كتفه قائلاً:

- كنت أمزح معك سأحدث إليها لنرى ماذا
 سيكون ردها إن شاء الله.

ابتسم قاسم فرحًا بشدة، كانت تراقبه
 ملك من بعيد تراه مبتسمًا وهي تريد خنقه
 بيديها، تقول وهي وحدها:

- سألقنه درسًا لن ينساه يومًا فقط أنا
 وسط الناس لا أستطيع فعل ذلك أمام
 أحد سأسحبه ليكون وحيدًا ثم أفعل به

كل ما أريد.

ضحكت من تسمعها قائلة:

- أظنه يحبك لذلك يفعل تلك الأشياء
أتعلمين لم أره يتحدث مع فتاة غيرك قط
منذ معرفتي به.

التفت ملك فإذا هي كندة و اقفه تحدثها.
- كنده اهتمي بابنك الآن لا تعطيني
نصائح، لقد وضعتة في رأسي وسألته
درسًا قريبًا.

ضحكت كنده عليها قائلة:

- كما تشائين لكنه أخبرني أنه سيطلبك
من أخيك اليوم.

ابتسمت ملك قائلة:

- حقًا ما تقولين سيفعل ذلك، إذا جاءتني
الفرصة لتلقيه الدرس.

وابتسمت بفرحة كأنها انتصرت عليه.

ردت كنده:

- لكني أعلم أنك ستوافقين عليه حينما
يخبرك أحمد.

ضيقت عينها متحدثة إلى كنده:

- هل تظنين أني سأفعل؟

قالت لها مبتسمة:

- نعم أنا على يقين تام بأنك تحبينه بل
وآية أيضًا تظن ذلك.

شهرقت ملك بقوة وقالت:

- إذا كلكم تراقبونني وتظنون ذلك
سأريكم جميعًا.

ورحلت غاضبة.

* * *

بعدهما عاد الجميع من الحفل إلى القصر
الكبير وجدوا الكهرياء منقطعة عن
القصر بالكامل فدخل أحمد والجميع
قاموا بتشغيل كشافات هواتفهم الذكية
فإذا بشيء أسود كبير مهيب متفحم يروونه
أمامهم مباشرة ثم اقترب منهم سريعًا،
كانوا جميعًا في ذهول تام تتمتم ببعض
كلمات منها جل ما حدث كان البداية

واختطف كنده و ابنها من وسطهم مختفياً
بسرعة كبيرة.

وحي القلم

لا تنفع الطيبة دائماً
لا تحسن الظن كل مرة
فالنفس أمانة بالسوء
إلا ما رحم ربي
لا بأس أن تظن خيراً
لكن احذر إن كان شراً.

الفصل الثامن

عاد لينتقم

كانت جالسة في مكان مظلم يتخلله ضوء الشمس من ثقب في جدار الحائط وكانت النافذة مصنوعة من الحديد لا يظهر منها أي شيء غير فتحات التهوية فقط، احتضنت طفلها بقوة فهو كل ما تبقى لها ممن تحب ظلت ترقيه و تقرأ القرآن بصوت عال لتطمئن نفسها ولا تظل خائفة، فتح باب الغرفة التي هي فيها فإذا بشخص غريب يرتدي ملابس كلها سوداء اللون و يضع قبعة على رأسه كي يخفي وجهه عنها لم تستطع التعرف عليه لكنها

تشجعت وتكلمت فسألته:

- من أنت، وماذا تريد مني ومن طفلي لماذا
اختطفتنا؟

ظلت تسأله لكنه لم يجب وضع لها
الطعام أمامها فلاحظت علامة غريبة بدت
وشم من نوع ما على ظهر يديه كان ضوء
الشمس متسلط على المكان الذي ترك
فيه الطعام تركه راحلاً ثم أغلق الباب كما
كان، ظلت هي مكانها لا تفعل شيئاً سوى
قراءة القرآن من شدة خوفها واحتضان
طفلها حتى غطت في نوم عميق، دخل
شخص آخر نظر إليها أثناء نومها متوعداً
لها بالهلاك كانت عينيه تكاد تنفجر من

غضبه منها، قام بوضع شيء في الغرفة
النائمة بها ثم خرج هو الآخر.

* * *

- ترى من اختطف زوجة أخي وابنه لقد
وعدتها بحمايتهم لكني لم أستطع يا رب
اجعلي أجدهم قبل أن يصيبهم مكروه ما،
كان أحمد يفكر بصوت عال من يمكنه أن
يفعل ذلك بهم؟

ريتا ج تحاول طمأنته:

- لا تقلق يا أحمد إن شاء الله سنجده، لا
تنسى أن نادريحاول إيجادهم أيضًا.

- كيف لا أقلق يا حبيبتي إنهم مفقودين
منذ ثلاثة أيام، مجهول من اختطفهم،

حتى لم يتصل أحد ليطلب فدية أو ما
شابه ذلك.

- أعلم ذلك أنت محق في قلقك لكن أنا
أظن أن الأمر متعلق بما حدث منذ سنتين
تقريبًا.

- لكن ذلك الأمر انتهى، ماتت نجية
ومعاون كذلك، حتى رفيق الذي كان
يساعدنا توفي في حادث كيف نستطيع أن
نعلم أن اختطافهم له علاقة بما كان
يحدث مسبقًا.

- لا أعلم يا أحمد أظن ذلك فقط قد يكون
هناك شخص يريد الانتقام لأن ما قاله
ذاك الشيء وشكله المخيف جعلني أعتقد

ذلك.

- معك حق لقد قال "كل ما حدث كان
البداية" ماذا كان يقصد بذلك ومن هو لا
أستطيع التفكير؟ لا يمكنني خسارة ابن
اخي يا ريتاج لن أتحمل.

* * *

تجلس آية وملك في غرفة كنده منذ
اختطافها وطفلها يحاولون مواساة
أنفسهم خائفين ألا يعودا ثانية إليهم.

- لا تقلقي يا آية أعلم بأن كل ذلك
سيختفي وسيكونون معنا قريبًا.

- لا أعلم يا ملك مرثلاثة أيام دون خبر عنهم

ترى كيف حالهم الآن هل هم أحياء أم
أذاهم ذاك الشيء الذي اختطفهم.

- لا تفترضي السوء فورًا ربما كانت بدلة
من نوع ما لكي نشك أنه جان لكن الأمر
الذي تظنينه انتهى مع موت نجية أنسيت
ألم تخبريني ذلك بنفسك.

- أعلم يا ملك لكنني خائفة ثم إنه لا يوجد
خبر من هناء منذ فترة طويلة إلى أي شيء
توصلت بخصوص أمل، كانت تبحث مع
رفيق ومنذ وفاته لم تعد تتصل وإن فعلت
لا تجيب هي.

- إن شاء الله سنجدها ونجد ابن أخي وأمه
قريبا بإذن الله، فقط تفائلي خيرًا.

* * *

رن هاتف أحمد فأجاب:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- ليس هناك سلام بيننا يا أحمد.

تعجب أحمد فأجاب:

- من المتحدث؟

- ظننتك ستعرف وحدك أريد خمسة

ملايين دولار مقابل حياة ابن أخيك، إن لم

تأت بهم سأرسل لك جثته.

- أخبرني أولاً هل هما بخير؟

- نعم هما بخير حتى الآن، لكن إن لم تفعل

ما طلبت ستتحسر عليهم بقية حياتك.

- كيف ستأخذ النقود؟ ومن أين يمكنني
أخذهما؟

- تأخذهما؟ لا تتأمل كثيرًا، الفدية مقابل
ابن أخيك ليس من أجل أمه، ستظل معنا
الأم نحتاجها.

- لن أدفع لك إلا إن أخذت الاثنين معا!
- إذا سأرسل لك شيء من ابن أخيك لعلك
تغير رأيك.

أغلق المتصل الهاتف دون أن يجيب عليه
أحمد، فأخبر الجالس أمامه:

- يبدو أن أحمد ليس سهلاً كما أخبرتني
يريد الأم أيضًا.

- لن نعطيه كنده أنا أريدها هنا معي.

- لكن لماذا لا نطلب مبلغ أكبر مقابل حياتها
أيضاً تلك العائلة ستدفع لإنقاذها هي
الأخرى.

- لا تتدخل قلت أني أريدها هنا فقط
سنرسل الطفل مقابل الفدية لا نريد شيء
آخر.

- أمرك يا سيدي كما تريد لكني فقط قلت
لعلنا نأخذ ضعف المبلغ الذي ذكرناه.

- طلبت منك ألا تكرر الكلام لا تجعلني
أغضب منك؟

انكمش ذاك المتحدث على نفسه خوفاً
من سيده وقام بتغطية وجهه ليدخل إليها

الطعام ثانية، دخل الغرفة وجدها
منكمشة في ركن السرير التي تجلس عليه
ولم تأكل الطعام فأخبرها أن تأكل لأن
سيده سيغضب عليها، سألته من سيده
الذي تحدث عنه فلم يجيبها راحلاً.

* * *

- من يتجراً على خطفها بعد تلك المدة،
عقلي يكاد يتوقف فكل ما نخاف منه
انتهى ماذا حدث ثانية لا أعلم، أخشى أن
يكون هناك شيء نجهله، ثم إننا لم نجد
أمل حتى الآن وهناء مفقودة ليأتي أخبرتهم
أنها مفقودة كانوا توخوا الحذر.

- متى خطفت هناء يا نادر لماذا لم تخبرنا

ألم تعلم أن ذلك قد يكون خطرًا علينا
جميعًا.

- أعلم يا هيام لكنني خشيت أن تخافوا
فيحدث توتر نفسي والوضع لا يتحمل تلك
الأخبار الآن.

- ماذا ستفعل الآن؟ كيف ستخبرهم
بذلك؟

- لا أعلم يا هيام لقد كلفت رامز بالبحث
عن هناء كي نحاول التوصل إلى شيء.

- ماذا إن لم يجدها رامز؟

- لا توتريني يا هيام إن شاء الله سيجدها.

- أتمنى ذلك يا نادر لا أحب أن أعيش ما

حدث في الماضي ثانية.

- لن نعيشه يا هيام بإذن الله؟

* * *

يتصل باسم ليطمئن هل هناك جديد أم لا
تستمع إليه منار أثناء سؤاله عن كندة
وابنها وهي مغتازة بعض الشيء.

- السلام عليكم يا أحمد، كيف حالكم هل

هناك جديد بخصوص كندة وابنها؟

- وعليك السلام يا باسم، اتصل بي منذ

قليل شخص طلب فدية لأجل محمود

فقط.

- الطفل فقط ماذا عن أمه.

بدا باسم متزعج عند سماعه ذلك.

- لم يجب علي عندما سألت عنها، لكنني
أبلغت رامز بالأمر وأعطيته رقم الهاتف
الذي اتصل بنا.

- حسن ما فعلت يا أحمد إن شاء الله
نجدهم قريبًا.

- أنا قلق عليهما جدا يا باسم لا أستطيع
النوم منذ ذاك اليوم.

- لا تقلق لعلهم بخير، طالما طلبوا فدية
مالية مقابل حياة الطفل سيطلبون أيضا
فدية من أجلها.

- أتمنى ذلك فإلما موجود بفضل الله
المهم أن يكونا بخير لا أريد شيئا آخر.

أغلق باسم الهاتف وظل شاردًا يبحث عن
شيء في ذاكرته يحاول به المساعدة.

* * *

أثناء جلوسها على السرير شعرت بشيء
يتحرك بالأسفل حاولت النظر فمازال
ضوء الشمس متسلط على جزء من
الغرفة لكنها لم تستطع رؤية شيء حتى
ظهر ذلك الشيء على الجزء الذي يتخلله
شعاع الشمس من السرير فصرخت عاليًا
واحتضنت طفلها بشدة وظلت تكرر
"أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما
خلق" وتقرأ القرآن حتى رحل ذلك الثعبان
الأسود من أمامها لكنها ظلت تكرر القرآن

باكية تسأل الله أن يحفظ طفلها، فتح
 الباب بعدما رحل الثعبان فدخل الضوء
 فإذا بشخص غريب يرتدي ملابس مريبة
 لم ترَ مثلها قط ثم تحدث بلغة غريبة جدًا
 وهو يسلط ضوء مصباح على وجهها وأخذ
 الثعبان راحلاً، لم تستطع رؤية وجهه من
 شدة الضوء المسلط عليها لكنها فقط رأت
 ملابس الغريبة.

* * *

- لماذا أنت مهتم هكذا بتلك المرأة يا باسم؟

رد مستنكراً سؤالها:

- ألم تعلمي أنها أخت نادر وابنة خالي
 أيضاً.

- أعلم، لكني متعجبة لما يحدث فقط،
لماذا حدث لها كل ذلك من البداية؟، كيف
مات رفيق بسببها يا باسم؟

- لم يمت رفيق بسببها هي بل حدث ذلك
أثناء بحثه عن تلك الفتاة أمل التي
اختطففت؟

- أليست تلك الفتاة قريبة زوجها رحمه
الله يا باسم!.

- نعم هي ابنة خالته، أمها من بدأت كل
ذلك.

- نعم، كان ذلك بمساعدة أمك أليس
كذلك!.

تمعض وجه باسم وقال:

- لماذا تتحدثين عن أمي الآن، طلبت منك

ألا تذكرني ما حدث كي لا تتعذب بسببنا.

- العذاب الذي عشته على يديها يجعلني لا

أنسَ سامحني لقد رأيت أشياء صعبة جدا

في تلك الفترة العصيبة.

- هل يمكن أن تحاولي نسيان كل شيء يا

حبيبتي، نحن معا وبخير الحمد لله.

- الحمد لله يا حبيبي لكني عندما رأيت ما

اختطفها بعيني تذكرت كل شيء.

- أعلم ذلك حفظهما الله من شروره حتى

يجدهم أحمد بإذن الله.

- لماذا لم تخبرني كيف مات رفيق حتى

الآن؟

- لأنني لا أعلم ماذا حدث بالفعل لقد
أحضروه لي ميت وقالوا إنه قتل على يد
أمل.

منار مندهشة:

- تقصد تلك الفتاة التي مصابة بسحر؟
- نعم هي تكون أخت هناء أيضًا.

* * *

خائفة تترقب ما يحدث بالخارج تحاول
التنصت لكن لم يكن هناك أي صوت
بالخارج حتى سمعت صوت امرأة تعلم
صوتها جيدًا ابتسمت، ظلت تنادي عليها
يا هناء أهذه أنت يا هناء لما تصرخين ظلت
تنادي لكن بلا جدوى لم تجبها هناء قط

لكنها شعرت بحركة في الغرفة التي تجلس
 بها فنظرت إلى الخلف فوجدت امرأة
 تجلس على السرير تحمل ابنها بين يديها
 كان منظرها مهيب شعرها أسود منسدل
 يغطي ظهرها كله وهي جالسة، يتخلله لون
 أحمر ترتديه على جسدها كانت تهدد
 الصغير لكنه بكى ربما خوفاً لا أعلم ظلت
 تهدده بأغنية مألوفة لدى البعض تغنيها
 له بحزن شديد بدت كأنها فقدت طفل من
 قريب، اقتربت منها كنده خائفة تحاول
 الاقتراب لأخذ الطفل عندما وقفت أمامها
 تصنعت القوة مدت يدها لأخذ الطفل
 لكن سرعان ما وقفت الجالسة ذات

الشعر الأسود في رهبة شديدة أشارت لها
 بيديها لتبتعد كانت يديها لها أظافر طويلة
 بدت كالحوافر متسخة ذو شكل مقزز،
 أصرت كنده على أخذ ولدها منها لكن تلك
 المرأة قالت بصوت خافت:

- ابتعدي وإلا قتلته أمام عينيك الآن.

ازدردت كنده ريقها بصعوبة سائلة:

- ماذا تريد مني؟

- لا أريد منك شيء، أنا أريد الطفل فقط،

لكنه هو من يريدك وأشارت إلى الخارج.

تعجبت كنده مردفة:

- من هو الذي يريدني أرجوك أخرجيني

وطفلي من هنا؟.

- لا أستطيع إخراجكم من هنا أو أي مكان
آخر أنا فقط أعيش هنا.

- من أنت؟ لماذا تريدني ابني؟

- أريده هو لأنني أحبه منذ مولده.

صعقت كنده وقالت:

- كيف تحبينه منذ مولده لم نرك إلا الآن.

- لكنني رأيتكم جميعاً يوم مولده وأنتم

سعداء أنه جاء للدنيا الفانية.

- حقا كنت معنا رأيتكم كنا سعداء به؟

إذا من فضلك أعيدنا للمنزل فلابد أنهم

يفتقدونه الآن.

تحاول كنده استعطاف تلك المرأة الخبيثة
لكن بلا جدوى.

- لن أستطيع إخراجكم من هنا، ألا
تعلمين أني عالقة هنا!.

- لا أعلم فأنا هنا منذ ثلاثة أيام او أربعة
ليس معي شيء سوى طفلي من فضلك
أعيديه لي.

- لقد أخبرتك أني أريده فلا تطلبية ثانية
وإلا قتلتك الآن،

وكشرت عن أسنانها السوداء مخفية من
أمامها بالطفل، صرخت بصوت عال جدا
مما جعل من بالخارج يدخل مسرعًا دون
أن يغطي وجهه كالمعتاد فعلمت من يكون

صدمت صدمة مفاجئة عندما رآته قالت:

- سليم أهذا أنت! كيف حدث ذلك أنت
فعلت لم أكن لأصدق؟.

- سألها أين الصبي أجيبني؟

- أخذته امرأة مني عنوة ترتدي فستان
أحمر وشعرها أسود، كانت تنتحب من
فضلك أعده إلي أرجوك لن أستطيع
خسارته لن أتحمل.

نظر إليها بحزن قائلاً:

- لا تقلقي سأعيده لك منها.

تركها راحلاً يبحث في الأرجاء عن الطفل
وعمن أخذته من أمه عنوة وجدها في

خارج ذاك المنزل المهجور تغني له كما كانت
تغني لأختها الصغرى التي لم تستطع
حمايتها عندما احتاجتها، ذهب إليها
مهرولاً يقول:

- أعطني الطفل لنعيده لأمه هيا أعطني
إياه لن تحبي أن يؤذى بسببك سيجوع
معك ويتعب لن تتحملي بكاء الولد هيا
أعطني إياه.

- لن يأخذه أحد مني سأربيه جيداً سأكون
أمّاً له بدلا عنها أعيدها هي لعمه كي يهدأ
وأخبروه أن الطفل مات كي أحتفظ به أنا
وحدي.

- لكننا لن نستطيع ذلك أرجوك هيا يا

حبيبتي أعطني الطفل.

- ابتعد يا سليم لن أعطيه لك ولا لأحد.

فجأة جاء من يتحكم في الأمر برمته
فأمسك بلجامها قائلاً:

- اتركه ليذهب لن أخسر أحد مرة أخرى
بسببك أنت هل تسمعين جيداً؟ لن أخسر
أحد من تحت رأسك يا غبية.

- اتركني أنت من قتلتها أنسيت!، قتلت
أختي كل ما تبقى لدي جعلتني وحيدة في
تلك الدنيا.

* * *

لا زالت آية تجلس في غرفة كنده وتمسك

دفتراً بين يديها بدا أنها كانت تقرأ منه
شيء، جلس أحمد إلى جوارها ربت على
كتفها فنظرت إليه دامعة العينين قائلة:

- هل سنراهم مجدداً يا أخي؟

رد عليها:

- يجب أن تتفألي، بإذن الله سنجدهم،
يبحث نادر ورامز عنهما في كل مكان
واتصل شخص يريد فدية مالية، لكن
ماذا كنت تقرأين؟

- لا شيء ذلك الدفتر وجدته هنا في الغرفة
يبدو أنها كانت تكتب فيه أشياء من حين
لآخر، تعلم أنها إنسانة جميلة حقا رغم كل
ما حدث لم تكتب شيئاً عما حدث من

شروورأتها لم تكتب إلا الجميل فقط.

- نعم هي إنسانة جيدة أحسن محمود
اختيار الزوجة.

- تعلم كيف بدأت كتابة الدفتر؟ سأقرأ
لك..

بدأت قائلة:

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة إلى زوجي..

يا من أحببته فور رؤيته وأخفيت ذلك في
قلبي

لم أكن أعلم أنك ستتركني يومًا وترحل
عني

لكنك تركت لي قطعة منك أسميتها على

اسمك

كي تكون معي في تلك الدنيا حتى يرزقني

الله لقاءك

أتمنى لو أستطيع اخبارك كم يشبهك

أتمنى لو تستطيع أن تراه بعينيك سأدعو

الله لك دوماً أعدك لن أنساك.

- تلك كلمات جميلة جدا يا آيتي هيا اتركي

الدفتر وانزلي بالأسفل معنا لا تظلي هكذا

وحيدة.

- لا أستطيع يا أخي، أشتاق إلى محمود

الصغير لن أتحمل فقدته هو الآخر.

- لن نفقده سندفع الفدية لإنقاذه منهم

بإذن الله وسيكون بيننا ثانية.

مسحت دمعها بيدها قائلة:

- وماذا عن أمه هل سنتركها؟

- لا لن نفعل تلك أمانة أخي الصغير لن

أتركها لأحد.

- بارك الله فيك يا أخي، جبر الله قلبك كما

جبرتنني الآن ظننت أنك ستتركهم للحظة.

- لماذا ظننت ذلك يا آية؟

- لا أعلم فقط راودني ذاك الشعور ليس

إلا.

دخلت ملك عليهم الغرفة فألقت السلام

ثم جلست إلى جوارهم تقول:

- لقد جاء نادرورامزومعهم الطبيب قاسم
ينتظرونك يا أخي.

- حسنا سأنزل لمقابلتهم لعله خير بإذن
الله، صحيح يا ملك يوم الحوادث طلب مني
قاسم يدك اعذريني نسيت إخبارك بسبب
ما حدث أعلم أن ذلك ليس وقته لا تنظري
إلي هكذا لكن فقط تذكرت لأنه هنا، أنت
فكري في الأمر فقط ثم أخبريني قرارك،
أخبروا الخادمة أن تقدم لهم مشروب
حتى أقوم بتبديل ملابسي.

نظرت له ملك بتهكم مضيقة عينيها سائلة
آية:

- هل الوقت مناسب لذلك الحديث الآن يا

أختي؟

- بالطبع لا يا ملك لكنه يخبرك كي تكوني
على علم بالأمر فقط تعرفين أحمد لا يحب
أن يخفي شيئاً عنا ثم أنت قلتِ إن قاسم
بالأسفل لماذا جاء مع نادر و مع وكيل
النيابة ما عمله معهم؟

- لا علم لي يا آية ثم إني لا اطيق ذاك
المتعجرف المغرور لا أتحدث إليه.

- أنا فقط أفكر بصوت عال لما أخذتِ
الكلام على إني أسألك، ثم يوم عقيقة
رفيق رأيته يتحدث إليك ثم تحدث مع
كندة عنك وسمعته، حقا هو شاب جيد
وليس متعجرف؛ المتعجرف هنا يعرف

نفسه جيدا يظن أن الكون كله يتمنى
التقرب إليه.

ضيقت عينيها متحدثة بتفاخر:

- لست متعجرفة لكنه يضايقي كلما
تحدث يصفني بالمتكبرة لذلك أبقى هكذا
في وجوده كي أضايقه، ووصفني بالمتسلطة
قبل ذلك وأنا عاهدت نفسي أن ألقنه
درسًا شديدًا وها قد وقع في يدي سأرفضه
ليعلم الجميع من هي ملك الشناوي بحق.

- من هي ملك الشناوي أفيقي حبيبتى نحن
بشر لا يصح أن نتكبر على أحد لحسبنا او
نسبنا أولكوننا أغنياء، كلنا سواسية أمام
الله عز وجل لا تتصني التكبر أمامه

لتحرجيه فقط، إن كنت تريدان الارتباط
به فوافقي وإن لا فقط أخبرني أخيك وهو
يخبره بالأمر لكن لا يجب أن نخرج أحد.

- ليس ذلك وقت المواعظ يا آتي الجميلة
من فضلك دعيني أعيش لحظة الانتصار
عليه الآن.

- لا يا ملك أخشى أن تصبجي مثل أمي
رحمها الله كانت بها خصلة التكبر على
الخلق وقد حدث كل ما مضى بسبب
تكبرها أن تزوج كنده من أخيك لأنها تربت
في ملجأ دون أبوين.

حزنت ملك كثيراً حينما ذكرت آية أمها
فقالت:

- تعلمين أني لا أتكبر فقط أريد اللعب معه
كي لا يصفني بالمتكبرة.

- إن كان ذلك قصدك فكفى لعبًا لا يصح
أن تلعبين مع الشباب أعتقد أنك تريدين
أن يريك أحمد غضبه إن فعلتِ.

- أحمد لا يغضب مني ابدا تعلمين ذلك.

صرخ احمد:

- أين القهوة يا ملك كل ذاك الوقت
تتحدثين يا ثرثارة أخبري الخادمة أن
تحضر القهوة بسرعة.

هرولت ملك مسرعة لتخبر الخادمة أن
تعد لهم أربعة فناجين من القهوة

ارتسمت ابتسامة آية لما فعلت ثم عادت
لتقرأ دفتر كنده ثانية.

* * *

- من فضلك دعها هي فقط تشتاق لأختها
الصغرى أرجوك دعها.

تحدث سليم برجفة شديدة اجتاحت
جسده كله.

- ألم أخبرك مسبقاً أن تضع تلك المجنونة
في مشفى كي لا تعيق عملي يا سليم.

- أعتذر منك لكن هي هربت من المشفى
مرتين كيف يمكنني وضعها وهناك من
يساعدها على الهرب كل مرة وهي تقول أن
أمل تخرجها.

تحدث بصوت أشج:

- ألم تعلم أن أمل ماتت كيف تخرجها هل
جاءت روحها فأخرجتها.

- لا أعلم لكن اتركها لنسألها كيف تهرب
من المشفى؟

أسقطها أرضاً فقامت بالصراخ:

- لن أتركك يا كلب معاون سأقتلك بيدي
تلك.

قهقهه عاليًا:

- تعلمين أنني لا أقتل يا هناء

- سأقتلك يومًا كما تسببت بقتل أختي
ورفيق.

تحدث إليها ساخرًا:

- حقا؟ أنت من قتلتها ليس أنا، رفيق قتل
بيديك هل نسيت ذلك يا هناء؟ لو لم
تحاولي علاج أختك ما ماتت كانت تعيش
معي حتى وجدتنا أنت وذاك الرجل رفيق
ثم قتلت أثناء محاولة علاجها، أنت من
قتل رفيق بيديك.

- أنت دخلت جسدي وقتلته لم أكن لأقتله
أبدا انت من فعلت ذلك.

- أخذت مني حبيبتي أمل فأخذته منك يا
هناء ولن أدعك ترتاحين أبدا.

تصرخ كنده بالداخل وتنتحب على طفلها
الصغير يحاول سليم أخذه لها لكن ذاك

الشيء يرفض تمامًا طالبًا منه جعلها
 تصمت وإلا قتله أمام عينيها، دخل سليم
 الغرفة المظلمة فأخبر كنده أن تصمت وإلا
 قتلوا الطفل فهو لا يستطيع منعهم طلب
 منها أن تهدأ قليلا والطفل سيعود إلى أهله
 اليوم كما أخبروه.

ابتسمت كنده باكية:

- هل سيعود إلى أهله حقا يا سليم من
 فضلك لا تكذب علي لن يؤذيه أحد.

- لا تخافي سأعيده بنفسى لعمه
 وسأطمئنك عليه لكن أرجوك لا تصرخي
 كي لا يقتلوه بسببك.

هزت رأسها تكتم أنفاسها بيديها لكنها

كانت تتقطع من داخلها كي تطمئن على
صغيرها الذي كانت تتمنى الموت ولا تتركه
بين أيديهم.

اجتاحت الغرفة المظلمة موجة باردة
فارتجف جسدها الضئيل شعرت بخوف
يتخلل أوصالها لكنها لم ترَ شيء، اقشعر
جسدها حين لمستها يد من الخلف فنظرت
لم تجد إلا يد لونها كالجمر بها شعيرات
سواء وأظافر طويلة فارتعبت جدا حاولت
أن تقرأ القرآن لكنه كان يربط لسانها عن
الكلام فلم تستطع، حدثها هوقائلاً:

- أنت ستكونين هنا للأبد، أما طفلك لا
أريده لقد عدت من أجلك أنت فقط

سأنتقم منك كما تسببت بموت أمل، لن
أرحمك أبداً هذه المرة، مسبقاً كان معك
سعد وباسم ورفيق يساعدونك لكن الآن
أنت وحدك فقط فقد قتلت رفيق بيد
هنا صديقتك، أما سعد فاخفى وباسم
عاد لزوجته ليس لك أحد الآن يا كنده
سأنتقم منك وحدي.

حاولت التحرك لكنها لم تستطع ظلت
تردد القرآن داخلها حتى استطاعت
قراءته بصوت واضح فاخفى من أمامها
قائلاً لها:

- سأعود ثانية لأنتقم منك لن تستطيعي
إنقاذ نفسك تلك المرة.

* * *

دخل أحمد غرفة الضيوف فوجد ثلاثتهم

جالسين يتحدثون عن شيء ما فقال:

- السلام عليكم، كيف حالكم جميعًا؟

ردوا السلام عليه ثم تحدث رامز لأحمد

مباشرة:

- هل تعرف شخص اسمه سليم يا أحمد؟

رد عليه أحمد:

- نعم ابن خالتي اسمه سليم لكن لماذا

تسأل؟

هز رامز رأسه مترددًا:

- لكن هل اسمه يختلف عن بنات خالتك

أليس شقيقهم.

- نعم هو أخوهم من الأم فقط، توفي أبوه
بعدهما ولد بثلاثة أعوام فتزوجت خالتي
من شخص آخر وهو والد هناء وأمل.

- حسنا يا أحمد لدي اخبار هامة لك وهي؛
من اتصل بك لطلب الفدية هو سليم
مسعد، ثانيا: هناء ابنة خالتك مفقودة
منذ وفاة رفيق وأخفى عنك نادر الأمر
خوفاً عليكم.

صعق أحمد لما يسمع منه ثم سأله:

- هل أنت متأكد مما تقول يا رامز ابن
خالتي هو من طلب الفدية واختطفهم.

- نعم يا أحمد هو من فعل.

رد عليه أحمد قائلاً:

- لكننا رأينا شيء آخر قام بخطفهم أمامنا
جميعاً رأيناه بأعيننا.

- أعلم ذلك أيضاً يا أحمد لكننا نتحدث
عن كونه شريكاً معه في الأمر لأنه من طلب
الفدية منك.

دخلت آية الغرفة عليهم تحمل القهوة
قائلة:

- السلام عليكم تفضلوا القهوة نعتذر
للتأخير فالخادمة ليست بالمنزل.

نظر إليها رامز مبتسماً قائلاً:

- لا يهم جزاك الله خيراً سلمت يداك.

وجدت أحمد يجلس شاردًا فربتت على
كتفه سائلة:

- أهنالك جديد يا أخي ما بك؟

- سليم ساعد المختطف وهو من طلب
الفدية مني يا آية.

تمهدت آية بضيق شديد قائلة:

- ألن ننتهي من نجية وأبنائها بعد ماذا
يريدون منا؟

تحدث نادر:

- يبدو أنهم يريدون المال فقط سنعطيه

لهم لكن شرطنا أن يعودوا سالمين إلينا.

ردت عليه آية بتهكم:

- لا أظن ذلك يا نادر لقد طلب الفدية
مقابل الصغير فقط لكنه يريد أختك معه
شخص نادر عينيه سائلاً:

- ماذا تعني بذلك أخبريني كيف يطلب هذا
منكم؟

- لا أعلم هذا ما حدث، كان ذلك طلبه من
أخي.

كان هناك من يستمع إلى حديثهم بالخارج
بجوار النافذة متخفياً كي لا يراه أحد منهم
لكنه قال:

- إن لم أعد الطفل وأمه لن أكون مرتاحاً
أبداً

ثم رحل مسرعًا.

أثناء رحيله وجد من يريده فقال له:

- هل تظن أنك ستنقذهم من يدي تلك
المرّة؟ كنت أبحث عنك منذ فترة أخيرا
خرجت من مخبأك يا سعد.

- لم أكن مختفٍ يا قبيح الوجه كنت
أحاول معالجة نفسي في مكان لن تستطيع
دخوله أبدا لأنك نجس.

- بيننا حساب قديم يا سعد يجب تصفيته
الآن.

ابتسم له سعد قائلاً:

- لكنك تهرب في كل مرة ما أدراني أنك لن

تهرب الآن.

اغتاظ الآخرقائلاً:

- لا أهرب أنا فقط أدعك تهدر طاقتك
دوماً ترى كيف حال زوجتك وابنتك يا
سعد.

تهمد سعد مطولاً:

- سأريك كيف حالهم عندما تراهم بعد
الموت يا قبيح الوجه.

مهما حدث لا تيأسوا من رحمة الله

فكل ما يحدث ما هو إلا قدر الله

يعلمه الله من على يقين بأن ربك

لن يبتليك إلا ليرفعك درجات

لن يقدرلك إلا ما تطيقه

فسبحانه لا يكلف نفسًا إلا وسعها

الفصل التاسع

سحر سفلي

حل الصباح كانت كنده تجلس وحيدة في تلك الغرفة المظلمة بعد أن أخذوا رضيعها من حضنها عنوة ظلت تنتحب حتى نامت بعيون دامية، أثناء نومها بدأ الغطاء التي تضعه على جسدها يتحرك كأن أحد ما يسحبه من عليها فاستيقظت مرتعبة، عدلت جلستها وحجابها كذلك، تمسكت بالغطاء لتحاول معرفة ما الذي يحركه هكذا لكنها لم ترَ إلا يدين سوداوين متفحمة بلون الجمر سارت بجسدها تلك الرجفة الباردة التي اجتاحت المكان

أصبحت رائحة الغرفة نتنة كأن بها
حيوان مقتول منذ أيام فانتشرت رائحته،
لم تعد تشعر بجسدها من شدة البرد
الذي تخللها كادت أن يغشى عليها من
التعب وعدم تناول الطعام فاستسلمت
لذلك أثناء محاولتها للتحرك فسقطت
على الأرض مرتطمة رأسها بشيء موجود
على الأرض، سمع صوت الارتطام سليم
الجالس على باب الغرفة ففتح وجهًا
الضوء بيديه على السرير فوجدها واقعة
على الأرض تنزف رأسها دمًا ووجد قبيح
الوجه بجوارها يقرب يده منها ليلمسها
فقال له سليم:

- إياك أن تفعل ذلك.

رد عليه متفاجئ من كلمته:

- ومن أنت لتمنعني يا سليم لا تنسى أنك

معي في ذلك الأمر.

رد عليه:

- لم أنسَ ولكن لن أسمح لك بأذيتها

وطفلها الذي يبكي بالخارج.

- على ذكر طفلها يا سليم متى ستذهب

لتعطيهم إياه قبل أن تقتله أختك

المجنونة.

- لا تتحدث عنها هكذا أنت من تسبب لها

بكل ذلك ألا تعلم ذلك.

- لا علم لي بما تحدث عنه، يا سليم خذ
الطفل ضعه أمام منزلهم قبل أن يموت
جوعًا.

- ماذا عن الفدية ألن تأخذها؟

- لا أريدها خذ الطفل ضعه هناك دون أن
يراك أحد.

- حسنًا سأخذه لكن لا تؤذها حتى أعود.

- تعلم أني لن أفعل ذلك قط، لا تقلق
عليها هي بمأمن معي.

- حسنا، دعني أضمد جرح رأسها وأضعها
على السرير كي لا تبقى على تلك الأرض
فالجو بارد جدا هنا.

ضمّد سلیم جرحها واضعًا إياها على
 السرير وقام بوضع الغطاء عليها ناظرًا لها
 بألم شديد ينخر في قلبه، لكنه لا يجروء على
 إخراجها قد يقتلهم قبيح الوجه ذاك، هو
 يخاف على أخته ونفسه لكنه يعلم أنه لا
 ذنب لها في شيء وأن أمه كانت سبب كل ما
 حدث بالماضي، خرج من الغرفة ذهب إلى
 هناء أخذ منها الرضيع الذي يبكي من
 جوعه واضعًا إياه في السيارة كي يضعه
 على باب منزل أهله كما أمره قبيح الوجه.

* * *

سعد متخفي ينتظر عند منزل أحمد
 محاولًا أن يعرف مكان مختطف كنده

وابنها إذا أتى ليأخذ الفدية، ظل واقفاً
 مدة طويلة لم يأت أحد كاد أن يرحل
 فوجد شخص يقترب ببطء وضع الطفل
 أمام الباب ثم دق الجرس وتخفى ليرى ما
 سيحدث، فتح الباب فوجدت الخادمة
 الصغير محمود فحمدت ربها وهرولت إلى
 الداخل مسرعة تنادي بصوت عال:

- يا سيدي أحمد لقد جاء محمود يا سيدة
 آية لقد جاء الصغير أبشروا.

نزل الجميع مسرعين متهللين فأخذه
 أحمد احتضنه بقوة قائلاً:

- لن يمسك أحد ثانية أعدك بذلك يا ابني
 الغالي.

- ألم تأتي أمه معه يا أم سيد؟

- لا يا سيدي رن جرس الباب ففتحت
وجدته أمام الباب.

أخذته آية احتضنته وتوجهت لأم سيد
بالحديث:

- من فضلك حضري له رضعته يبدو
جائعًا سأخذه ليتحمم حتى تنهي طعامه.

أخذته آية فصعدت لغرفته وأمه دامعة
العينين تقول في نفسها ترى كيف حالك يا
كندة الآن؟ أي ألم تعيشين به بسبب أبناء
نجية؟

دخلت ملك خلفها قائلة:

- لقد افتقدتك كثيرًا يا قطعة من قلبي
دعيني أحمله قليلًا يا آتي الجميلة من
فضلك.

أعطته لها آية وأثناء ذلك سقط من
ملابس الصغير صورة على الأرض فأخذتها
آية نظرت إليها فصرخت عاليًا تبكي
وتنتحب على ما فيها، جاء أحمد مهرولاً
يقول:

- ما الأمر لماذا تصرخين؟

نظرت إليه ملك باكية فأعطته الصورة
التي كانت بداخل ملابسه، نظر إلى آية التي
تجثو على الأرض قائلاً:

- قومي يا آية أخبريني ما الأمر؟

مسحت دمعها مجيبة عليه:

- أنظر إلى الصورة التي في يدك يا أخي
وستعلم لما نصرخ ومنتحب.

قلب أحمد الصورة التي بيديه ثم جثى على
ركبتيه مشدوها سائلاً إياها:

- كيف استطاع سليم قتلها يا آية؟ هل
يظن أني سأرحمه؟

* * *

مشى سعد خلف سليم وهو عائد إلى مخبأ
قبيح الوجه الذي يهرب منه في كل مرة يراه
فيها فعلم أين هو فاستبشر بذلك خيراً،
ظل سعد مختبئ كي لا يراه أحد حتى
يستطيع معرفة ما يحدث بالداخل وكم

عدد الأشخاص بذاك المنزل، دخل سليم
المنزل فلم يجد ذاك القبيح فنادى بصوت
عال:

- أين أنت؟

- لو مسست شعرة منها سأقتلك يا قبيح
الوجه.

خرج أمامه قائلاً:

- كنت أمرح قليلاً مع تلك المجنونة إنها
حقا مختلة لكنها ممتعة أيضاً، انت لا
تخيفني يا سليم تعلم ذلك.

تمعض وجه سليم وقال:

- ماذا فعلت بأختي يا نجس لن أرحمك

أبدا هذه المرة.

- لا تخف هكذا، أنت من خرج تاركًا إياها
خلفك، لا أستطيع منع كل ما يحدث هنا
ذاك الساحر الذي يعمل معك لم يتركها
منذ رحيلك لحظة واحدة.

برزت عروق وجهه واشتعل غضبًا من
إيحاءات قبيح الوجه فدخل غرفة أخته
وجدها على حالها ولم يكن معها أحد
فتهد مطولًا، ذهب ليرى كنده فوجدها
نائمة كما هي لم يقترب منها أحد تهللت
أساريره قائلاً:

- لن أسمح لأحد أن يؤذيك يا حبيبتى.

وضع قبيح الوجه يده عليه فسارت رجفة

في جسده كعادته فقال له:

- إلى متى ستظل أحرق ألم تتركك بالماضي
لتتزوج ابن خالتك لما ما زلت تحبها يا
سليم.

- لن يعلم شيطان مثلك شيء عن الحب
لن أتحدث معك.

- أنتم البشر حمقى تتعاملون دومًا
بقلوبكم.

وتركه معها خارجًا، استيقظت كنده على
صوته خائفة فسألت عن طفلها فأخبرها
سليم أنه بخير لقد أعطاه إلى عمه وقام
بجعلها ترى صورته أثناء وضعه أمام
المنزل فاطمأنت قائلة:

- الحمد لله، شكرًا يا سليم.

رد عليها:

- عن إذنبك يجب أن أرحل الآن.

تحدثت إليه متوسلة:

- انتظر من فضلك، أخبرني ماذا سيحدث لي وما ذاك الشيء الذي رأيتُه هنا وذاك الرجل الغريب الذي يتحدث بلغة غريبة لا أفهمها.

تهنئ سليم مطولًا وقال:

- الموضوع طويل يا أم محمود الآن من فضلك تناولي الطعام كي تستطيعي الصوم أمام ما تحدثت عنه الآن.

- أخبرني من المرأة التي أخذت مني ابني هل هي هناء؟

- نعم هي هناء، لا تسألني كيف حدث لها ذلك الأمر يطول؟

- كيف دخلت أنت بالأمر؟ كنت مسافر ماذا حدث وأصبحت مع أولئك الأشخاص؟

- حسنا عندما عدت من السفر كانت أمي توفت وأختي أمل مفقودة، قصت لي هناء كل ما حدث وتعرفت حينها على رفيق كنا نبحث معا عن أمل حتى جاء ذلك اليوم الذي وجدناها هنا في ذلك المنزل المهجور حينما أخبرت هناء قبيل رحيلها

ستجدونني في مكان قريب من قطار قديم
لا يوجد به أي شخص سواي أنا وحديقة
قديمة، ظللنا نبحث شهورًا طويلة حتى
وجدناها لكنها كانت تتحدث بصوت غريب
كان يلبسها جان قوي، حاول رفيق
إخراجه منها على عدة أيام متواصلة حتى
جاء اليوم الذي جعلها تقتل نفسها
بيديها، حينها صدمت هناك وأصبحت كما
رأيت، أخذتها أنا ورفيق إلى مشفى
الأمراض النفسية لكنها هربت أكثر من مرة
بعدها بدأ يظهر عليها ما كان يحدث لأمل
فاتصلت برفيق وأخبرته كل ما يحدث فلم
يتأخر وجاءني ثم قتلته هناك بدم بارد

وازدادت صدمتها لم يخرج منها ذاك الشيء
 بقي بداخلها كل تلك الفترة يبدولي أن ذلك
 بسبب ما فعلته أمي بك، كانت هناء
 تساعدنا في بداية الأمر لذلك حدث لها
 ذلك هي الأخرى.

- ومن ذلك الرجل الغريب؟

- إنه ساحر أجنبي كان يعمل مع معاون
 يدخل هنا محاولاً إخافتك وإلقاء تعاويذ
 سحرية عليك لكن لا يحدث لك شيء،
 لذلك لازلت حية إلى الآن.

- هل تستطيع اخراجه من هنا يا سليم؟

- لا لن أستطيع، لكنني أعلم أن هناك من

يستمع إلينا الآن، سيحاول إخراجك
اليوم أتمنى أن يكون هنا حقا.

سعد بالخارج منتظر الوقت المناسب
للدخول إلى وكرهم كي ينقذها من جديد
ظل يراقب حتى غفا ذاك الساحر بالخارج
فتسلل خلسة ثم وضع منديلاً على أنفه كي
ينام ولا يستيقظ حتى ينتهي من إنقاذ
كنده، دخل المنزل فوجد قبيح الوجه
ينتظره أمامه مباشرة فقال:

- مرحبا بك يا سعد، كنت أنتظر قدومك
هنا لقد افتقدتك كثيراً.

- إذا ستشبع مني اليوم كي لا تفتقدني
ثانية.

- لدي سؤال لماذا تحاول لعب دور البطل

مع تلك المرأة هل تذكرك بزوجتك؟

- لا، تذكرني بك أنت لن أدعك تمسها

بيديك النجسة، رغم أنني أعلم أنك لا

تستطيع أن تمسها من الأصل.

- تعلم يا سعد أنا أشفق عليك حقًا،

إنسان بائس سأعرض عليك اتفاق بيننا،

أقوم بإزالة ذاك السحر عنك لتعود

إنسان طبيعي وتترك لي الفتاة.

- ألا تكفيك واحدة يا نجس معك هناء

علمت ذلك أيضًا.

- يبدو أن هناك من ينقل أخباري إليك

يا سعد.

- لا ينقلها أحد أعلم كل ما فعلت بها وحتى
ما يفعله الساحر.

- إذا هل أنت مو افق على عرضي يا سعد؟

- تعلم أني لن أفعل شيئاً مما تقول؟

- دائماً تختار الاختيار الصعب، عليّ أن
أقاتلك كالعادة أبرحك ضرباً وأمشي
منتصراً عليك.

- لكن تلك المرة لم تكن لتنتصر فأنا لست
وحددي.

- من معك يا سعد لا أرى أحد أبدا معك.

- انظر خلفك الآن لترى من معي يا نجس.

نظر خلفه فإذا بسليم وكنده و اقفين

خلفه مباشرة يقرأون القرآن وهو أمامهم
يتعذب ويتألم ، يحاول الفرار لكن سعد
كان يرشه بشيء بدا كأنه ماء في زجاجة
وهو يقرأ معهم آيات العذاب حتى احترق
أمامهم مباشرة لكنه قبل أن يحترق كاملاً
قال:

- لن تنفذ بفعلتك يا سليم لن يتركك من
خلفي.

قاموا بأخذ هناء ورحلوا جميعاً من ذلك
البيت المهجور لكن كان هناك مراقب لما
يحدث من بعيد توعد لهم بالهلاك جميعاً.

* * *

وضع سليم أخته في مشفى الأمراض

النفسية ووضع رقم هاتفه طالبًا منهم
 الاهتمام بها جيدًا، رحلا من المشفى قام
 بتوصيل كنده إلى المنزل فوجدوا عزاءً
 كبيرًا، دخلت مهروله تبكي قائلة:

- ماذا حدث من توفي؟

ابتسم من في المنزل جميعًا قائلين:

- أنت على قيد الحياة اللهم لك الحمد
 ظننا أنك من مت.

- أنا بخير الحمد لله، من أخبركم أنني ميتة؟

- لم يخبرنا أحد لكننا رأينا صورة لك
 وانت تنزفين.

- أين ابني أريد رؤيته من فضلكم.

- نائم في غرفته مع آية تهتم به منذ أن جاء.
 - لحظة يا زوجة أخي كيف عدتِ وحدك
 هكذا؟

سألها أحمد متعجبًا لعودتها المفاجئة.
 - لقد ساعدني سليم ابن خالتك على
 الهرب من ذاك الشيء والساحر الذي
 معه.

- سليم فعل ذلك، لكنه اتصل طالبًا
 الفدية.

- أي فدية تتحدث عنها، لقد ساعدني حتى
 أنه من أحضر محمود إليكم قبل عودتي
 كي لا يؤذي.

- حسنًا اذهبي لترتاحي قليلاً ثم لنتحدث لاحقًا إن شاء الله، لأن اخيك قادم بعد قليل.

ذهبت إلى الطابق العلوي مسرعة لترى قلبها الصغير فدخلت الغرفة وجدتهما نائمين حمدت الله عز وجل جالسة إلى جوارهم.

تحدثت قاسم مع أحمد قائلاً:

- بما أن ليس هناك عزاء هل يمكنني أن أطلب أختك ملك للزواج مرة أخرى؟

ابتسم أحمد له قائلاً:

- هي هناك كنت قد أخبرتها بالأمر سأسألها فقط هي موافقة أم لا.

قال قاسم:

- لحظة هل يمكن أن ترفضني؟ أتظن ذلك.

- نعم هي أختي، أعلم أنها عنيدة بعض الشيء لكنك شاب جيد تتمناك أي فتاة.

- حسنا لتسألها من فضلك الآن.

- أرى أنك متعجل قليلا.

- لا ولما العجلة على راحتك.

قالها قاسم مرتبغا، ضحك أحمد عليه ثم ذهب إلى جانب ملك فسألها عن رأيها في

قاسم فقالت:

- أخبرتك أنه متعجرف لا أطيقه.

سمعها قاسم لأنه كان على مقربة منهم
فقال:

- من تنعتين بالمتعجرف أيتها العنيدة
المتسلطة؟

اشتعلت غضبًا قائلة:

- أنا متسلطة وعنيدة من تظن نفسك
أخبرني هيا من أنت لتحدثني هكذا. وعلا
صوتهما فانسحب أحمد بهدوء.

- أين تذهب يا أحمد؟

سألته ريتاج بغرابة، رد عليها:

- هناك شيء مهم يجب أن أعرفه من
زوجة أخي، كيف عادت وحدها؟ ماذا

حدث معها؟

أثناء ذهابه أوقفه قدوم رامز ونادر فتهلل
قائلاً:

- لقد عادت هي الأخرى بفضل الله.

فرح نادر ثم طلب رؤيتها فأخبره أحمد أنه
تركها تصعد لرؤية الصغير وترتاح قليلاً
فجلس نادر.

- سيد أحمد هل يمكنني طلب شيء منك؟

- بالطبع يا سيد رامز تفضل.

- ليس بخصوص القضية سنغلقها إن
شاء الله بعد أخذ أقوال السيدة كندة
بعدها ترتاح.

- حسنا، فيما تريدني؟

تلعثم قليلاً ثم قال:

- أريد طلب يد أختك!.

ضيق أحمد عينيه ثم أردف:

- عن أي أخت تتحدث.

- عن أختك آية أريد أن تصبح زوجة لي

بعد موافقتك وموافقتها طبعاً.

- الحمد لله ظننتك ستطلب ملك.

- لا لم أكن لأفعل ذلك فهي متسلطة

بعض الشيء، لكن آية تبدو شابة طيبة

وحنونة.

- رامز أنت تتحدث عن إخوتي أمامي انتبه

لذلك.

- أعتذر منك يا سيد أحمد آسف.

ارتسمت على وجه أحمد ابتسامة ثم قال:

- لا تعتذر لكن لا تكرر الأمر ثانية.

- لكن اعذرني يبدو أن قاسم في مشكلة

ستأكله أختك حيًّا، ألا تظن ذلك.

فغر أحمد فاهه مردفًا:

- لا تقلق سينتهي هذا النقاش الحاد

بالموافقة على الخطبة إن كان قاسم ذكيًّا

- كيف يفعل ذلك؟ هل تظن أنه سيتمكن

من ذلك؟.

- نعم أظن ذلك لأنها لم تعتد افتعال

المشكلات مع أحد.

- لا أعلم لكنني أظن أنهما لن يتفقا.

- لا تظن شيئاً الآن فأنت في نفس موضعه.

قالها أحمد تارگًا وراءه رامز في توتر شديد.

تدخلت ريتاج بينهم قائلة:

- هل ستظلون هكذا كالأطفال في كل مرة

تتقابلون؟

أخرجت الاثنان بكلماتها تلك فانزعجوا

قائلين:

- نحن لسنا أطفالاً ألا ترين ذلك.

ردت عليهم:

- لا أرّسوى أطفال ضخام البنية أمامي.

صعد أحمد ليتحدث مع آية فسمعها
تتحدث مع زوجة أخيه عنه و عما فعل
أثناء غيابها، فبدأ يحدث نفسه بما كان
يفكر أن يطلب منها قبل أن تختطف هي
والصغير ثم قال:

- ليس الآن سأحدثها في ذلك لاحقًا بأمر
الله.

دق الباب فسمحت له آية بالدخول فقال:
- كيف حالكم جميعًا أريدك في أمريا آية
تعرفين رامزوكيل النيابة صديق نادرا!
- نعم أعرفه بالطبع.

- طلب يدك مني للزواج.

اندهشت لقوله سائلة:

- كيف حدث ذلك؟

قال أحمد:

- هكذا أريد الزواج من أختك آية!

- سخيف يا أحمد قل الحقيقة.

- والله ذلك ما حدث ليس إلا.

- حسنا سأفكر في الأمر.

ردت عليه آية بجديه.

- حسنا كما تريدان أنا أخبرته بذلك من

الأساس.

رفعت آية حاجبها قائلة:

- طالما أخبرته بذلك لم تخبرني!

قال أحمد في تهكم:

- إن لم أخبرك وو افقت سترفضين طبعًا
أعلم تفكيرك جيدًا لذلك أخبرتك ليس
إلا.

و ابتسم لها ساخرًا.

- اخرج يا غليظ من هنا لأفكر وحدي.

- هل ستبدأين بالتفكير من الآن؟

- حسنا كنت أظنك ستقولين أمهلني شهرًا

لأفكر لكن يبدو أنك مو افقة.

قالت له بجدية مصحوبة بغضب:

- اخرج من غرفتي الآن يا سخييف هيا.

ظل واقفًا واضعًا يديه في جيبه فقال:

- تلك ليست غرفتك لتخرجيني منها ركزي قليلاً، هل ستفقدين التركيز من الآن ماذا سيحدث إن تمت الخطبة هل سيكون الوضع أسوأ.

وجه بصره إلى السماء وهو يقول:

- يا رب رزقتني أختين مخبولتين ألهمني الصبر عليهن.

قامت آية وملك الذي دخلت لحظة قوله ذلك بضربة بالوسادات المجاورة لهم فخرج مسرعاً من الغرفة كي لا ينقضوا عليه كلتاهما و أثناء هروبه أخبرهم بقراره بخصوص ملك وقاسم قائلاً:

- تجهزوا لخطبة ملك على قاسم يوم
الخميس المقبل ان شاء الله.

سألتا في حيرة:

- هل وافقت ملك عليه؟

- لا تجرؤ على الرفض أمامي أعلم من
تصرفاتها أنها تريده.

* * *

بعد مرور أسبوع جاء اليوم المنشود وتجهز
الجميع، كان السرور يعم المكان الذي هم
فيه، قاعتين للأفراح الإسلامية كانت
ترتدي ملك فستاناً أرجواني مع لمسات
خفيفة جداً من المساحيق التي لم تزدها
إلا جمالا وآية وكنده وريتاج يرتدون

فساتين لونها وردي جميلة محتشمة دون
 وضع أي مساحيق كان المكان يعمه
 السعادة والفرح حتى جاء ذلك الساحر
 الذي كان مع قبيح الوجه فوضع شيئاً في
 المكان الذي هم فيه فاشتعلت النيران ثم
 تحدث بلغته الهندية قائلاً:

- لن ينقذكم أحد من ذلك السحر السفلي
 تلك المرة.

أظلمت القاعة فجأة فصرخ النساء
 وتمسكت كنده بطفلها بشدة حتى لمستها
 يد ساخنة جدا تبدو مشتعلة نظرت على
 تلك اليد فوجدتها تشبه تلك اليد التي
 رأتها مسبقاً فصرخت عالياً وسارت تلك

الرجفة الباردة في جسدها هرول أحمد
إليها فسحبها من يديها وأمسك الصغير
بقوة وجعلها واقفة خلفه، كان هو وذاك
الساحر ينظران لبعض ليتواجهان.

وحي القلم

الفصل العاشر

نهاية الطريق

كانت السعادة تعم المكان حتى جاء ذلك
 الساحر القبيح إليهم، الجميع في ذهول
 وترقب لا أحد يفهم ما يقول باللغة
 الهندية كان التيار الكهربائي منقطع حتى
 أصلحه نادر وباسم لكنهم تفاجأوا عندما
 عادوا ووجدوا ما يحدث بين الساحر
 وأحمد اللذان يتواجهان معا بالكلمات
 والآخر يتحدث كلمات غير مفهومة لكن
 ظل أحمد يكيل له الضربات حتى سقط
 أرضاً قائلاً:

- لم أكن أعلم أنك قوي البنية كذلك يا

أحمد يبدو أننا أخطأنا في تقدير قدرتك.

رد عليه أحمد:

- تتحدث العربية إذاً، ماذا تريد؟ من أنت؟

تحدث وإلا قتلتك الآن بين يدي تلك.

تحدث إليه الساحر ساخرًا منه:

- لن تستطيع قتلي يا أحمد فأنا معي من

سيقوم بقتلك أنت الآن وقتل تلك المرأة

التي خلفك تمامًا، ترى لماذا تحميها

وتساعدتها يا أحمد أنت لست قوي البنية

فقط لكن عندك أخلاق على ما يبدو.

- حقًا هذا ما تظنه عني إذاً.

نظر إلى الأرض ثم أعاد النظر إليه ثانية

بغضب جعل عروقه بارزة جدًا ثم أردف
قائلًا:

- لكن تلك الأخلاق لن تمنعني عن قتلك.

تحدث بصوت خشن جدًا تلك المرة حتى
فهم باسم وأحمد أن هناك شيء يتحكم
بذلك الساحر ليس شيئًا بشريًا فوقًا
سويًا بعدما أشار أحمد لنادر وقاسم أن
يخرجوا الجميع من هنا ظلوا ثلاثهم في
المكان يحاولون التخلص من شر الساحر
الهندي.

سأله باسم:

- من أنت وماذا تريد؟

- أنا من قتلتم شخص من عشيرته منذ

مدة يسيرة، قتله سعد، تلك المرأة
الواقفة خلفكم هي من أريد فابتعدوا كي
لا أؤذيكم.

ابتسم أحمد بسخرية مردفًا:

- هل تظن أنني سأتركها وأرحل كما تريد؟
رد عليه:

- الأفضل لك أن تفعل ما أمرك به وإلا..

- وإلا ماذا، قطع أحمد حديث الساحر
بسؤاله أجبني وإلا ماذا ستفعل هل
ستقتلني؟

- نعم سأقتلك كما قتلت قريبك الذي
أعان على قتل صديقي.

- تصدق لقد أخفتني.

قالها أحمد بسخرية شديدة.

نظر أحمد إلى باسم وبدأ بقراءة آيات العذاب وهو ممسك بجسد الساحر بين يديه ظل أحمد وباسم يكرران القرآن حتى بدأ جسده ينتفض بين يديهم كانت كنده لازالت واقفه خائفة مما قد يحدث لكن أتى نادر من خلفها فسحبها بقوة وأخذها وطفلها للخارج سائلاً إياها:

- هل أنت بخير يا أختي؟

ردت عليه:

- نعم أنا بخير، لكن لماذا لا ينتهي كل ذلك

يا نادر مع موت الاول؟

تعجب نادر سائلًا:

- هل ذلك شيء غير الأول؟

قالت:

- نعم لقد قال إنه صديق للأول.

- يا الله متى ينتهي ذلك الكابوس المرعب،

هل كلما انتهينا من أحدهم يأتي آخر لماذا

يحدث كل ذلك؟

قالت:

- لقد أخبرني سليم أنه سحر سفلي متجدد

دفن في مقبرة شخص لكنه لم يستطع

معرفة من هو لموت أمه قبل وصوله، هناك

من أخبرته بذلك عندما عاد من سفره.

- إذا ذلك سحر متجدد لن ينتهي.

قالها نادر بحزن شديد.

- لا يا أخي أخبرني رفيق رحمه الله أنه ينتهي

بإذن الله تعالى لا تيأس.

- لكنه مدفون مع ميت كيف نعرف من هو

ذاك الميت؟.

اقترب رامز منهم قائلاً:

- لماذا لا يكون موجود مع من تظهر لنا منذ

البداية؟

- تقصد شهادة لكن كيف؟

- لماذا تظهر منذ البداية ما علاقتها

بالأحداث كلها لماذا تقول جدوا من قتلني

وهي تعلمه؟

رد عليه نادر:

- أنت محق يا رامز يبدو أن هناك علاقة
بينها وبين ذلك وإلا لماذا ظهرت من
الأساس؟

- سأحاول البحث عن سعد ليساعدنا في
العثور على جثتها.

- هو يعلم يا نادر فهو أخفاها عن فرج منذ
مدة كي لا يضع سحراً في قبرها هذا ما
علمته منه.

- إذا علينا إيجاد سعد لنوقف كل ذلك،

لكن كيف سنجده يا رامز لا أعلم.

كان نادري في حيرة من أمره.

قالت كنده :

- لماذا لا نسأل سليم فهو يعلم كيف يجده
إذا احتاجه.

- كيف علمت ذلك يا أختي؟

- عندما خطفت سمعته يتحدث معه عن
ذلك أذكر أنه قال له تعرف كيف تجدني يا
سليم؟

* * *

بالداخل أحمد وباسم أوشكوا على إنهاء
أمر الساحرومن معه لكن فجأة ظهر خيال
أسود كبير خرج من ذلك الساحر بدا كأنه

دخان لكنه ليس كذلك لم يهتز شعرة منهما
وظلوا يقرأون القرآن حتى احترق وهو
يستغيث كي يرحموه حتى تم القضاء
عليه، خرجا سويا من القاعة ممسكين
بذلك الساحر الهندي وأعطوه لنادر كي
يحبسه، ذاك الدجال أخذه نادر فلطمه
بقوة على وجهه حتى أسقطه أرضاً وظل
يكيّل له اللكمات فأمسكه رامز قائلاً:

- كفى يا نادر لا تنسى أننا مازلنا في قاعة
الأفراح والنساء والمدعوين من العائلتين
في القاعة الأخرى لا يعلمون شيئاً مما
يحدث هنا، خوف العروس وغيابنا بدأ
يقلق البعض علينا الدخول بعد إرسال

ذلك الساحر للحبس حتى نرى ماذا
ستفعل معه؟

رد نادر:

- أنت محق يا رامز خذه قيده بشيء حتى
ينتهي الحفل ونأخذه سويًا.

* * *

دخلوا جميعًا إلى الحفل لكن بقي أحمد
وباسم بالخارج فسأل باسم:

- أين تعلمت ذلك يا أحمد؟

رد أحمد بتعجب:

- لما تسأل ذلك؟

رد باسم مستنكرًا:

- لا شيء يبدو أنك متمكن من ذلك فقط
لذلك أسأل.

قال أحمد:

- الحمد لله على حفظ القرآن كان أبي
رحمه الله مهتمًا أن يكون أبناءه جميعًا من
حفظة القرآن، لما حدثني رفيق عن أمر
زوجة أخي وما يحدث معها أعطاني بعض
الأوراق بها كيفية القضاء على جن
متسلط وأشياء من هذا القبيل فقرأتها
وعلمت كيفية رحمه الله رفيق وسائر
موتانا وجزاك الله خيرًا على المساعدة،
لكن بدا لي أنك تعلم كل ذلك أيضًا.

- نعم أعرف كل ذلك فقد تعرضت زوجتي

لذلك الأمر مسبقًا وقرأت عنه بحكم عملي
في الطب الشرعي رأيت الكثير من تلك
الأمور، ولا تنسى أني في تلك القضية قبل
معرفتك بزوجة اخيك.

- على ذكرك لزوجة أخي أتمنى ألا أراك
جوارها ثانية لا يصح ذلك ثم زوجتك
تغضب لذلك أرى ذلك بعيني.

ابتسم له باسم:

- نعم زوجتي تغضب لكني لا أفعل شيئًا
لكندة هي ابنة عمي فقط أطمئن عليها.

- إن أردت الاطمئنان عليها يمكنك ذلك
من خلالي أنا.

- لماذا أطمئن منك ويمكنني سؤالها

بنفسي؟.

- حسنا يبدو فهمك ثقيل بعض الشيء،
أخبرك بذلك لأنني لا أحبذ أن تسألها
مباشرة فهمت أليس كذلك.

- نعم فهمت لكن ما دخلك أنت بها؟

وضع أحمد يده على ذقنه متعجبًا لكن بدا
أنه غاضب فقال:

- حقًا يا دكتور باسم لا أريد ضربك اليوم
خصوصًا أن اليوم حفلة خطبة أخيك.

- وهل احترمت أنت أنها خطبة أخي على
أختك المصونة اليوم؟.

تدخل رامز مسرعًا:

- يا شباب كفى جدلاً يسأل عنكم
الضيوف بالداخل ألن تدخلوا القاعة،
هيا كفاكم عبثاً هنا.

نظر له أحمد شذراً قائلاً:

- أتمنى أن تكون فهمت كلامي يا سيد
باسم كان ذلك تحذير فقط.

أخذ رامز أحمد من ذراعه سائلاً:

- هل يمكن أن نترك باسم الآن؟ ماذا حدث
في أمري؟

رد احمد أثناء غضبه:

- ما ذلك الأمر الذي تسأل عنه؟

ازدرد رامز ريقه قائلاً:

- هل نسيت اخبار أختك بأني طلبت يدها
منك؟

قال أحمد:

- لا، أخبرتها منذ طلبك ذلك لكنها طلبت
مهلة للتفكير.

استبشر رازقائلاً:

- متى ستجيب لقد مر أكثر من أسبوع؟.

- انتظر قليلاً فهي لا تحب القرارات
المتسرعة، تمهل وسأخبرك قريباً بإذن الله.

- حسناً سأنتظر لكن، هل يمكنني سؤالها
بنفسي؟.

- أعتقد أنك رأيتني منذ قليل مع باسم في

- خلاف أتدري لما الخلاف بيننا.
- وما أدراني بسبب خلافكم؟.
- ظننت أيضاً أنك لم تستمع لما قلت له،
كان ذلك لأنه يسأل زوجة أخي عن حالها
كلما وجدها تقف وحدها.
- ابتلع رامزيقه قائلاً:
- والله كنت سأسأل فقط عن رأيها.
- أعلم وهو أيضاً كان يسألها عن حالها، لا
تحكي كثيراً بشيء لن يحدث حسناً، لا
تجعلني أغضب أكثر.
- حسناً كما تريد، لن أتحدث إلا عندما
تخبرني.

- عن إذتك يا سيد رامز.

- تفضل يا سيد أحمد.

* * *

باسم يدخل القاعة غاضبًا يقترب منه

قاسم وخلفه منار وطفليها ليطمئنوا عليه.

قال قاسم:

- أخي ماذا حدث هل انتهى الأمر؟

- نعم يا قاسم أعتقد أنه انتهى هذه المرة.

- كيف تعتقد؟ كيف نتأكد من ذلك؟

- لو كان رفيق معنا لتأكدنا لكن رحمه الله

لم يخبرني كيف أستطيع التأكد من انتهاء

الأمر.

تمهد قاسم مطولاً ثم سأله:

- لماذا أنت غاضب الآن أخبرني؟

- لا شيء ذلك الشخص أحمد أغضبني قليلاً.

- لماذا يا ترى ماذا فعلت له ليغضب؟

- لا شيء غضب لأني اقف للتحدث مع كنده للاطمئنان عليها.

- حقاً غضب لذلك فقط، اسمع يا باسم

إن أحمد شخص سريع الغضب وهو

يتحمل أعباء أسرته كلها وحده وهو لا

يحب أن يضايق أحد نساء أسرته.

- لكنها ابنة عمنا يا قاسم.

تدخلت منار بالحديث:

- ألهدا الحد تعجبك زوجة أخيه وابنة عمك تلك يا باسم.

انسحب قاسم من الحديث بهدوء قائلاً:

- سأذهب كي أرى عروسي كانت خائفة عن إذنتكم.

نظر إليه باسم قائلاً:

- وهل يترك الاخ أخيه في ذاك الوقت؟

- اعذرني يا أخي تعلم اليوم خطبتي وأتمنى الجلوس معها دقائق فقط.

أثناء سيره التصق بصديق فقال له:

- صديقي الصدوق ماذا أخبرتك مسبقاً

علمت أنك تحب الفتاة منذ وقت
مشاجراتكم معا.

- أتدري يا صديق لقد كنت محق يبدو أنني
كنت معجبًا بها وأخدع نفسي.

ابتسم صديق:

- الفتاة جميلة لا ننكر ذلك لكنك أيضًا
تستحقها يا فتى بعد ذلك تصدق ما أقول.
غضب قاسم قائلاً:

- هل تغازل زوجتي أمامي يا صديق كيف
تجرؤ؟

صديق:

- لا أجرؤ يا قاسم لم أفعل أنا أتحدث

معك فقط.

قاسم بحدة:

- إذا تحشم و أنت تتحدث عنها أمامي.

صديق:

- آه يا ربي لقد أخذت عدوى الغضب من

أخيها ليحفظك الله من تلك العائلة.

لكمه قاسم في كتفه بقوة قائلاً:

- إنها عائتي الآن يا صديق كما ترى اليوم

الخطبة وبعد أسبوعين العقد إن شاء الله

تعالى أنا أنتظر ذلك اليوم بفارغ الصبر.

صديق سائلاً:

- لما العجلة يا قاسم؟ أليس لها أخت يا

فتى هل خطبت أختها أخبرني؟

- كل معلوماتي أن رامز طلب يدها لكن لم
ترد هي بعد.

- تقصد رامز وكيل النيابة، لا يرفض طبعًا
شخص مثله، يقولها صديق محدثا
نفسه، الآن لا مجال لي لخطبة أختها، ترى
هل تقبلني ابنة عمك الجميلة تلك.

على مقربة منهم كان يقف أحمد فتوجه
إليهم في غضب مصطنع قائلاً:

- يا قاسم هل يصح أن يتحدث صديقك
عن ابنة عمك أمامك هكذا؟

قاسم يجيب:

- لا يا أحمد لا يصح ذلك طبعاً هو لم
يقصد.

أحمد بغضب بالغ:

- يبدو أنني أخطأت في موافقتي على
خطبتك من أختي.

- ما لي أنا به هو مجرد صديق أخطأ
سأعلمه خطأه وأعدك لن يكرره ثانية.

سحب قاسم صديقه من أمام أحمد
متوجهاً بسرعة إلى ركن بعيد في القاعة،
ابتسم أحمد ابتسامة خفيفة قائلاً في
نفسه:

- يبدو أنني أصبحت أخيف الجميع هنا.

- تخيفهم جميعاً إلا أنا.

قالت لها له ريتاچ بابتسامة.

- نعم فأنت قلبي لا يعرفني أحد سواك يا

حبيبتي.

ابتسمت له وتصبغ وجهها حمرة قائلة:

- هل ستظل تحبني هكذا كل عمرنا معا.

- نعم سأظل أحبك إن شاء الله تعالى،

تعلمين شيئاً كنت أحبك منذ اليوم الأول

الذي رأيتك فيه أثناء مقابلتك لتعملي

معنا في شركتنا بألمانيا لكني كنت خائفاً ألا

يوافق والدي لأنك كنت غير محجبة ولا

تعلمين شيئاً عن عاداتنا بمصر، لكنك

تغيرت بعد ذلك وكل شيء تغير.

- سأخبرك أمرًا يا أحمد؛ تمنيت أن تكون
 معي أيضًا منذ ذلك اليوم وحدثت أمي
 عنك فأخبرتني أنكم في مصر عاداتكم
 مختلفة عنا فأصبحت أقرأ كل شيء عن
 مصر وعاداتكم لأنني أيضًا والدي مصري
 لكنني لم أراه قبل ذلك كما تعلم، حتى
 قابلت إخوتك وعلمت عنك كل شيء من
 ملك فمهي تقع بالكلام بسرعة جدا، ثم
 خططنا سويا لكي تحبني كما أحبك.

- من أنتما؟ تقصدين أنت وملك أختي.

- نعم انا وملك خططنا سويا.

- لذلك أنتم أصدقاء، علمت ذلك الأمر
 منذ البداية لكنك أكدت لي ذلك الآن.

- ماذا تقول يا أحمد ألا تحبني كما أحبك؟

- يبدو يا ريتاج أن ذلك الحب مصطنع مما فعلتموه من خطط مسبقًا.

ارتسمت الكآبة لوهلة على وجه ريتاج لما قال أحمد.

فأمسك يدها قائلاً:

- هل ظننت أنني لا أريدك يومًا؟.

ردت عليه بحزن:

- لكنك قلت الآن أنك أحببتني بسبب خططي مع ملك.

- أريد إخبارك بشيء هام لا زواج يحدث نتيجة تخطيط مسبق فكل ذلك قدر كتب

اللّٰهُ لَنَا مَسْبِقًا كَيْفَ سَتَكُونُ حَيَاتِنَا مِنْ
 سَنَصَادِقُ وَمِنْ سَنَتَزُوجُ وَكَمْ عَدَدُ
 أَطْفَالِنَا، كُلُّ شَيْءٍ مَكْتُوبٌ عِنْدَ اللّٰهِ عَزَّ
 وَجَلَّ، فَلَا تَحْزَنِي الْآنَ.

- حسنا.

* * *

ملك تقف مع آية و كنده ترى قاسم يسير
 إليها متعجلاً فتقول:

- إنه قادم ماذا أفعل الآن يا آية؟

- لا تفعلي شيئاً كوني على طبيعتك، ولا

تنسي لا تدعيه يمسك يدك اتفقنا.

- حسنا يا آية قال لي أحمد ألا أدعه يفعل

تلك أحفظها أقصد ماذا أقول له يعني إن
سألني عن شيء أسرعى إنه يقترب بسرعة،
يا الله لقد وصل اصمتي الآن.

- مساء الخير يا بنات كيف حالكم؟

قالها قاسم أثناء توجهه إلى ملك، فأمسك
به أحمد من الخلف قائلاً:

- انهم بخير ماذا تظن نفسك فاعل؟

تلعثم في الحديث قائلاً:

- لا شيء أتيت للتحدث مع خطيبتي.

- ألم أخبرك ألا تأتي وهي بمفردها؟

- نعم فعلت ذلك.

- وهل هي تقف بصحبة أحد أم وحدها؟

- لم تكن وحدها كانت أختها هنا وابنة عمي، تلفت قاسم يمينًا ويسارًا فلم يجدهم أين ذهبوا والله كانتا هنا.

ابتسمت ملك لأحمد قائلة:

- ألا يمكننا التحدث يا أخي مطلقًا؟

حرك قاسم رأسه قائلاً:

- لا أدري هل يمكننا يا سيد أحمد التحدث أم لا؟

- لا يمكنكم طبعًا هل أمزح أنا؟

- لكن كيف ذلك لقد خطبتها منك كي

أستطيع التحدث معها؟

- تتحدث معها أمامنا جميعًا وليس

بمفردك، سمعت يا قاسم.

- هل يمكنني سؤالك عن شيء يا أحمد؟

- تفضل.

قالها أحمد بثقة.

- هل كنت تتحدث مع زوجتك أثناء

خطبتكم؟

- لما تسأل ما دخلك أنت بي وبزوجتي،

سأمهلك خمسة عشر دقيقة ثم سأخذ

أختي إلى جوارِي.

ابتسم قاسم قائلاً:

- كافية تلك مدة كافية بالنسبة إلي.

قال أحمد:

- لا تفرح كثيراً ساكون على مقربة ممنوع
أن تلمس يدها حتى فهمت.

* * *

انتهى الحفل وذهب الجميع كل واحد منهم
إلى منزله وتوجه أحمد وأسرته إلى القصر
الكبير فصعدوا جميعاً إلى غرفهم وبقي هو
بالأسفل يجلس مع الصغير محمود
يتحدث إليه ويداعبه ريثما تنتهي أمه من
إعداد طعامه المفضل وحالما وصلت
بالطعام قال لها أحمد:

- هل يمكنني التحدث إليك قليلاً؟

ردت عليه:

- نعم ماذا هناك؟، أولاً هل انتهى الأمر كله

أخبرني نادر أنه سيذهب إلى منزلي مع رامز
غداً بإذن الله تعالى هل ستكون معهم.

- أريد التحدث معك في شيء آخر، أولاً
ذلك باسم لا أحب أن يقترب منك كثيراً،
ثانياً أنا أريد الزواج منك لا تجيبي فوراً
فكري على راحتك لكن أريدك ان تعلمي أنا
لا أفعل ذلك لأنني أحبك او شيء من هذا
القبيل، لكن لأجل أن يكبر الطفل في بيتي
ومعي أريد الزواج منك.

ردت عليه بتعجب:

- وماذا عن ريتاج إنها أوشكت على الولادة
ألا تظن أنك تظلمها إن فعلت!

- سأحدث معها في الأمر بعد وضعها

للطفلين بإذن الله تعالى، هي تعلم أنني
أحبها.

زادت حيرتها فقالت:

- وهل المحب يفعل ذلك؟ أنت ظالم لها.
- لا تقولي عني ظالم أقول أنني سأحدث
معها في الأمر.
- أنت ظالم لو كنت مكانها لطلبت منك
الطلاق وفارقتك.

علا صوت أحمد قائلاً:

- ألا تفهمين أقول أريد الزواج منك لأجل
الطفل لن أجعل ابن أخي يتربى مع شخص
غيري.

كانت آية وريتاج على الدرج للنزول إلى
الاسفل فسمعوه وهو يتحدث بغضب ثم
وقفنا مكانهما وسمعنا كنده تخبره:

- تلك الأحداث التي عايشتها في تلك الفترة
من حياتي وما حدث من تواجدي في
عائلتكم تمنعني من الإرتباط بأحد منكم
ثانية، ولا حتى من غيركم أشعر بالخوف
لمجرد التفكير في الأمر.

رد عليها قائلاً:

- لكن ما دخلك بما يحدث لنا، ثم إن كل
ذلك قدر ونحن بالدعاء نحاول أن يرفعه
الله عنا وينجيننا جميعاً.

صمتت لبرهة ثم أردفت:

- وهل ما حدث لباسم يدخل في ذلك أم لأنه أراد حمايتي مما يحدث لي منذ أن رأيته، وحقاً أشعر برغبة كبيرة في السفر والهروب من هنا حتى لا يؤذى شخص آخر بسببي.

- أرجوك لا تقولي ذلك فنحن الآن سيدخل عائلتنا فرد جديد ويجب أن نستبشر خيراً، وخطبة "ملك" أنت السبب فيها أنسيت أنك السبب في معرفتنا بهذا الشاب المتهذب وطلبها مني ووافقت لأنه من عائلتك، أحببت أن نترابط أكثر، استميحك عذراً لا تذكرني "باسم" أمامي كثيراً فقد يحدث له أكثر مما حدث مسبقاً.

صعقت لما قال فأخبرته أنها ستفكر بالأمر
 وطلبت منه عدم إقحام باسم في أي
 موضوع وألا يذكر اسمه طالما يستفزه
 ذلك، ورحلت، حاول كظم غيظه وهو
 مكور قبضته فقام بضرب قبضته في يده
 الأخرى ثم ذهب ليتمرن ويفضي جل
 غضبه في التمارين الرياضية، كانت كنده
 تصعد الدرج بالصغير لتذهب إلى غرفتها
 فرأت آية وريتاچ و اقفتين على الدرج، رأت
 ريتاچ تبكي في صمت مرير أزعجها ذلك ثم
 ذهبت إليها فربتت على كتفها قائلة:

- لا تقلقي يا ريتاچ لن آخذ زوجك منك فهو
 يحبك وكلنا نعلم ذلك.

هرولت ريتاچ على الدرج نزولاً قائلة:

- دعيني سأحدث معه الآن.

تهرول مسرعة، طلبت منها آية التمهّل كي
لا تسقط على الدرج لكنها لم تستمع لها ولا
لكنده التفتت لكلاهما قائلة:

- أعلم أنك تضعين عينك عليه يا كنده
منذ مجيئي إلى هنا، توقعت أني انتصرت
بزواجي منه لكني علمت أني مغفلة أنت
تتصنعين الطيبة على عكس ما بداخلك
نظرتي بك لم تخب أبداً.

حزنت كنده لما قالت فربتت آية على كتفها
قائلة:

- هي غاضبة لا تحزني تعلمين أننا لا نظن

بك إلا الخير.

فجأة صرخت ريتاج بصوت عال جدا
فنظروا إلى الأسفل وجدوها ساقطة على
الأرض هرول أحمد مسرعًا إليها قائلاً:

- ماذا حدث كيف وقعت هكذا؟

ردت عليه قائلة:

- تريد الزواج منها!

صرخ عاليًا أنت تنزفين، يا آية اطلبي
الإسعاف بسرعة.

نظرت له ريتاج قائلة:

- أنت قتلتني بما قلت لها لقد سمعتك يا

أحمد لقد كسرتني ومحيت حبي من قلبك

بطلبك لها.

رد عليها قائلاً:

- اصمدي يا ريتاچ لا تتحدثي أرجوك فقط

ابقي معي لا أستطيع خسارتك الآن.

- لقد حان وقتي أشعر بذلك يا أحمد، لم

يكن علي سماعك تخبرها بذلك لم يتوجب

علي النزول.

ونامت في سبات عميق، جاءت الإسعاف

فحملوها إلى أقرب مشفى ودخلت غرفة

العمليات ظلت حوالي ساعتين قام

الطبيب بخياطة جرحها ووضعت طفلين

جميلين، خرج الطبيب من الغرفة أخبرهم

أن:

- وضعها سيء للغاية واستطعنا إنقاذ
الطفلين بفضل الله تعالى، هي الآن في
غرفة الرعاية المركزة سنحاول أن نفعل ما
بوسعنا لكن يجب أن تكون على استعداد
في أي وقت لرحيلها إن لم نستطع إنقاذها.
حزن أحمد فبكي لم يستطع تمالك نفسه
حاولت آية مواساته فأخبرها أنه سيخرج
قليلاً ليستنشق بعض الهواء، عاد بعد
ساعتين إلى المشفى فوجدهم يبكون فعلم
أنها ماتت وفارقتة مدى الحياة فتذكر أمه
قائلاً:

- لقد ماتت بسببي وسيعيش أطفالي بدون
أم كما عشت أنا.

* * *

- كيف هربت من المشفى ألم أوصيكم أن
تأخذوا كافة الاحتياطات اللازمة كي لا
تهرب أي مشفى خاص هذا الذي يهرب منه
المرضى بسهولة.

كان سليم غاضبًا لا يعلم ماذا يفعل فقال:
- يجب علي إيجاد سعد بسرعة.

تلك الغصة التي تبقى بقلبك بعد فقد
عزیز عليك، لن يستطيع أن يشعربها إلا
شخص فقد مثلك.

لن يتحمل تلك الندبة أحد، لن يرى حزنك
أحد.. حاول أن تنسى الأحزان فكل ما
يحدث لك قدر.. حاول أن ترضى بأقدار
الله فكل ما بها هو خير.

الفصل الحادي عشر

فقد مؤلم

ظل جالسًا في غرفته مع ما تبقى له من ذكريات معها.. حبيبته التي فقدتها بسبب كلمة قالها، ظل يبكي مطولًا حزنًا عليها، قلبه يؤلمه لمجرد إحساسه أنه السبب فيما حدث لها، فتح هاتفها وهو ما تبقى منها له، فوجد صور له يبدو أنها كانت تلتقط صورته على غفلة منه، علم كم كانت تحبه وهو حقًا ظلمها بما قال، لم يكن يعلم ردة فعلها في ذلك الأمر.. كان يعلم حتمًا أنها سترفض، لكن توقع أنها ستستجيب له لعلمها أنه يحبها حبًا جمًّا،

ظل أحمد على ذلك الحال في غرفته لا يخرج منها، لا يتناول الطعام جيدًا حتى أنه لم يرَ أولاده إلا يوم ولادتهم، ذاك اليوم الذي خسرها فيه سيكون مؤلمًا جدًا.. أن يتذكر كل عام يوم وفاتها لأنه يوم ميلادهم أيضًا، دق الباب فدخلت آية فتحت النافذة فتسلت أشعة الشمس للداخل فوجدته جالسًا على الأريكة ممسكًا بهاتف ريتاچ فقالت له:

- يا أخي، أولادك يحتاجونك ونحن كذلك، كفاك عزلة عنا من فضلك.

- اتركيني واخرجي يا آية من فضلك لا أريد التحدث مع أحد.

- أحمد أخي الكبير أحن شخص علينا في
الوجود، نحن نفتقد وجودك معنا
وأبنائك يكبرون، ألا تريد رؤيتهم؟

- ليس الآن من فضلك.

- متى إذن؟ لك أربعة أشهر حبس غرفتك،
متى ستراهم ليعلموا أن لهم أب؟
لم يجيب عليها، لم يعد يغضب كما كان
لكنه قال:

- اتركيني وحدي واخرجي.

دمعت عيناها على حالته وتوجهت ناحية
الباب لتخرج لكن تذكرت شيئاً فوقفت
قائلة:

- بالمناسبة.. تريد زوجة أخي ترك المنزل
ستذهب عند أخيها.

رد عليها أحمد:

- لتفعل ما تشاء لا تخبريني بشيء.. افعلوا
ما ترونه مناسبًا.

تعجبت آية لقوله لكنها بررت ذلك بحزنه
الشديد على فقدانها ولأنه تذكر أمه التي
فقدتها يوم ميلاده أيضًا، قالت في نفسها
فرج الله عنك همك يا أخي.

ملك:

- هل سيخرج من غرفته؟

- لقد رفض يا ملك، تلك الندبة التي تركها

رحيلها في قلبه لا يشعربها سواه.. إنه يشعر
بتأنيب ضمير، لا يستطيع نسيان ما
حدث.

- لكنه لم يفعل لها شيء، هي سقطت كما
أخبرتني أنتِ.

- أعلم يا ملك ماذا حدث وما أخبرتك لكن
ذلك لا يمنع حزنه.

- ألن يرى الأولاد؟ ألن يمنع كنده من
الرحيل بمحمود؟!

- لا أعتقد أنه سيفعل شيء الآن.. هو
ما زال حزينًا، يجب أن نفعل شيئًا، لا يصح
أن نتركها تذهب من هنا هكذا.

* * *

سليم يبحث في كل مكان عن أخته هناء التي هربت من مشفى الأمراض النفسية في ظروف غامضة، لم تظهر حتى في كاميرات المراقبة.. لا يدري ماذا يفعل إلا أن يجد سعد لربما يستطيع مساعدته، عزم على الأمر وظل يبحث عن سعد في الأماكن التي يعلم أنه يرتادها حتى وجدته في مسجد وهو يصلي العشاء بالناس تعجب سليم كثيرًا وعندما أنهى صلاته أوقفه قائلاً:

- مرحبًا بك يا سعد لي مدة أبحث عنك.

رد عليه:

- أهلاً بك يا سليم، خيرًا ماذا حدث؟

سليم يبدي انبهاره بما يرى قائلاً:

- أنت لم تعد مشتعل! كيف فعلت ذلك يا
سعد؟ وكيف عدت إنسان طبيعي؟ هباء
هربت ولم أستطع إيجادها، هل يمكن أن
تعود كما عدت أنت.

- ماذا حدث لهباء؟ ألم نتركها في المشفى
أخر مرة سويًا؟!

- نعم تركناها لكنها هربت منذ شهرين ولا
أستطيع إيجادها يا سعد، هل يمكنك
مساعدي؟

- نعم يمكنني إن شاء الله، تعال معي إلى
المنزل.

ذهب معه سليم إلى المنزل فوجد أمه تفتح
له الباب مرحبةً بهم قائلة:

- أهلاً وسهلاً بكم، هل هذا صديقك يا سعد؟

رد عليها سليم:

- حمدًا لله على سلامتك يا خالتي، نعم أنا صديق لسعد.

دخل سعد وسليم غرفة الجلوس وأغلق سعد باب الغرفة عليهم قائلاً:

- ماذا حدث يا سليم؟ أخبرني كيف هربت تلك المرة؟

- لا أعلم يا سعد.. كل ما علمته حين عدت من سفري متوجهًا إلى المشفى أنها هربت ولا يعلمون كيف، ظلت صورتها أمامهم في الكاميرا طول الوقت كما كانت في الغرفة

بدا الأمر مرتبًا لكنهم لم يعلموا كيف فعلت؟

- يبدو أن هناك أيدي خفية يا سليم.. من ممكن أن يقوم بتهريبها إن لم يكن لكم أحد؟

- هذا ما يقلقني يا سعد نحن ليس لنا أحد حقًا، أظني أخطأت حين تركتها هنا وسافرت.

- لا تلوم نفسك يا سليم قد يكون ذلك الساحر الذي هرب بعد حفلة الخطبة كما أخبرتني هو من فعل ذلك.

- لكن لماذا سيفعل؟ لقد هددناه مسبقًا على ألا يفعل ذلك؟

سعد مستنكرًا:

- بما هددته يا سليم؟ هي أرض خصبة كي
يفعل بها ما يشاء، فضلًا عن أنها فقدت
عقلها تمامًا ذلك كافيًا له.

- كيف تعلم كل ذلك يا سعد؟

- بحكم معرفتي بفرج يا سليم علمت بعض
الأشياء منذ زمن.

- هل كان يأخذ المرضى ليفعل بهم ما
يشاء؟

- نعم كان يقوم بإحضار الجن ليسكن
جسدهم وإن فعلوا شيئًا فهم مختلفين
عقلياً لا تطبق عليهم أحكام القانون هنا.

- أي رجل كان ذلك الشخص الحقير؟!
 - ذلك الرجل كان والد زوجتي، تسبب
 بقتلي لها وابنتي بيدي تلك.. عندما جعل
 جان يسكن جسدي، لم أكن أدري ماذا
 أفعل حينها، كنت أستيقظ دون تذكر أي
 شيء حتى يوم استيقظت على خبر وفاتهم
 في يوم واحد محترقين بسبب ما كنت فيه.
 وضع سليم نظره أرضاً حزناً لمّ سمع من
 سعد قائلاً:

- البقاء لله.. أعانك الله على ما ابتليت به،
 لكن هل يمكنك مساعدتي في إيجادها؟

- نعم إن شاء الله سنجدها.. أعلم مكان
 وكر الساحر لكن نسأل الله أن يكون وحده

رغم أنني أعلم أنه لا يمكنه تهريبها بدون
مساعدة أحدهم.

* * *

- من أنتم؟ ماذا تريدون مني؟ دعوني
أرجوكم دعوني أخرج من هنا.

هنا تستغيث للخروج من المكان المخيف
الذي تقبع فيه.. لا تعلم ماذا تفعل الآن؟
لم تقل سوى يا رب ساعدني، انقذني من
هذا المكان، يا رب لا تجعل نهايتي مثل أختي
الصغرى أرجوك.

دخل شخص مخيف الغرفة التي هي بها ثم
قال:

- ما اسمك يا جميلة؟

ارتعشت هناء قائلة:

- من أنت وماذا تريد مني؟

- لا أريد منك شيء بل هو الذي يريد، أنا فقط أعمل لديه.

وأشار إلى من يقف على باب الغرفة.

حينما التفتت إليه انكلمت على نفسها خوفاً منه فكش عن أنيابه ليخيفها أكثر، ظلت تدعورها خوفاً مما قد يحدث لها في هذا المكان المخيف.

* * *

- من فضلك يا كنده ابق معنا أرجوك
لقد اعتدنا على الصغير.. لن نستطيع أن

نبتعد عنه قالتها ملك بعينين دامعتين.

ردت عليها كنده:

- أرجوكِ يا ملك لا تصعبي عليَّ الأمر فأنا
أيضاً تعودت على وجودي بينكم، لكن لا
أستطيع التفكير بشيء غير ما حدث
لريتاچ.

- وما علاقتك أنتِ بما حدث لها.

- ألم تعلمي أن قبل سقوطها من على
الدرج سمعت أحمد وهو يطلب الزواج
مني.

صعقت ملك لمَّ سمعت منها فلم تجيب
عليها وتركتها راحلة في صمت، فقد كانت
ريتاچ صديقتها المقربة، أخذت كنده

الطفل من عمته آية ذاهبة إلى نادر الذي
ينتظرها بسيارته في الخارج، قبل رحيلها
تركت رسالة لأحمد تواسيه فيها، ودعت
الجميع باكية وهم كذلك ثم ركبت السيارة
وانطلقت مع أخيها.

نادر:

- كيف حالكم اليوم يا حبيبتي؟

كنده:

- بخير يا أخي لا تقلق.

- إن شاء الله ستكونين بخير معنا، لقد
جهزت لك غرفة ستجديها مريحة بإذن
الله.

- إن شاء الله يا أخي، جزاك الله خيرًا.

دقت آية الباب على أحمد فأخبرته عن رسالة كنده له تاركة إياها على الطاولة ثم خرجت مسرعة، أخذ أحمد الورقة فتحها فوجد تلك الكلمات "أولًا البقاء لله أحسن الله عزاءك، أولادك يحتاجونك أنت لا إلى شخص سواك، عليك أن تتدارك نفسك من أجلهم ولا تنسَ أن ذلك قدرها، أعلم شعورك جيدًا لأنني فقدت غالبًا على قلبي مثلك لكن يجب أن نكمل مسيرتنا لتربية أبنائهم الذين تركوهم أمانة لنا..

تلك الكسور التي بداخلنا لن تجبر وحدها بل عليك محاولة استرداد نفسك أولًا.. لا

تستلم لألم فقد سيجبرك الله حتمًا إن طلبت الجبر، وأنبت إليه متضرعًا فهو اللطيف جابر القلوب، لا تحزن.. تذكر أن الله معك في السراء والضراء.. من أجل أطفالك.. يجب أن تعود لحياتك من أجلهم فقط كي لا يضيعوا في تلك الدنيا بدونك، صدقني أعلم جيدًا معنى فقد الأم والأب أيضًا لأنني لم أنشأ وسطهم فلا تتركهم دون أب وأنت على قيد الحياة".

قرأ أحمد الكلمات ثم وضع الورقة على الطاولة ذاهبًا إلى الحمام، توضأ وصلى ركعتين داعيًا الله أن يجبر كسره ويرحم زوجته ويعينه على تربية أطفاله، بعد

انتهاءه أذن العصر فنزل إلى المسجد
المجاور للمنزل بعدما كان حبيس غرفته،
سعدت آية عندما رأته خارجًا من غرفته
فنظرت إليه مبتسمة، كان على يديها أحد
أطفاله فألقى نظرة عليه ثم حمله قليلًا
وقبله تاركًا إياه لها راحلًا، ما إن خرج من
القصر ودخل المسجد حتى شعر براحة
نفسية كبيرة لم يعهد لها منذ مدة، فظل
جالسًا بعد الصلاة يقرأ القرآن وعينيه
مغرورقه بالدموع.. لاحظ ذلك إمام
المسجد فجلس إلى جواره يواسيه ويسأله
عما يضايقه فقص عليه ما حدث، حزن
الإمام قائلاً:

- يا بني كل ذلك قدر مكتوب لك، هذا
 ابتلائك في تلك الدنيا ليعلم الله هل
 ستصبر أم ستجزع، يبدو لي أنك شخص
 مسؤول يتحمل مسؤولية كبيرة فلا تجزع
 واصبر واحتسب لعل الله يحدث بعد ذلك
 أمرًا، ولا تبتعد عن ربك كثيرًا ثانية فلم
 أرك منذ مدة طويلة في المسجد بعدما
 كنت تأتينا دومًا، سيجبر الله كسرك يا بني
 كن على يقين بذلك.

أثرت تلك الكلمات فيه كثيرًا فخرج عائدًا
 إلى القصر، أثناء عودته وجد قاسم ورامز
 يدقان الباب ففتح لهما وأدخلهما فقاموا
 بتعزيته ومواساته ثم أخبرهم أنه سيقوم

حفلًا كبيرًا لزواجهما من أختيه قريبًا لكن
ليدع العروستين تتجهزان جيدًا إن شاء
الله تعالى.

تهللت أساريرهم عقب ما أخبرهم به.
لكن سأله رامز:

- هل وافقت آية على الزواج مني؟
قال أحمد:

- نعم وافقت لكن بعد ما حدث نسيت
إخبارك بالأمر أعذرني لم أقصد ذلك.

جاءت أم سيد معها القهوة فقال لها
أحمد:

- أعيدي تلك القهوة وقومي بعمل

الشربات سيكون عندنا عرسان قريبًا.
سمعت آية وملك أصوات زغاريد أم سيد
فنزلتا ليروا ماذا يحدث فوجداها تحضر
الشربات وتحمله على صينية لونها فضي
مطعم بالذهبي ملفتة للأنظار وعليها
كوؤس مطعمة باللون الذهبي وقاعدتها
أرجوانية.. فرحت الاثنتان دون معرفة ما
يحدث، فذهبتا لأحمد فوجدت كل منهما
عريستها بالداخل فاحمرت وجنتاهما
وقال لهما أحمد:

- من الجيد أنكم أتيتم.. كنت سأرسل لكم
كي أرى كم يكفيكم استعدادًا لزفافكم.
ذهلت آية وملك فقالت آية:

- لكن ألم نتفق على خطبة فقط منذ
مدة؟

ابتسم لها قائلاً:

- خير البر عاجله يا أختي.. ثم إننا جعلناهم
ينتظرون كثيراً.

قالت ملك:

- لكن هناك تجهيزات وتحضيرات كثيرة..
كيف سنلحق تلك الأشياء في مدة قليلة.

قال لها أحمد:

- أنتِ فقط اختاري.. ثم أنفذ كل ما تريدين
يا ملكتي تعلمين أني سأفعل.

فقالت له:

- لكن زوجة أخي رحلت، كنت أتمنى
وجودها هنا.

قال أحمد:

- إن شاء الله ستعود حينما تعلم أن
عرسك اقترب.

كان رامز هنا مشدوهاً بما حدث وغير
مستوعب للأمر فقال:

- متى يمكنني تقديم الشبكة لعروستي يا
سيد أحمد؟

قال أحمد:

- الآن لو أردت، متى تكون مستعداً
أخبرني؟

فرح رامز كثيرًا قائلًا:

- إذا سأذهب الآن كي آخذ إجازة لأستعد
للزواج، عن إذنكم جميعًا.

قاسم:

- هل يمكن أن نتمم العقد قبل العرس
بمدة يسيرة يا سيد أحمد؟

قال له أحمد:

- سأرى إن كنت أستطيع ذلك وأخبرك
بإذن الله.

- حسنًا يا سيد أحمد.. إذا سأذهب إلى
عملي الآن، سرنى أنكم جميعًا بخير حال
الحمد لله.

* * *

سعد وسليم متخفيان ينتظران رؤية أي شخص يدل على وجود الساحر في تلك المنطقة حتى وجدوه فاستبشروا خيرًا لأنهم قد وجدوا هباءً لديهم، أخبره أنه سيحاول الدخول دون أن يروه وعليه أن ينتظره بالخارج، حاول سعد التسلل إلى الداخل عن طريق نافذة من خلف المنزل لكن عندما دخل فزع بسبب ما رأى.. وجد حيوانًا معلقًا يتصبب الدم من أجزائه فعلم أن هناك محاولة لاستحضار جن أو شيء من هذا القبيل، فحاول معرفة مكان هباء عن طريق التسلل إلى الغرف

الموجودة بالداخل حتى أمسك به شيء من
خلفه قائلاً:

- أهلاً بك يا سعد.. كم كنت أتمنى العثور
عليك منذ مدة طويلة.

ويتحدث ذاك الشيء بصوت أجش
مخيف.. كان له عينين بيضاوين، شعره
أشعث قصير لونه أبيض بلون الثلج وكان
ملطخ بالدماء من يديه حتى أخمص
قدميه فلم يعلم من يكون حتى أخبره عن
نفسه قائلاً له:

- هل أتيت لتبحث عني أنا يا سعد؟

ازدرد سعد ريقه بصعوبة قائلاً:

- من أنت إذا؟

قالت له:

- أنا هناء يا سعد قاتلة رفيق، قاتلك. ثم
قمهت عاليًا.

حاول سعد قراءة القرآن مرارًا لكنها
ألجمته عن الكلام فلم يكن يستطيع
التحرك وساعدها على ذلك وجود
الساحر بالخلف وكان يلقي عليه شيء كي
يسحره ثانيةً كما كان.. ليخدمه كما كان
يخدم معاون مسبقًا، مع الاسف الشديد
نجح الساحر في تلبيس الجن لسعد ثانية
بعدها كان شفي مما فيه فتحول سعد إلى
الشخص المشتعل ثانية لكنه عندما فعل
قام بضربهم جميعًا وقتل الساحر قائلًا له:

- هل ظننت أنني سأخدمك يا كلب فرج
خسئت.. سأجعلك تندم على ما فعلت بي
بيديك الآن.

فقام سعد بكسر رقبتة والقضاء عليه إلى
الأبد، بالخارج يقف سليم.. رأى هرجًا و
مرجًا فخاف على أخته فدخل المنزل لأن
سعد تأخر كثيرًا، عندما دخل فزع لم يرى
أمامه رأى أخته متلطخة بالدماء حتى
وجهها كأنها كانت تأكل حيوانًا دون طهي،
ووجد سعد عاد مشتعلًا ويحاول التخلص
من أعوان الساحر فساعد سليم سعد
على ذلك، رن هاتف سليم فأجاب فإذا به
أحمد يسأله كيف يجد سعد؟

فسأله سليم:

- لماذا تريد سعد يا ابن خالتي؟

- الأمر هام يا سليم ذاك العمل الذي تم عمله لزوجته أخي متجدد قد يكون دفن مع زوجته في قبرها.

شخص سليم عينيه قائلاً:

- سأحاول معرفة مكان قبرها.. لكن الآن سعد مشغول هو معي لن يستطيع التحدث لكني أعدك أنني سأعمل بوسعي كي ينفك سحر زوجة أخيك وأغلق الهاتف مسرعاً.

كان سعد يحاول مساعدة هناء لكنها كانت قوية لدرجة عجيبة حتى أنها أوقعته أرضاً

أكثر من مرة وجرحته فحاول حرقها لكن نادى عليه سليم بألا يفعل ذلك، طلب سعد من سليم الخروج والاتصال بأحد طلبًا للمساعدة.. فاتصل سليم على أحمد وأخبره بمكانهم فذهب أحمد إلى نادر وأخذه معه كي يساعدهم إذا احتاجوا شيئًا، ما إن وصلا إلى وكر الساحر وجدوا الساحر مقتولًا وأعوانه مكتوفي الأيدي وسليم واقف بالخارج منتظر قدومهم.. اقتربوا منه فسمعوا صراخًا عاليًا فأخبرهم سليم بما يحدث في الداخل، دخل أحمد كي يساعد سعد في محاولة شفاء هناء مما هي فيه لكنها كانت تتحدث

بلغة غريبة لا يفهمونها، ما فهموه فقط
 أنها تنتقم منهم لقتل شخص من عشيرتها
 فعلم أحمد أن ذلك اليوم في حفل
 الخطبة لم يقضوا على الجن الذي كان
 متلبس بجسد الساحر وأنه هو ذلك المائل
 أمامهم مباشرة في جسد هناء المتخضبة
 بالدماء، حاول أحمد مع سعد القضاء
 عليه لكن ما حدث كان أقوى مما يظنون،
 اقترب أحمد من سعد سائلًا له عن مكان
 قبر زوجته فأخبره أن أمه تعلم مكانهم
 جيدًا ستأخذك إن أردت ذلك.. الآن دعنا
 نحاول القضاء على ما يقف أمامنا
 ببشاعة، كانوا يظنون أنهم سينجحون

بالقضاء عليه لكن ذاك الشيء قضى على
 سعد حتى قتله تمامًا.. ظل أحمد يكرر
 القرآن حتى أخبره ذاك الشيء أنه سيقتله
 كما قتل سعد الآن.. حزن أحمد لكنه لم
 يصمت لحظة ظل يكرر ويكرر وهو
 ممسك بيديها وحده حتى سقطت من يده
 على الأرض واصطدمت رأسها على حجر
 موجود في الأرض فنزفت، حملها.. خرج
 أحمد بها خارجًا وأخبرهم أن يجلبوا سعد
 من الداخل كي يسعفوه وذهبوا بهم إلى
 المشفى لكنهم كانوا قد فارقوا الحياة إلى
 الأبد راحلين إلى ربهم لعل الله عز وجل
 يرحمهم ويغفر لهم فهو أرحم بهم فهم قد

عانوا في تلك الدنيا الفانية دون ذنب منهم سوى أنهم أخيار فقط، لم يظنوا بأحد سوء بل دائماً كانوا يقدمون حسن الظن على الأذى، لم يريدوا أذية شخص أبداً، طلب نادر وأحمد من سليم عنوان منزل سعد ليذهبوا لأمه، فطلب منهم الذهاب معهم ليرى إن كان الأمر يستحق العناء وهل سيكون العمل في قبرها حقاً أم لا، وصلوا إلى منزل أمه سائلين لها عن مكان القبر لكنهم لم يخبروها بما حدث لابنها كي لا تحزن فوراً وهي أتممت علاجها منذ فترة وجيزة.. أعطتهم العنوان ورحلوا جميعاً ذاهبين إلى المقابر، دخل نادر أولاً إلى

حارس المقابر فوضع أمامه هوية الشرطة
 وطلب منه فتح القبر ففتح أحمد وسليم
 كشافات هواتفهم ودخلوا معه.. فتحوا
 مكان دفن زوجته فوجدوا صورة كنده
 ومحمود ومعها عمل مدفون في فمها في
 جلدة صغيرة مكتوب خلف الصورة رموز
 بالدم فخرجوا من القبر بعدما أعاده
 الحارس كما كان وأغلقه.. فأحرقوا العمل
 تمامًا ثم ذهبوا إلى منزل محمود رحمه الله
 وأحرقوا الأريكة التي كتب عليها نفس
 الرموز.. وهكذا تم الانتهاء من ذلك السحر
 على ما يظنون لكن بعد تكبد خسائر
 فادحة في أرواح من يحبون.

* * *

وصلوا جميعًا إلى منزل نادر ففتحت لهم
 كنده مرحبة بهم.. طلب أحمد التحدث
 إليها فوافقت وجلبت له محمود الصغير
 ليراه كما طلب فقال لها:

- لقد أصبح القصر موحشًا بدونكم.. من
 فضلك عودي إلى منزل زوجك، وأعدك لن
 يضايقك أحد وإن أردت أن تصبحي زوجتي
 يومًا ما سيكون خيرًا لنا جميعًا وإن لم
 يكن هذا خيارك؛ فلا بأس سأترك المنزل
 لك ولولدك بعد زواج إخوتي وسأرحل إلى
 ألمانيا وأخذ أولادي معي بإذن الله تعالى.

ردت عليه سائلة:

- هل سيتزوج البنات حقًا؟

قال لها:

- نعم.. بعد أسبوعين أو شهر بالكثير كما

يحددون بإذن الله.

ابتسمت قائلة:

- ذلك خبر جيد.. اللهم بارك لهما وعليهما

واجمع بينهما على خير.

قبل أحمد الصغير واحتضنه قائلاً:

- أراك قريبًا يا بني إن شاء الله.

استأذن منهم راحلاً بعدما أراح الجميع

وارتاح وطلب من نادر أن يحدثه غدًا

عندما يقومون بدفن سعد وهناء كما

يجب وكما يليق بهم، ثم ودع الجميع
ورحل إلى منزله ثانيةً وظل جالسًا وسط
أبنائه الصغار يتأملهم قائلاً:

- لقد فقدت أمكم.. أعدكم أنني سأكون
لكم الأب والأم بإذن الله تعالى.. ونام
وسطهم.

* * *

بعد مرور شهر كامل اجتمع الجميع في
عرس آية وملك وكانت كندة وهيام ومنار
موجودات مع العروستين أثناء تزيينهم
للعرس.. خرجا العروستين بزينة رقيقة
جداً بكامل حجابهم، كان مظهرهم جميلاً
جداً.. فرح العرسان كثيراً بهم وقبلهم

أخيهم الذي حاول تعويضهم عن كل شيء،
 فقبل رأسهم ووضعوا ذراعهم في ذراعيه
 ونزل بهم من على الدرج الكبير الذي كان
 مزين بالورود البيضاء والأرجوانية كما
 أرادت آية وملك.. والورد الأحمر منثور على
 الأرض بصورة جميلة مميزة، أعطاهم
 أحمد للعرسان بعد عقد قرانهم عليهم
 قائلاً:

- اليوم أفضل يوم مر على هذا البيت بعد
 كل تلك الأحداث السابقة التي مرت وكانت
 في الماضي من عمرنا ولا نريد أن نتذكر منها
 إلا كل خير فقط، أمامكم الآن جميعاً أود
 طلب زوجة أخي للمرة الثالثة إن وافقت

سأكون خير معين لها على تربية ابن أخي
وإن رفضت سأظل كذلك أيضًا.

قاسم يتحدث إلى ملك وهو ممسك يدها
وهي تقول له:

- اترك يدي.. أجننت؟! سيراك أحمد
ويقتلنا الآن.

ضيق عينيه قائلاً:

- أجننت يا ملك؟! لقد أصبحت زوجتي،
هل أنت تخافين أخيك؟ اليوم عليك أن
تخافي مني أنا.

رفعت حاجبيها قائلة:

- ممن أخاف؟! أتظن نفسك سي السيد

الذي تزوج أمينة؟ انظر يا بني لقد
تزوجتني أنا ليس أمينة.

ووقفت واضعة يدها في خصرها وهي
تتحدث بصوت عال.

فأجلسها قائلاً:

- اصمتي يا مصيبة ستفضحيني الآن
ويظن أخيك أني أسأت لك.

شعرت بنشوة انتصار قائلة:

- هذا أخي الذي ربي الرعب لمن هم أمثالك
يا بني، أنا فخورة به.

اقترب أحمد منها قائلاً:

- إن لم تحترمي زوجك ستظلين معي هنا

حتى تتعلمين كيف تحترمينه.

شخصت عينيها قائلة:

- دعني أتمنع قليلاً لا تفعل ذلك بي أمامه.

همس لها:

- لا تقلقي يا ملكتي الصغيرة هو لا يسمع..

باسم يحدثه.. يبدو أنه يعطيه نصائح قبل

الزفاف الآن.

وضحكا سويًا.

هنا أية تجلس في خجل بجوار رامز الذي

استطاع لمس يدها بصعوبة بالغة فهي لا

تحب أن يراها أحد هكذا فقال لها:

- هل تعلمين أنني أحبك؟

قالت:

- لا.. وكيف لي أن أعلم؟

تراجع للخلف قائلاً:

- هل هذا رد تجيبي عليّ به؟

قالت:

- وماذا تريد أن تسمع مني وسط الناس

الآن!

وهي مشخصة عينها بغرابة.

تراجع أكثر مجيباً:

- يبدو أنني تزوجت نسخة عن أخيك أحمد

ليس فتاة.

فابتسمت له قائلة:

- انتظر لنصبح في منزلنا، لا يجب أن نتحدث في ذلك أمام الناس هنا.
ابتسم لها وقال:

- أحببت فيك خجلك وذلك ما جذبني إليك من البداية.

كئده أخذت نادر في ركن وأخبرته أنها لن تستطيع أن تتزوجه، فطلب منها التفكير في الأمر ولا تجيب الآن لأنها إن جاوبت الآن ستحرجه أمام الجميع لأنه طلبها أمام الجميع والكل ينتظر ردها فوافقت على ما قال أخيها ومر اليوم بسلام وقاموا بتوصيل العروسين إلى المطار وعاد كل منهم إلى منزله في سلام لأول مرة منذ شهر

طويلة وناموا جميعًا تلك الليلة بأمان تام.

* * *

بعد مرور أسبوعين عاد العروسين..
وخلال تلك الفترة لم يتحدث أحمد إلى
كنده مطلقًا.. عندما رآته في المطار ذهبت
إليه قائلة:

- آسفة لن أستطيع قبول طلبك لي،
سامحني.

حزن قائلاً:

- كنت أتمنى لو أصبحتِ أمًّا لأولادي بعد
رحيل أمهم، فأنتِ مررتِ بفقد الأم
وتعلمين مدى احتياجهم لها في تلك الفترة،
أرجوكِ فكري مليًا واستخيري لا تجيبي

فورًا، سأنتظرك شهورًا إن تطلب الأمر أو
سنوات، فكما قلت لم يشعر بمرارة الفقد
إلا شخصًا مر بذلك مسبقًا وأنا على يقين
أنك تعلمين الأمر لأنك عانيت مثلي
ومثلهم.

* * *

بعد مرور خمسة أعوام..

- أحمد انقذني من فضلك يبدو أنني
سأضع طفلنا الآن.

وهي تصرخ وتستغيث.

استيقظ من نومه فزعًا:

- الآن يا كنده تمزحين أليس كذلك؟!!

- لا والله يبدو أنه متعجل،، هيا بسرعة يا كسول.

- أنا كسول؟! نحن بعد منتصف الليل

بساعتين تمزحين أين سأخذك الآن؟!!

- يجب أن تجد مشفى هل ستتركني أموت الآن؟

- لا.. لا أستطيع لم أقل ذلك.

- لا يبدو أنك تريد فعل ذلك أنت لا تحبني.

- الآن تقولين ذلك؟! ليس وقت ذلك

الكلام يا كنده تعلمين أني أحبك لا تقولي ذلك.

- لا.. سأقول ذلك.

وبدأت في البكاء.

- تخلصت من ثرثارة وجدت أخرى ارحمني
يا ربي، أرجوك لا تبدأي بالنحيب الآن.

ظلت تناكفه حتى وصلت إلى المشفى
ودخلت إلى غرفة الولادة.. أنجبت طفلة
جميلة أسماها ريتاچ وظلوا في سعادة
سويًا، يجلسون جميعًا في الحديقة
التابعة للقصر.

تذهب ملك لأحمد قائلة:

- يا أخي، لقد ضرب محمود ابنتي وأنا لا
أضربه ماذا أفعل؟

رد عليها:

- لا تفعلني شيئاً.. هم صغار، دعهم يلعبون.

- لا أحب أن يضرب ابنتي أحد.

- لا تجادليني يا ملك انا أعمل الآن، يا قاسم تحكم بزوجتك انقذني منها كيف تتحملها يا رجل.

ضيق عينيها:

- هل تقول عني هذا؟ سأخبر زوجتك حبيبتي على ما تفعل.

- لن تفعل شيء هل أخاف انا مثلاً؟!!

رفعت ملك حاجبها:

- إذا سأذهب لها وسأخبرها عن السكرتيرة

الجديدة التي جاءت في مكتبك.

ذهب خلفها مهرولاً:

- يا ملك عودي لرشدك يا فتاة،

سأضرب لك هذا الصبي حتى أني سأشدد

لك أذنيه لكن تعالي هنا الآن.

- لا.. يجب أن أخبرها، تعرفني لا أخفي

عليها شيء.

- يا ملك عودي سأطردك من العمل معي.

- مما تخاف يا أخي؟ أنت لا تخطئ.. لنرى

فقط رأي زوجتك.

سمعت كنده صوت شجارهما سويًا

فخرجت قائلة:

- مما يخاف أخيك يا ملك اخبريني؟

وضيقت عينها وحركت وجهها بضيق.

- أبدًا يا زوجة أخي سليه، أنتِ تعلمين أنه

لا يخفي عنك شيئًا.

رفعت كنده إحدى حاجبيها وهي تنظر لهما

نفس النظرة وهي تتوعد لهم وتقول:

- إن لم تخبروني سأعاقبكما أنتما الاثنان.

رد عليها بغضب:

- ستعاقبينني إذا يا كنده؟ هل هذا ما

تعلمتيه من الدين؟ معاقبة زوجك؟!!

وتركها بعد قلب الطاولة عليها.

ذهبت خلفه تنادي عليه:

- انتظريا أحمد، أرجوك لا تغضب.. تعلم
 أني كنت أمزح لا تفعل ذلك معي.
 رد عليها مستنكرًا فعلتها:

- لكن ذلك كان خطأً تحدثي هكذا أمامها!
 - أسفه لن أكررها، لكن ماذا عن
 شجاركما؟

- تلك الثرثرة ملك تظن أنك ستغضبين
 لأنني وظفت سكرتيرة في مكتي بدلًا من
 الشاب الذي سافر.

قطبت جبينها وغضبت قائلة:

- ماذا وظفت؟ سكرتيرة! ما شكلها؟ كيف
 هي؟ أخبرني هل هي متزوجة أم ماذا؟!!

تحدث!

جاءت ملك من خلفها قائلة:

- هي فتاة جميلة غير متزوجة وأيضاً
ليست حتى محجبة.

اشتعلت كنده غضباً حتى احمر وجهها
فقالت:

- يا أحمد خذني غداً لكي أراها.. لن أهدأ
أبدًا الآن حتى أفعل.

ردت ملك بسخرية:

- ولماذا تذهبين؟ لدي صورة لها التقطتها
اليوم معها تعالي لأريك.

نظر إليها أحمد بغضب واضح ثم قال:

- ملك.. زوجك يناديك.. اذهبي إليه لا
يجب أن تدعيه منتظر كثيرًا.

- حقًا؟! لم أسمع.. عن إذنك يا كنده
سأذهب إلى قاسم كي لا يغضب.
ورحلت مسرعة.

قال أحمد:

- اسمعيني يا كنده، أنتِ زوجتي حبيبتي أم
أبنائي، لن أجد مثلك يومًا فلا تدعي ملك
توقع بيننا وإلا والله سأعاقبها حقًا.

لم تدع ملك لأحد فرصة فقالت:

- كيف ستعاقبني يا أخي؟ أخبرني هيا.. الآن
تقول لي زوجك يناديك ثم تخبر زوجتك

أنك ستعاقبني.. هيا يا أخي أخبرني كيف
ستفعل؟ لقد جرحتني وطعننتني في ظهري.
ظلت ملك تفتعل الحزن فنظر إليها أحمد
وكنده ساخرين منها ورحلا سويًا إلى داخل
القصر، فتحت عينيها بعد تمثيلها البكاء
فلم تجد أحد فقالت:

- يبدو أنني أطلت الوضع تلك المرة.

قاسم:

- يا ملك، هل دومًا تخرجين وتتركيني
بالداخل وحدي مع الأطفال؟ كم مرة
يجب عليّ مناداتك؟ وأخبرت أحمد لماذا لم
تأتي؟

ردت عليه في ذهول:

- إِذَا لَمْ يَكُنْ يَكْذِبُ عَلَيَّ!

نَظَرْتُ إِلَيْهَا غَاضِبًا قَائِلًا:

- وَلَمْ يَكْذِبْ أَهْوِ مِثْلَكَ؟

وَرَحَلْ.

هَرَوَلْتُ خَلْفَهُ:

- اانتظرنى يا قاسم، لحظة يا قاسم.

تمت بحمد الله

الأحداث الحقيقية ختامها لم يكن كذلك،
بل ماتت الفتاة التي أصيبت بالسحر
الأسود وظل أخوزوجها حتى الآن بلا زواج
يربي ابن أخيه المتوفي، لم يكن يومًا السحر
لمساعدة الأشخاص بل دومًا يؤدي
البشرية جميعًا فاحذروا أن تقربوه دون
أن تدرؤا وابتعدوا عن يذهب للسحرة
بقدميه.. أسأل الله أن يحفظنا جميعًا من
تلك الشرور.

هبة زايد

إلى اللقاء في الجزء الثاني من

سلسلة سَعْرُ

أراكم بخير إن شاء الله